

أ.د. محمد حسن عبدالمحسن

الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب



لوحة الغلاف

للفنان الحلبي أسامي برهان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

-الأسدي علامة حلب
في حضرة الغياب-

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

يمنع طبع هذا الكتاب، وإخراجه، ونشره كاملاً أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة والنسخ والتصوير أو الترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والاختزان بالحواسب الإلكترونية وغيرها، إلا بإذن خطي مكتوب من لدن المؤلف.

إصدار خاص

الموافقة على الطباعة

وزارة الإعلام

رقم:

تاريخ: / /

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

الأسدي علامة حلب في حضرة الغياب

أ.د. محمد حسن عبد المحسن/ حلب – إصدار خاص

٢٠٠ ص ؛ ٢٤ سم

١ - ع ب د م ٢- العنوان

٣ - عبد المحسن مكتبة الأسد

٤ - ل /٨/ ٢٠٠٨ م

ع - / / ٢٠١٧

المحتوى

- إهداء.
- بطاقة شكر.
- تصدير.
- مقدّمة.
- استهلال
- عتبات مصطلحية :
- الفصل الأوّل: العلامة م. خير الدين الأسدي تحت المجهر.
- الفصل الثّاني: سلوكيات الأسدي وأنشطته الاجتماعية والثقافية.
- الفصل الثّالث: آثار الأسدي واتجاهاته الأدبية.
- الفصل الرابع : محنة الأسدي المظلوم حيا وميتا.
- توصيات ومقترحات.
- خاتمة.
- ملخّص باللغة الإنكليزيّة.
- ثبت المصادر والمراجع والدوريات.
- الملاحق.
- الفهرس التّفصيلي.

إهداء

إلى روح أبي طيب الله ثراه...

إلى روح أمي التي غادرتنا قبل أيام...

إلى روح أخي أسعد شهيد حرب تشرين أدخله الله الجنة...

إلى روح العلامة الأسدي ملهمي حب التراث الشعبي اللامادي .

وإليك يا شهباء يا حبي .

يا كوكبَ الخير يا أسطورة الطربِ لحنَ الحياة، ومجلى العلم والأدبِ
يا منيتي، وحنينَ الروح، أنت لنا مهوى الفؤاد ومغزى رفعة النسبِ
فيك اعتصمنا بأخلاق فكنت لنا لمح السنا ونجاة الزاهد الأربِ
أنتِ الحبيبة، مهما النأي حاصرنا فالشوق أوجعنا والوجدُ يا حابي

شهباء، يا قلعة كالطود شامخةً يا عقد منذنة ترنو لبوح نبي
شهباء، يا نوح طيب لم يزل عبقاً يا كوكبا في سماء العز لم يغبِ
أنتِ الهوى في جنان العشق يغمرنا أنتِ الدوا لعذاب الروح والنصبِ
كم حاولت عاصفات الدهر تبعدنا لكن بقينا بقاء الجذرفي التربِ

في كل صبح يجدُ العمر منتشياً يرنو لمجدٍ كما المفتون بالذهبِ
يمتد كالشمس ضوءاً فوق غربتنا يُغيثنا جوده بالبرق والسحبِ
من أجل عينيك هذا الشعرُ أرسله يرتد مثل الصدى المسكون بالطربِ
يشدو كطيرٍ على الأفنان مبتهجاً يسمو كقلعتك السماء أي حابي

أ.د. محمد حسن عبد المحسن

بطاقة شكر

إلى الأخوة الأعزاء الذين يشتغلون على حفظ التراث اللامادي الحلبي؛

- في جمعية العاديات بحلب ممثلين برئيس الجمعية الأستاذ محمد قجة وأعضاء مجلس الإدارة، الذين ديدنهم حماية التراث.
- في جمعية أصدقاء العاديات في كندا ممثلين برئيسها ومنسقها العام الدكتور ناهد كوسا وأعضاء مجلس الإدارة، الذين يمنحون من بلاد الاغتراب جوائز تشجيعية منذ ثلاث سنوات لمبدعي بلدهم الأم حلب الشهباء.
- في مديرية التراث الشعبي في وزارة الثقافة ممثلين بالأستاذة أحلام الترك، ومديرية الثقافة في حلب الذين يتابعون شؤون التراث الشعبي بجديّة.

والشكر كله لمن يحضّر للندوات أو المؤتمرات التي تدور حول التراث اللامادي أو يحاضر فيها أو يحضّرُها.

أ.د. محمد حسن عبد المحسن

تصدير

بعد إعداد الكتاب للطباعة

المقدمة

خطرت ببالي فكرة هذا الكتاب بعد أن وافى اليقين العلامة محمد خير الدين الأسدي في ٢٩ ك ١ عام ١٩٧١ إجلالا لقدره واعترافا بفضلته الذي - فيما أزعم - لا يماثله فضل أديب أو عالم على مدينته .

وحين صح عزمي على الكتابة دهمت ذاكرتي مواقف عدة كانت لي مع الأسدي لوحدي أو مع نفر من أصدقائه ومحبيه .

وبعد مرور ثلاث عشرة سنة على وفاته دعا رئيس اتحاد الكتاب العرب الأستاذ الدكتور عمر الدقاق - أطال الله عمره - نفرا من أدباء حلب إلى ندوة خاصة بتكريم العلامة الأسدي وإحياء ذكراه ، ومما شرفني وقتئذ أن كنت أحدهم ، ومما زادني شرفا كثرة الحضور و نوعية الحاضرين في الندوة . (١)

ولعل طرفا مما أرويه في دراستي هذه ، مما سمعته من الأسدي شخصا أو مما دونه في موسوعته أو ذكره في كتبه أو مما سمعته من مريديه أو زملائه أو معاصريه أو ممن تناول مؤلفاته بالبحث ، فضلا عن اشتغالي في مرحلتي الدبلوم (١٩٧٧)م والماجستير (١٩٨٢)م على التراث الشعبي اللامادي الحلبي وعلى إبداعات العلامة الأسدي في جمع هذا التراث وتدوينه.

للأسدي م. خير الدين - كما أثر أن يُسمَى - خصال حميدة تركت في نفسي وفي الآخرين من حولي أثرا جميلا وذكرًا طيبا .

وقد أثلج صدور أساتذته وطلابه وأصدقائه في حلب الشهباء وغيرها الذين عرفوا فضله على مدينته ؛ فقد كان له حضوره اللافت النظر ؛ حين يتحدث من كثرة معلوماته وسعة ثقافته وتعدّد معارفه واقتداره وتمكنه في قضايا التراث واللغة والأدب ، فضلا عن إمتاعه من حوله بالطرائف اللطيفة و التعليقات الأنيفة التي تدل على فكره النشيط وملكاتة الخلاقة المبدعة .

١ ينظر ملحق رقم (١) صورة عن بطاقة الدعوة لهذه الندوة.

وليست مغالاة إذا قلت إنّ كل جانب من جوانب الأُسدي الإبداعية الشعبي والرسمي يحتاج إلى دراسة جادة مستقلة تتابع نتاجه الفكري وتتدارس عطاءه الفني وتقيّم مناهجه ونظرياته .

ولا أدعي أنّي في هذا الكتاب أرصد نتاج الأُسدي كله ، إنما بحثي هذا إطلالة سريعة على سيرته الذاتية ومراحل حياته ونظرة في مؤلفاته القيمة ؛ ولاسيما أغاني القبة نفحات صوفية التي طبعت سنة ١٩٥٠م و موسوعة حلب المقارنة التي صدر مجلدتها الأول منذ عام ١٩٨١م حاملة أفكارا ورؤى متطورة عن التراث اللامادي الحلبي - خاصة - فضلا عن تلميحات إلى التراث السوري والعربي والعالمي والتي تأسر المتلقي بمضمونها ودلالاتها وأسلوبها الشائق ، ولغتها المميزة المستلهمة من دون شك ، والنابعة من قراءاته الجمة ورصيده التراثي الكبير .

وهذه المتابعة لبعض القضايا المهمة التي أثارها الأُسدي هي مجرد التنبيه فقط إلى عمق ارتباط هذا المبدع بقضايانا التراثية التي عايشها أكثر من نصف قرن ناذرا قلمه لها فضلا عن كشف جوانب من مسيرته الحياتية وإرثه الفكري وأعماله الجادة في توثيق التراث بكل أمانة وشفافية ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

صحيح إنّني قد تماهيت مع الأُسدي ومع حلب إلى حد بعيد لقناعتي بأن عبق الماضي ينيّر المستقبل لكن ليست المبالغة من طبعي ، ولا أرضى بالجنوح إليها ، وأزعم أنه من واجبي ومن واجب الأدباء والنفاد جميعا إنصاف النابغين والأعلام من مبدعينا من دون مراوغة ولا مداورة ، لا سيما وهم أحياء قبل أن يوافقهم اليقين لا كما جرت العادة عندنا - نحن العرب - من غمط النابهين أقدارهم وتجاهلهم في حياتهم حسدا وضيق عين ، حتى إذا ما غيبهم الثرى أقمنا لهم المآتم والندوات وأعدنا لهم المآثر والمزايا في حين لا ينفعهم الثناء.

عاش الأُسدي في حقبة زمنية مضطربة مليئة بالأحداث والمتغيرات حقبة الحربين العالميتين ، الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، والحرب كما يقال ولود ، فقد انهارت إمبراطوريات وتقسمت دول ، ومع ذلك عمل ، من دون كلل أو ملل ، باحثا ومحققا ومعلما في آن .

وقد ارتأيت أن يكون هذا الكتاب في مقدمة واستهلال وعتبات مصطلحية وأربعة فصول :

ويتضمن الفصل الأول : التعريف بالعلامة م. خير الدين الأسدي وملامسة سيرته الذاتية ، وتتبع الظروف والأحداث التي أثرت على مراحل حياته ، وتصرفاته السلوكية و الروحانية، وذكرت ومضات من علاقتي الشخصية معه .

و وقفت في الفصل الثاني على أبرز المواقف النفسية والاجتماعية التي شاركت في تكوين ثقافته وخبراته العلمية ، ولاسيما رحلاته التي قام بها .

وخصصت الفصل الثالث لما يلوذ بنتاجه الثقافي والفكري من خلال آثاره المطبوعة والمخطوطة، ومثلت لاتجاهات الأسدي الأدبية بكتابه (أغاني القبة) بوصفه أنموذجا لنفحاته الصوفية ، ولاتجاهاته العلمية والتراثية بموسوعة حلب المقارنة بوصفها أنموذجا للتراث اللامادي الحلبي .

وجعلت الفصل الرابع لمحنة الأسدي المظلوم حيا وميتا و لطوفان من الأسئلة المحرجة التي تنتظر الجواب .

وأنهيت الكتاب بخاتمة موجزة ذكرت فيها جملة النتائج والمواقف التي توصلت إليها وطرحت جملة من التوصيات والمقترحات التي نأمل تنفيذها ، وعززت الكتاب بثبت للمصادر والمراجع والدوريات ، وبملخص باللغة الإنكليزية وبجملة ملاحق تدعم البحث وتوثق ما فيه من آراء .

وقد اعتمدت منهجا علميا، قدر المستطاع، يلامس المنهج الاستقرائي فيه المنهج الاستنباطي عبر المسار التاريخي حينما والتحليلي أحيين أخرى لأتوصل إلى منظومة القيم المعرفية والأخلاقية والتربوية التي أورها الآباء والأجداد للأبناء والحفدة من خلال إحياء تراث حلب اللامادي الذي نخشى عليه من التشتت والضياع ولاسيما في هذا الزمن الصعب .

وقد أكون أرهقت البحث بطوفان من المعلومات عن حلب وعن الأسدي ، لكن هذا ديدني في دراستي للتراث اللامادي الذي بأمس الحاجة إلى الجمع وتوثيق مآثوراته وصونها وتسطير ما أمكن من مآثورات التراث اللامادي الحلبي مدينةً وريفاً، فألفاظ أهل الريف و حكاياتهم وأمثالهم وحكمهم إلى غير ذلك من فنون قولهم هي جزء أساس في التراث اللامادي

الحلبي التي قد تغيب عن الأجيال القادمة مثلها مثل أهل المدينة فضلاً عن تعزيز تواجد هذه المآثورات على تنوعها في مختلف المنابر الثقافية شفاهة، وفي الكتب والدراسات والصحف والمجلات المطبوعة .

وكلي أمل أن أحقق في هذا الكتاب غاية نبيلة في تعزيز اللهجة العامية الحلبية القريبة من الفصحى لدى ملتقى التراث اللامادي الحلبي لأنّ اللهجة العامية تعبّر عن فلسفة الشعب وتجاربه الحياتية في الأمثال والحكم وغيرها من فنون القول الشعبية ولو قيلت هذه المآثورات بلغة فصيحة لكانت مثل من يترجم مآثورات عن اللغات الأجنبية .

من اللائق بنا ألا نترخص باللغة ، وإنّما علينا أن نسعى للسموّ باللهجة المحليّة وإعزازها وتمكينها والارتقاء بها لتتناغم مع الفصيح .

والحق يقال ، يستحق التراث اللامادي منا جهداً أكبر ، وقد سعيت طيلة حياتي أن أكون سباقاً في هذا الميدان ، للمحافظة على هذا الميراث الذي مات عنه أبائنا وأجدادنا ولجمع كل شاردة و واردة من مآثوراته ، وسأبذل قصارى جهدي لأشاطر محبّي التراث - ولو شيئاً من حراكم الثقافي- وأرجو الله أن يأخذ بيدي لخدمة بلدي ، وأن يبقيه آمناً سالماً لخير الثقافة والعلم والأدب .

رحم الله أستاذي وملهمي العلامة الأسدي م. خير الدين ، وأكرم مثواه في أعلى عليين مع الأنبياء والصديقين والأولياء الصالحين ، وأن يجزيه خير جزاء عما قدمه لحلب الشهباء .
إنه على كل شيء قدير ، نعم المولى ونعم النصير .

حلب المحروسة

٢٠١٧/١٠/١٧

أ.د. محمد حسن عبدالمحسن

استهلال

إذا أردت أن تتعرف إلى النفس الجياشة والمعطاءة التي تكمن وراء الإرث الشعبي اللامادي الحلبي ، والتي أيقظت العقول وفتحت العيون عليه ، فاعلم أنها تمثلت بالعلامة محمد خير الدين الأسدي الذي تدين له حلب - خصوصا - الوطن - عموما - بهمته الجبارة في جمع المآثور الشعبي وتوثيقه وصونه ودراسته .

فقد استطاع العلامة الأسدي بعزيمته التي لاتعرف الخنوع ولا السكينة وبفكره النير أن يجابه التخلف والجهل من حوله بكل مالدیه من مُثل وحماسة وشجاعة وجرأة أدبية ومحبة لمدينة حلب ورغبة شديدة في صون تراثها المادي واللامادي والتي لم يدخر جهدا في سبيل رفعتها ، وهو القائل : أقصى ما أطمع أن يقال عني ((هذا هو الحلبي المزروع فيها ، والذي ما غادرها وما غادرته)) ٢

كما استطاع أن يحطم القيود التي تكبل هكذا دراسات شعبية وتحجبها عن الظهور إلى عالم الوجود ، والتصدي لموضوع كهذا يحتاج لأرضية فكرية تنسجم معه ، وكثيرا ما سمعته يقول : ((لحمي من خيرات حلب)) ٣

وللأسدي عندي مزايا عظيمة ومحبة جسيمة ومودة لا تزول ؛ عنده الموهبة الأدبية التي صقلها ونماها بقراءة كتب الأدب والتاريخ والتراث ، وبمجالسة كبار الأدباء والعلماء ، وبرحلاته المحلية والعربية والعالمية ، فقد قضى عمره مكبا على المطالعة والدرس والبحث والتحصيل ، يقرأ ، ويكتب ، ويجالس العامة والخاصة وينقل عنهم ويساجلهم ويناظرهم ، ويمعن النظر في أحوال الحلبيين -خصوصا- والعرب -عموما- .

ظل هذا العلامة الجليل يجد ويدأب في صون الثقافة الرسمية والشعبية في آن بارا بوعده ، فأتحفنا بما ألف وجمع ، وظل مستمرا في عمله لا يمل ولا يكل ، في عصر حفل بأحداث جسام ؛ أبرزها استقلالان سوريان ؛ أولهما عن السلطنة العثمانية المستبددة وثانيهما عن المستعمر الفرنسي الغاشم .

٢ من أقواله في لقاء معه .

٣ من أقواله في لقاء معه .

يشكل التراث ركنا أساسيا مضيئاً في بناء شخصية الأمة ، وقد كان الأسدي م.خير الدين خير مدافع عن التراث اللامادي الحلبي ، وهبه الله لحلب كي يحفظ تراثها ويصونه ، فأثار بذلك الطريق لمن اشتغل على الثقافة الشعبية في أثناء حياته وبعد رحيله .

وقد أوتي الأسدي الذكاء والنشاط والبصيرة النافذة والعزيمة، فما أضع لحظة من أيامه إلا وأمامه الهدف الثقافي السامي الذي ظل ديدنه إلى أن وافاه اليقين .

وللأسدي ملكة قيمة في التراث الشعبي خاصة بدءاً من تمثيله للبيت الحلبي وانتهاء بالمجتمع الوطني ، وكان يعتمد على تجربته الشخصية، يستوحياها، ويستلهمها، ويعبر عمّا يحسّه وعمّا يهديه إليه فكره ، فهو في أدبه ومؤلفاته يمثل حلب أفضل تمثيل وهذا لعمرى هو العلامة والأديب الصادق ولولا ما شاب معظم نتاجه من جنوح إلى اللهجة الحلبية ، إفراطا منه في حليته لكان من أفذاذ الأديباء السوريين بل العرب أصحاب المبادئ في الأدب .

وقد غالى الأسدي في حليته فأكثر من استعمال اللهجة العامية الدارجة ، أو العربية القريبة من العامية، وليس هذا لضعفه في اللغة العربية ، وإنما لعظم تأثره بالروح الحلبية في كل شيء ، ولرواج هذا النمط الأدبي في الساحة الثقافية ، ولنزوله إلى مستوى الشعب حتى يكون لكلامهم أثره في الواقع وفي النفوس ، فليس من المعقول أن ينطق الحرّفي البسيط والخادم والصانع بالعربية الفصحى ، وإنما سبيلهم للتواصل لغة الثقافة السائدة والمتداولة بدءاً من حديث الأم مع أطفالها وانتهاء بآليات التواصل اللغوي في هذه المنطقة التي صنعت الحضارات ، وخير مثال على ذلك ما في موسوعة حلب المقارنة التي تُعدّ من أشهر مؤلفاته والتي تمثل في كثير من مآثوراتها الشعبية الروح الحلبية المرحّة ، وتدل على شدة تأثره بعامّة الحلبيين في مآثوراتهم الشعبية الشائعة ، وهذه الموسوعة كتاب نادر في مضمونه وموضوعه وفريد في محتواه، أورد فيه العلامة الأسدي خمسة وخمسين فناً من فنون القول الشعبي الحلبي ؛ محلاً لبعض جوانبه ومقارناً للنواحي الأخرى مع اللغات القديمة والحديثة، وقد أدرك الأسدي أن في الغناء عودة إلى النقاء والبراءة ومن هنا كان كتاباه (ياليل) و (أغاني القبة) اللذين نهل فيهما من عبق روحانيات الشرق .

كان الأسدي لا يُملُّ حديثه ، ولا يُطاق فراقه ، وتروى له في مجالس المقاهي والمطاعم التي كان يرتادها نواذر لا تزال تتردد على ألسنة من عاصره من الأدباء والمتقنين والأصدقاء .

لم يقتصر الأسدي على ممارسة التعليم ، بوصفه مورد رزق ، وإنما اشتغل على البحث والدراسة في الأدب الرسمي والشعبي الذي ظهر ميله إليه منذ الصغر ، معتمدا على ذكاء حاد وسرعة بديهية ، ومعرفة دقيقة بأحوال حلب وأهلها ، وقد عُرفَ بطبيعته الجادة ونفسه المتأزمة وعقله الواعي ، ومن هنا كانت مهمته شاقة .

وقد ظهرت شخصيته في نصائحه التي كان يقدمها لتلاميذه ولأصحابه بأسلوب فكاهي مرح قوامه النكتة ، فقد تولى التعليم والتنقيف والإرشاد في مدارس عدة ، أحبه فيها طلابه حبا جما ، وتعلقوا به وبدروسه كما روى لي أحد طلابه إحسان الجندي الذي قال : إنه كان يبدأ درسه بقوله : الآن سيزورنا المتنبي وسيحضر معنا الدرس ، انتبهوا وصل إلى الباب سأفتح له الباب ، يفتح له الباب بيده ، وينحني له قليلا ، ويرحب به ترحيبا راقيا ويجلسه على كرسيه خلف طاولته ، ويقف الأسدي في حضرة المتنبي باحترام ويسأله عن صحته وأحواله ويجيب عنه بأسلوب سهل لطيف ، ثم يطلب منه إلقاء إحدى قصائده وينشدها هو بلسانه ، ويسأله عن إعراب بعض الكلمات ؛ هل صحيح أن إعرابها كذا ؟ ويناقش الطلاب بأريحية ، ويسأل لأسدي المتنبي عن سبب إلقائه للقصيدة ، وعن مقاصده وغرضه منها ، وسأل الأسدي المتنبي في آخر الدرس ما رأيك بالجيل الجديد ؟ فأجاب هو عنه : أستغرب تسكعهم أمام مدارس البنات ولا يهتمون بالعلم والأدب والثقافة ، ويخيل للطلاب أن المتنبي أمامهم يعطيهم هو الدرس ويتعجب الطلاب من أداء الأستاذ محمد خير الدين ويستمتعون إليه أيما استماع ، وكأن الدرس عبارة عن مسرحية يحضرونها أو فيلما سينمائيا أعادنا إلى المتنبي(°)

وكان الأسدي شديد الحساسية في أثناء تدريسه، وقد روى لي زميله في إعدادية الحكمة الأستاذ لؤي فؤاد الأسعد مدرس مادة الفنون التشكيلية أنه حين يطرق بالطباشير على اللوح والأسدي في الغرفة المجاورة يقول له : (حاج بقى خفف الصوت) حتى إنه يقول لمن

° من لقاء لي مع المهندس إحسان الجندي ومن طلابه وقتئذ زميلهم (ككشيان) الذي لازم الأسدي من خلال اهتمامه باللغة العربية فكان مساعدا له وبمنزلة الابن البار .

يطرق عليه باب الصف (خفف الضجّه) و للأسدي الفضل في إغناء مكتبة دار الكتب الوطنية التي أهداها مكتبته الثرة بمحتوياتها كما ونوعا (٦).

وقد قام الأسدي بسياحة عظيمة ورحلات كثيرة زار فيها مدنا وعواصم عدة ، وكثيرا ما عكف على تدوين رحلاته و وصف ما شاهد وما رأى من آثار تلك البلاد ، إذ كان يؤرخ لكل مناسبة ولكل موقع يزوره .^٧

ولم نترجم للأسدي لأنه علامة نابغة أو أديب ملهم وإنما نعطي صورة عن أديب حلبي نذر حياته كلها من أجل حلب وفي خدمة تراثها ، وقد لفت ذكاؤه وحبه للبحث وإقباله على التحصيل العلمي نظر شيوخه وأساتذته في ذلك الوقت .

لكنه لم يكن سعيدا في حياته، ولم ينل تقديرا في أثنائها، ولم يكن محظوظا بعد مماته ، فعانى من صحة سقيمة ولاسيما في أواخر أيامه ، وعاش زاهدا بالحياة الدنيا ، وباع معظم ما يملك في أثناء حياته لاقتناء الكتب أو التحف النادرة أو ليصرف على ملذاته حتى بات فقيرا معدما قبيل وفاته .

عرف الأسدي بعض اللغات الشرقية القديم منها والحديث ، وبعض اللغات الغربية ، واهتم بدراسة التاريخ والفلسفة والأدب، وقرأ كثيرا من كتب الأدب والتصوف والتراث، فضلا عن الذواكر الأخرى التي نتج منها في أنشطته الثقافية، وتأثر الأسدي بالمتصوفة العرب وغير العرب - أيما تأثر- وتتبع خطاهم لاسيما (حافظ الشيرازي).

ومالت نفسه إلى التأليف فوضع عشرات الكتب النوعية في شكلها ومضمونها، ولعل أهمها على المستوى المحلي والعربي والعالمي في مجال التراث الشعبي موسوعته.

وللأسدي في الكتابة ثلاثة أساليب :

١. الأول : وهو الغالب ، أسلوب مرسل سهل يجري مجرى الكلام العادي ، وهو أسلوب العامة باللهجة الحلبية ، ومثاله موسوعة نفيسة نادرة هي(موسوعة حلب المقارنة) التي أتحفنا بها ، وجاءت في سبع مجلدات ضخمة .

^٦ ينظر: الفصل الأول

^٧ ينظر: الفصل الثاني

٢. وأسلوبه الثاني سلكه في نظم نفعاته الصوفية (أغاني القبة) التي قوامها العبارة المتسامية والموسيقا الناعمة واللفظ الأنيق ، وفيها خيال شعري وفكر صوفي ومعنى دقيق .

٣. أما أسلوبه الثالث فهو أسلوب عملي علمي مضبوط الألفاظ دقيق المعاني جيد التعبير كتب به معظم كتبه ، وطرق به أغراضا عدة من مثل كتابه (قواعد الكتابة العربية) وكتابه (أيس وليس) .

وكان الأسدي موضع إعجاب أساتذته وإكبارهم لنضح عقله وشدة إقباله على الدرس والبحث والتحصيل واكتسابه معارف كثيرة في أثناء رحلاته المحلية والعربية والأجنبية .

كما أحبه تلامذته وطلابه حبا جما ، وتعلقوا به وبدروسه^(٨) لأنه - والحق يقال - كفاء ومرب ممتاز و موهوب ، لغته سهلة وروحه مرحة وأسلوبه جذاب. - عموما - يدين التراث الشعبي اللامادي الحلبي للأسدي لأنه أنموذج ينبغي لأبناء الجيل اللاحق لعصره من الحلبيين أن يحذو حذوه ويسيروا على نهجه في أسلوبه وأغراضه لأنه قام بأعمال أدبية رائعة تحسب له ولحلب من بعده ، فقد علمنا كيف نحفظ التراث ونصونه، والتراث لا يصفه بجدارة إلا من هال في سماه.

يسرنا أننا نتلمذنا على يديه وتعلمنا منه كل ماسمعناه، واقتفينا أثره في كثير من أعمالنا الأدبية فكان لنا بمنزلة الإمام ، وحسبه فخرا أنه أحيا التراث اللامادي الشائع في حلب، وسيبقى شخصاً مميزاً في ذاكرة التاريخ ولا بد من أن نذكر بخير شخصيات تراثيه مثله، تركت بصماتها في التراث اللامادي الحلبي .

^٨ ومثال ذلك طالب الأسدي في إعدادية الحكمة عام ١٩٦٨م - ١٩٦٩م، د. ناهد كوسا، الذي كان ولا يزال له الفضل الجم في إنصاف أستاذه العلامة الأسدي م. خير الدين في بلاد المهجر ، فضلاً عن تقديره واعتزازه بمدينة حلب، فقد ترأس جمعية أصدقاء العاديات في كندا، وخص حلب و الأسدي بجائزة.

عتبات مصطلحية :

قسمت منظمة اليونسكو التراث إلى :

١. تراث مادي ، تراث عمارة وحجر .
 ٢. تراث لامادي ، فكر وثقافة وأعراف يتداولها البشر ، ويشمل طراز الحياة الاجتماعية بكل مافيها من تقاليد وسلوك وحرف تقليدية وأغان وحكم وأمثال وأقوال متداولة .
- وقد سجلت مدينة حلب في قائمة التراث العالمي سنة ١٩٨٦ م حماية لتراثها وتأكيدا على أصالتها وحفظا لتاريخها وصنفتها منظمة اليونسكو المدينة الأقدم في العالم المأهولة بالسكان منذ أربع عشرة الف سنة^(٩).

كما أجمع وزراء الثقافة في المؤتمر الإسلامي الرابع الذي عقد في الجزائر عام ٢٠٠٤ م على تسمية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية ٢٠٠٦ م. وذلك بعد اختيار مكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية .

١- التراث اللامادي:

أ - التراث لغة:

من مادة (ورث) بمعنى الإبقاء على الشيء. يقال: يُورث أي يبقي ميراثاً (١٠) وورد أن " التراث من ورث الشيء أرثه ورثاً لكن الواو قلبت ألفاً فقالوا: أرث. فالتراث هو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بحال أو بحسب أو بنسب " (١١). وجاء في لسان العرب " ورث الشيء يرثه ورثاً ووراثته، و الورث والإرث والوارث و الإرث والتراث واحد " (١٢).

وقد ورد التراث في القرآن الكريم بمعنى الميراث لدى المفسرين؛ وهو إما إرث مادي من مثل ما في قوله تعالى " وتأكلون التراث أكلاً لماً " (١٣). يقصد به مال اليتامى الذي

^٩ اليونيكو : عضو وحيد في الأمم المتحدة يحمل هم التراث والثقافة والعلوم من أصل ٢٧ منظمة وهيئة ضمن عائلة الأمم المتحدة، وقد عمل الأديب الحلبي صاحب مجلة (الحديث الحلبية) سامي الكيالي (١٨٩٨م - ١٩٧٢م) مستشاراً ثقافياً للوفد السوري في منظمة اليونسكو.

^{١٠} الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، مادة (ورث) ج٨، ص ٢٣٤

^{١١} ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، بلا، ط٢، د ، تا ، مادة (ورث)، وينظر: ابن فارس، أحمد، مجمل اللغة، تج: زهير عبد المحسن

سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م مادة (ورث)

^{١٢} ابن منظور، لسان العرب.

^{١٣} سورة الفجر، الآية ١٩.

يؤكل أكلاً شديداً جشعاً، وكان العرب قبل الإسلام يمنعون توريث النساء والصغار ويأكلون ميراثهم، وإمّا إرث معنوي من مثل قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا: " فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً " (١٤). بمعنى أنه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والعلم والأخلاق. فالوراثة هنا معنوية.

ومثال الوراثة المعنوية في الشعر العربي القديم قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبيننا (١٥)

ويقصد بذلك أن لأبائه أفعالاً صالحة يفخر بها لأنها تنسب إليهم. فمفاهيم التراث والموروث والإرث... إلخ متقاربة من حيث ماديتها و معنويتها.

ب - التراث الشعبي اصطلاحاً:

يعرف التراث الشعبي بأنه " كل ما يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه ويمثل تفكيره ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية " (١٦) فهو إبداع عظيم ومؤثر في وحدته الثقافية. ومن المصطلحات التي استعملت للدلالة على مفهوم التراث الشعبي " الموروث الشعبي، الثقافة الشعبية، الثقافة التقليدية، الحياة الشعبية، معرفة الشعب،... الموروثات التقليدية، فنون الأدب الشعبي. وهو تراث جامع شامل يجمع في ثناياه كل ما هو إنساني وقومي ووطني في إطار قيمي وأخلاقي ولعل أبرز مقومات هذا التراث الشعبي ، المواد الثقافية الخاصة بالشعب أي الثقافات العقلية والاجتماعية والمادية (١٧).

وقد عرفه ت. س. إليوت بأنه " توريث السلف للخلف، ويعني به التأثير بما توارث من عادات وتقاليد وأمثال عن طريق النقل من جيل لآخر بولاء أعمى " (١٨).

ويعكس هذا التراث بصورة جلية حياة الجماهير الواسعة وأحاسيسها وأمانيتها وحاجياتها التي تعبر عنها بحكاياتها ورقصاتها وأغانيتها وألعابها... إلخ (١٩).

١٤ سورة مريم، الآية ٥- ٦

١٥ الزوزني، أبو عبد الله الحسن: شرح المعلقات السبع، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، بلا، ص ١٠٧

١٦ النصار، حسين، الشعر الشعبي. ص ١٠

١٧ الخوري، لطفي، علم التراث الشعبي. ص ٩

١٨ إليوت، ت س، مقالات من طبيعة الشعر و النقد. ص ٧٣

١٩ الخوري، لطفي، علم التراث الشعبي، ص ١٩

إن هذا التصوير الدقيق والصادق والحقيقي "البيئة الشعب العربي اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً هو كشف عن حقيقة روح الشعب وانعكاس للقضايا الإنسانية العامة التي بناها منذ مشاركته في الحياة الإنسانية" (٢٠)

كما أن هذا التصوير "تسجيل أمين للبيئة التي أنتجته وعليه ترسم أكثر خصائصها أصالة وعمقاً وتمثيلاً لمواصفات تلك البيئة" (٢١).

ويكتسب التراث الشعبي لاسيما الأدب منه شرعيته علاوة على ما سبق ذكره من جمعه لشملة الأمة ومن صدقه في التعبير عن الإنسان العربي وتكوينه النفسي ومن كونه "الرحم الذي تربينا في داخله جميعاً وتشكلت فيه ملامحنا الثقافية الأولى" (٢٢).

ج - التراث الشعبي علماً (الفولكلور):

الفولكلور: علم يختص بالثقافة التقليدية أو الشعبية Traditional culture

هو" اصطلاح علمي مشتق من الإنكليزية أدخله وليم جون لأول مرة على المصطلحات العلمية سنة ١٨٤٦م وقد عرفه بأنه "المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس، وأنه أدب السلوك وما يراعيه الناس، والخرافات والأغاني الشعبية والأمثال التي ترجع إلى العصور السابقة" (٢٣)

وقيل: إنه ترجمة للمصطلح الألماني (فولك سكندة) التي تعني (أساطير شعبية) الموجود منذ عام ١٨٠٦م في القاموس الألماني. (٢٤)

وقد وصفه قاموس الفلكلور الأمريكي بأنه جميع العقائد الشعبية القديمة والعادات والمأثورات، وهو الاصطلاح الجامع لطائفة من الظواهر الماثورة يؤلف بينها. إنها تعبير عن دور التراث أكثر من غيرها من الظواهر الثقافية والاجتماعية. وهو المأثورات الروحية الشعبية وخصوصاً الشفوي منها (٢٥)

٢٠ خورشيد، فاروق: أضواء على السيرة الشعبية، بيروت، د.ت.أ، ص ٢٥

٢١ الخوري، لطفي: مدخل إلى البحث الميداني من علم الفلكلور. ص ٩

٢٢ قباني، نزار، ما هو الشعر، منشورات نزار قباني، بيروت، د.ت.أ، ص ١٦٦

٢٣ سرحان نمر: إحياء التراث الشعبي، دار ميلاد، الأردن، د.ت.أ، ص ٢١

٢٤ ينظر: عشراوي، حلمي: الفلكلور قضاياها وتاريخه، ص ٧

٢٥ ينظر: العنتيل: فوزي: الفلكلور، ما هو؟ ص ٣٦ - ٣٧

إن التراث الشعبي علم من العلوم الإنسانية، الغاية من دراسته فهم وظيفته النفسية والاجتماعية في حياة الإنسان التي يعبر عنها بطريقته وأسلوبه تعبيراً عن تطلعه وتفسيره للمجتمع الذي يعيش فيه... (٢٦)

ويشمل الفلكلور الموروثات الشعبية والتقليدية كلها المتعلقة بالمعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد والقيم والأخلاق وطرائق العيش من جيل إلى آخر، ويضم الابتكارات التقليدية للناس البدائيين أو المتحضرين، وهذا يتم إنجازه عن طريق الممارسة اليدوية العملية أو استخدام الأصوات والكلمات في شكل شعري أو نثري عن طريق الفم يستوعب الأمثال والحكم والأشعار والحكايات والأساطير... إلى غير ذلك من فنون القول الشعبي .

وقد أقترح د. محمد عابد الجابري تعريفاً للتراث فقال " التراث هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد" (٢٧) وهذا تعريف عام يشمل التراث اللامادي والمادي ، كما يشمل التراث القومي والإنساني في آن ويربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

اعتمد المؤتمر العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) بوثيقة كثيرة البنود والافكار تعريف مفهوم التراث الشعبي الذي قدمته الحضارات والثقافات العالمية في دورته الثانية والثلاثين والذي انعقد في باريس من ٢٩ ايلول إلى ١٧ تشرين الأول ٢٠٠٣م بعبارة (التراث الثقافي غير المادي) بما يعني: (الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات) وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي.

وهذا التراث الثقافي اللامادي المتوارث جيلاً عن جيل، تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بنيتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها. (٢٨)

^{٢٦} ينظر : الخوري ،لطفي: علم التراث الشعبي ، ص ١٩
^{٢٧} الجابري، د. محمد عابد : التراث والحداثة ، دراسة ومناقشات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ٤٥
^{٢٨} تنظر: وثيقة اليونسكو الخاصة باتفاقية التراث الثقافي غير المادي، باريس، ١٧ ت ٢٠٠٣، في الملحق رقم /٧/

وتتمثل الثقافة الشفهية في قول الجاحظ: "إذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلدت نفسه، وفسد حسّه، ومن أجل ذلك كانوا يروون الصبيان الأراجيز، ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت، وتحقيق الإعراب؛ لأن ذلك يفتق اللهاة، ويفتح الجرم"^(٢٩).

والأسجاع في رأي الجاحظ لبّ الثقافة الشفهية وهي تساعد على نمو الذاكرة، وتورث المهابة وتحفظ السيرورة، وهي مطلب يروّض الناس أنفسهم عليه ليكبروا في أعين الناس، والشفاهة دليل على الفطنة والدهاء وجودة التعبير عما في الذاكرة؛ لأن أهم ما تتصف به البديهة والارتجال والوصل بين آثار السلف وآثار الخلف.

ومن أبرز سمات التراث اللامادي العفوية، إذ يُنطق من غير تخطيط ولا إعداد ولا دراسة مسبقة، كما يمتاز بالشمولية والعمومية لكونه إبداعاً جماعياً مشتركاً ومتداولاً بين مختلف فئات الشعب، والتراث اللامادي هو ما هو معاش وممارس، وإن كان في الأساس قد أبدعه فرد أو أنتجته حادثة وقعت فعلاً، وهو بذلك مكون مهم من مكونات الذكاء الجمعي ولا يضير هذا التراث الشعبي أن يتسم بالتجدد، فقد تضعف فيه أشكال وتلاشى أخرى وتولد أشكال أخرى تضمن له غنى الدلالة وقوة التأثير كما تضمن الاستمرارية وملاءمة مقتضى الأحوال.

يتمسك الحليون - عموماً - بتراثهم المادي واللامادي في آن؛ بوصفه رصيماً خالداً لوجودهم، وإراثاً معنوياً يحمل الوطن في القلب والذكرى في ثنايا المأثورات الشعبية.

د - المأثورات الشعبيّة:

تعد المأثورات الشعبية :

تعد المأثورات الشعبية نوعاً من الرسائل الخلقية لبناء الحياة الخيرة، ولعلها أول ماتفوه بها حكماء وأصحاب تجارب، وقد تناقلتها الشعوب وتوّرت بمدلولاتها وتمثلوها بها.

٢٩ الجاحظ، أبو عمر بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج ١، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص ٢٧٢.

واللافت النظر أن القرآن الكريم والإنجيل والتوراه تزخر بالمأثورات الشعبية من حكم وأمثال وعبارات وأقوال في مختلف الموضوعات الإنسانية.

والمأثورات الشعبيّة على اختلاف أنواعها إبداع المخيلة الشعبيّة، تنبثق من تجربة إنسانيّة محدّدة تؤسّس لشيء ما، يُخزّن في أعماق لاوعي الإنسان الذي يعيش في حال حنين إلى الماضي، والموروث الشعبي السائد الذي يتردّد على ألسنة معظم الحلبيين قولهم: (ياريت أيام زمان تعود)، وقولهم: (مَنْ ضَيّع قديمه تاه). وقولهم: (اللي مالو قديم مالو جديد)

والمأثورات الشعبيّة تسجيل لتجارب إنسانيّة أثرت في حياة الإنسان الجدّ والإنسان الابن والإنسان الحفيد، وشملت خبرات روحية واجتماعية وثقافية، واستوت بوصفها نماذج عليا يُقاس عليها في كلّ زمان ومكان، والذي ليس له ماضٍ ليس له حاضر ولن يكون له مستقبل، ومن ذلك كلّ أخذت المأثورات الشعبيّة أهميتها لصدق دلالتها وإظهارها طرفاً من الحقائق التاريخيّة.

وقد تشكّلت المأثورات الشعبيّة على مدى مئات السنين، وهي مرنة طرأت عليها تعديلات وتغييرات، ومأثورات الأدب الشعبي - عموماً - مجهولة المؤلف عاميّة اللهجة متوارثة جيلاً بعد جيل بالرواية الشفويّة، ولم يعرف قائل المأثورات الشعبيّة الحقيقي، وقد تحوّلت مع الزمن إلى نتاج جماعي، وأصبحت تُنسب إلى المجموعة في نشأتها وتطورها، وترتبط بين أبناء المنطقة الواحدة ارتباطات حسية ومعنوية يتداولونها فيما بينهم شفاهةً أو ممارسة عملية لتستمرّ عبر الأجيال.

وأهمّ ما يميّز المأثورات الشعبيّة - عموماً - قدرتها على الاستمرار في عمليّة الخلق والإبداع والرصد والتعزيز للقيم مع تتابع الأجيال، فيتحوّل الموروث الثقافي إلى مآثور ثقافي حيّ في تواصل مستمرّ.

وقد ذكر العلامة محمّد خير الدين الأسدي في موسوعته خمسة وخمسين نوعاً منها؛ من مثل: (استعاراتهم- أشعارهم- اصطلاحاتهم- اعتقاداتهم- أغانيهم- أناشيدهم- ألغازهم- أمثالهم- أهازيجهم- أيانهم- تحياتهم- تشبيهااتهم- تعبيراتهم الحديثة- تمجكاتهم- تملقاتهم- تهكماتهم- تورياتهم- جناسهم- حكاياتهم- أساطيرهم- حكمهم- وصاياهم- خرافاتهم-

دعائهم- سبابهم- شدياتهم- عاداتهم- عثرات أقلامهم- عكايز كلامهم- عنجياتهم-
قلنتاتهم- حوارهم- كناياتهم- لخماتهم- لوحاتهم- مجازاتهم- مجاملاتهم- مزاحهم- مآكلهم-
معاظلاتهم- مناغاة أمهاتهم- مواويلهم- نداء باعتهم- أذكارهم- نهفاتهم- نوادرهم-
تندراتهم- ههوناتهم... إلخ^{٣٠}

في حلب مفردات لغوية تخص ساكينيها ، وتنسب إلى بيئتها بالتحديد، وهذا ما يطلقون
عليه اسم (اللش الحبي).

وتعكس حلب حقيقة الشخصية الحلبية ، التي ولدت في ربوعها وترعرعت ، ولها
أكبر الأصر في تكوينها، ومعظم المأثورات المتداولة والحكايات الخيالية والسير والقصص
التراثية والمعتقدات الشعبية العربية من مثل حكايات الشطار والجان وجحا وألف ليلة وليلة
... إلخ، ومن مثل: سير عنتر بن شداد، وسيف بن زي يزن، والأميرة ذات الهمة، والظاهر
بيبرس، وحمزة البهلوان، وعلي الزبيق، ... إلخ لها حضورها في الثقافة الجمعية المحلية وفي
اللاشعور الجمعي الحلبي – عموماً – وقد اتخذ نفر من الأدباء (البيئة المحلية خامة حكاية)
والمقصود بالمحلية على نطاق ضيق لا على مستوى القطر بأكمله^(٣١).

والعودة إلى التراث ليست بالأمر الهين، لأنها تحتاج إلى فهم عميق لاستكناه مدلولاتها
ومقاصدها والنظر إلى عصاره هذا التراث العربي وأفكاره بمجهر الحداثة.

وهذه المأثورات الشعبية الشائعة في حلب بنت بيئتها الحلبية التي نشأت فيها، وهي
غنية بالرموز التي تكشف عن تجارب الإنسان الحلبي مع نفسه ومع من حوله، ولطالما عاد
النقاد والأدباء إلى المعطى الشعبي لتفسير ظاهرة ما، وتمتاز هذه المأثورات الشعبية –
عموماً - بالفطرية والسيرورة والعراقة والواقعية وباختزانها لكثير من العادات والتقاليد
والطقوس والأعراف.

^{٣٠} ينظر : الأسدي ، م . خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، أعدها للطباعة ووضع فهرسها : محمد كمال ، مجلد ٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ –
١٩٨٣ م مطبعة جامعة حلب ، ص ٤٦٥ – ٤٧٥ – أخرج الأستاذ الشاعر محمد كمال موسوعة حلب المقارنة إلى الوجود بإمكاناته البحثية والأدبية
المتميزة فقد أبدع في تصنيفها والتقديم لها وشرح آليات عمل الأسدي فيها و إخراجها بحالتها الراهنة، بجهد شخصي منه تفرغ فيه ما يقرب العقد من
الزمان ، لازمته فيه في معهد التراث العلمي في حلب أياماً وإيام فما مل ولا كل ولا توان يوماً عن بذله قصارى جهده في ذلك في حين تخطى كثير
من المدققين اللغويين عن هذا العمل بحجج واهية، وهذا جهد يكتب له في حسنات أعماله – إن شاء الله - .
(٣١) وتار ، د. محمد رياض: توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢ ، ص ٢١٧ .

وينظر نفر من الباحثين إلى مآثرات الأدب الشعبي نظرةً قاصرةً فيرون أنه لا يرقى إلى منزلة الأدب الرفيع مع أن واقع الساحة الثقافية العربية يدلّ على عكس ذلك، حيث تسعى معظم الأقطار العربية إلى جمع مآثرات هذا الأدب الشعبي ودراستها للحفاظ عليها وصونها بالتدوين، ومن المؤسف أن طوفاناً من المآثرات الشعبية شائع في الأقطار العربية شفاهاة من غير تدوين أو دراسة إلى الآن، في زمن تفتّت فيه العولمة وطغت، والتي من أبرز أهدافها مسح خصوصيات الشعوب الثقافية التي تحدّد هويّتها، وتوجّه انتماءها، وجعل العالم قرية واحدة ثقافتها تنطق بلغة واحدة هي الإنكليزية.

ه - حلب لغة :

ولعلّ من المفيد أن نلقي الضوء على تاريخ حلب ومعنى (حلب) على عجلة من أمرنا، إذ يعود تاريخ حلب إلى سبعة آلاف عام مضت وانصرفت، وهي من أقدم المدن المأهولة في العالم ، كان عمرها ما يزيد على ألف عام عندما أنشئت روما... وهي أكثر البلاد حضارة وازدهاراً. تحطّت رقاب الزمن ، وامتطت ظهور العصور حتى بلغت سويداء العصر الحجري ، يشهد لها بذلك ما اكتشف من مغاور، وما أظهرته حفريات (باب الفرج) في السبعينيات من القرن العشرين، فقد اكتشفت في (مغارة الخناقية) الواقعة في حيّ السريان القديم مقاعدٌ منحوتة في الصخر الحواري . كما شوهدت خلوات هي أشبه بالغرف، وعثر على أنية فخارية وأسلحة حجرية وعظام ، وشوهدت على جدران المغاور رسوماتٌ ونقوش تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، أي العصور التي سبقت اختراع الكتابة . وبلغت حلب أوج ازدهارها في عهد الملك (أريم) ملك مملكة (يمحاض) الواقعة شمال سورية . وهو أول السلالة العمورية .

ويعني لفظ حلب في اللغة العمورية (الحديد والنحاس) . وقيل : كانت حلب معاصرة لمملكة حمورابي ، بل قيل : إنها كانت عاصمة مملكته .

ومعنى حلب في اللغة السريانية " البياض " ، وقد سجل فيها أكثر من /١٥٠/ أثراً مهماً في السجلات الرسمية الأثرية ، ووضعت الإشارة على صفحاتها التاريخية . وقد نال الفرنسي "سوفاجيه" درجة الدكتوراه بإحصائه للمباني التاريخية في حلب ، وسجّلتها منظمة اليونسكو في عام /١٩٨٦ م/ في قائمة المعالم التاريخية العالمية الواجب الحفاظ عليها .

وفي عام /١٩٠٠ م/ قبل الميلاد مرّ بحلب أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام وهو في طريقه من حرّان إلى فلسطين . وفي قلعتها حتى يومنا هذا مسجدٌ يعرف بمسجد الخليل وهناك مقولة أسطورية تقول: إنه كان لإبراهيم عليه السلام بقرة شهباء اللون ، يوزّع حليبها على الفقراء يومياً . وكان الناس يتساءلون هل حلب إبراهيم الشهباء؟!... فيجيبون نعم ، حلب الشهباء ، قيل : ومنه انطلق عليها هذا الاسم . ولكن الواقع غير هذا. وهذه المقولة الأسطورية مخترعة لا يعضدها البحث العلمي .

وفي أسماء هذه المدينة أقاويل شتى، ولها أكثر من اسم، وسأذكر بعضاً من هذه الأسماء للاستئناس بها . فقد ورد اسم حلب في رقم مملكة إيبلا (أرمان)، و(حلبا). وأطلق عليها (بيلوكس نيكاتور) أحد قواد الإسكندر المقدوني بيروا، لذا خاطبها الأديب "فيض الله الغادري" في مستهلّ كتابه (حلب لؤلؤة التاريخ.. ودرة بلاد الشام) قائلاً: " مهما يكن اسمك حلبا... بيروا.. حلب. فأنت رجع هتاف العصور وأسطورة الأساطير وورثة التاريخ . فوق قممك يمارس السنا لعبة الولادة ، وفي فضاءاتك تغزل السنونو أحلام الآتين يا ذات الشراعيين الغارقين في آه العاشقين المبحرين في صفائر السوسن والليلك.. أنت صغيرة الشمس مرتين.. قبل الطوفان وبعده.. وفي الرؤى المسافرة أنت الشمس والمطر، والغابة التي لا تزهر إلا فرحاً " ٣٢ .

وقد كانت حلب تسمى عند الحثيين (حلباس) ، وذكرت في الآثار المصرية باسم (حلبو).. فليل : معنى (حلب) في اللغة السومرية: التلة المحدبة . وكان الناس يسكنون تلتها المحدبة أي (قلعتها) .

ويُرَجَّح القول في تسميتها وصحّة اسمها ما قاله العلامة المرحوم م. خير الدين الأسدي في كتابه : (حلب - الجانب اللغوي للكلمة) جاء فيه : إن كلمة (حلب) تتألف من جزأين الأول (حل) والثاني (لب) ولفظ (حل) يشير إلى المكانية في اللغات القديمة كلّها وإن لفظ (لب) يشير إلى التجمع والتألب، وبهذا يكون معنى (حلب): مكان التجمع أي دار الحرب، لأنها كانت مكان تجمع الجيوش وانطلاقهم منها إلى الغزوات والقتال والحروب. ٣٣

٣٢ ينظر: الغادري ، فيض الله : حلب لؤلؤة التاريخ ودرة بلاد الشام، ص المقدمة.

٣٣ الأسدي م. خير الدين ، حلب الجانب اللغوي من الكلمة، مطبعة الضاد، حلب ، ١٩٥١م، ص ١٠٠

لماذا التراث الشعبي ؟

أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر التراث الشعبي أنه تراث لا علاقة له بالنخبة ؛ فهو للعامّة وحسب لا يتعداها إلى عليّة القوم . ولكننا إذا أنعمنا النظر ، وأعملنا العقل ، وجدنا أن هذا التراث الشعبي يتماهى في حضارة الأمة ، وعليه يقوم كثير من إبداعها الفكري ، كما يُعدّ خير مرآة تنعكس عليها مختلف نتاجات مبدعيها .

ويعتمد التراث اللامادي عموماً - والأدب الشعبي خصوصاً - على الرواية الشفوية في انتقاله عبر الأجيال وحفظه ، ويرتبط بالعادات والتقاليد والأعراف ، ويعبر عن الضمير الجمعي للمجتمع ، وعن تجاربه الحياتية.

من هنا نستطيع القول : إنّ التراث الشعبي اللامادي من أهمّ مصادر الفكر الجمعي ؛ ذلك الفكر الذي تخلّص من تعقيدات المنطق ، وتحرر من تنظيرات الإيديولوجيات . وإذا كان التنظير يعتمد العقل المحلّل والمعلّل ، فإنّ التراث الشعبي هو صورة تعكس الحياة الثقافية والاجتماعية والنفسية والروحية والذوقية للأمة ، وبذلك يكون التراث الشعبي فكر المجتمع لا تنظيرات الأفراد ، وبالتالي هو الفكر الأصيل لا المصطنع ، الفكر الناتج عن طبيعة الإنسان الصافية ، يتجلى فيه تسامي الأمة على أحسن وجه .

التراث الشعبي- عموماً - هو المخزون الثقافي والمعرفي للأمة جمعاء ، يتجلى فيه الوعي فناً بمختلف أنواعه المادية وغير المادية ؛ فهو يتبدى في تلك المنازع الإنسانية المتغلغلة في شرائح الشعب جميعها ، سواء انتمت هذه الشرائح إلى العامة أم إلى الخاصة .

من هذا المنطلق مثلّ التراث الشعبي - ولا يزال - صورة الشعب الصادقة ، العاكسة لعقله وقلبه وروحه وحسه وذوقه معاً . وهو في ذلك يعبر عن ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها أصدق تعبير .

يمثل التراث الشعبي نسيجاً من تجارب إنسانية جماعية سابقة تركها الأجداد للحفدة وتناقلتها الأجيال عبر العصور .

وتحرص الشعوب الحية على تخليد تراثها الشعبي تتناقله الأجيال جيلا بعد جيل
ويرويه الكبار للصغار ليبقى وشما في الذاكرة ليصل الماضي المجيد بالحاضر المعاش
ويؤسس للمستقبل الواعد .

وما دمنا نؤمن بأن التراث الشعبي تجارب انسانية خالدة تصدر عن الجماعة ويقراً
الانسان منه ماضيه ، ويصوغ من خلاله حاضره ، وينجز منه تطلعاته الى المستقبل .

فهو عبق الماضي الذي ينيّر المستقبل ، ولا يمكن انكار رصانة التراث في كثير من
مفرداته و تعابيره وصوره ولوحاته من حيث الشكل والمضمون ، لكنه لا بد له من أن
يتطور ، واذا لم يتطور فهذا هو الانقطاع عنه .

الفصل الأول

العلامة م. خير الدين الأسديّ تحت المجهر .

١- التعريف به :

لابدّ لنا من استجلاء شخصية العلامة الأسدي م . خير الدين وتتبع أدوار طفولته ويفاوته لأثرها الكبير في تكوين شخصيته.

ولد محمد خير الدين الأسدي لأبوين حلبيين عام ١٩٠٠ م/١٣١٩ هـ في حيّ الجلوم الصغرى بحلب الذي نشأ فيه عبد الرحمن الكواكبي و رشيد مبيض ومحمد جميل العقاد وسامي برهان وغيرهم من أعلام حلب، وهو من أقدم أحيائها واقع داخل السور قرب مدرسة الوحدة وحي الصوف ويتاخم أسواق المدينة وخاناتها وجامعها الأموي ، ويتمثل في سكان ذلك الحي العريق معظم عادات الحلبيين، وقد كان يقطن منطقة داخل السور المدنيون (أهل جُوا) ويسكن حارات خارج السور ماقدم إليها من سكان القرى والبادية (أهل بَرا)، وفي اعتقاد الحلبيين : (بيت بَرّات السور ما بيسوا عصفور).

وافتى اليقين الأسدي عام ١٩٧١ م في المبرّة الإسلامية بحلب^(٣٤) . أبوه الشيخ عمر رسلان (أسد)^(٣٥) من أعلام رجال الدين الحلبيين أستاذ علوم النحو والصرف في المدرسة العثمانية (الرضائية)^{٣٦} الكائنة في حي باب النصر، والمدرسة الخسروية قرب القلعة ، وأمه أسمه شَماع من أسرة حلبية احترفت التجارة وله شقيقة واحدة فقط وقريب واحد اسمه فاتح رسلان ، وكان الأسدي يقول : **إن جده السابع كان انكشاريا .**

نشأ محمد خير الدين نشأة دينية تقليدية وبدأ دراسته في مكتب (شمس المعارف) الذي افتتحته السلطنة العثمانية بجوار قلعة حلب ، والتي فرضت التعلم فيه باللغة التركية لغة أولى واللغة العربية لغة مهمشة إلى جانب اللغات الفارسية والفرنسية والإنجليزية ، ثم تابع دراسته بعد عام ١٩٠٦م في المدرسة العثمانية (الرضائية) حيث كان والده يدرس فيها^{٣٧} ، والتي كانت تضم نخبة من المدرسين الأعلام من أمثال : الشيخ بشير الغزي في علوم النحو ، والشيخ محمد الحنفي في البلاغة العربية ، والشيخ محمد الزرقا في الفقه الإسلامي وعلوم الدين ، والشيخ محمد بدر الدين مدرس الأدب والشريعة الذي قال عنه الأسدي في موسوعته

٣٤- عبد المحسن ، محمد حسن : الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي ، دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، بإشراف : د. عمر الدقاق و د. فؤاد المرعي ، جامعة حلب ١٩٨٢م ، ص١٩ ، وينظر : عبد المحسن، محمد حسن : الأدب الشعبي في حلب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٤ م ، المقدمة .

٣٥- " رسلان " بالتركية تعني الأسد ، قام والدها بتغييرها ، وأضاف لها خير الدين ياء النسبة في مؤلفاته وقدمها على الاسم .

٣٦ ينظر : الملحق رقم ٣ / صورة للمدرسة ولغرفة إقامة طلابها.

٣٧ لا تزال موجودة في حي باب النصر ، وهي الآن مسجد .

: من كلامهم : (بدر الدين النعساني بتقضي معو وقت كويس)^{٣٨} ، وأنهى دراسته في المدرسة الرشيدية وحصل فيها على الشهادة الرشيدية ، التي تعدل اليوم الشهادة الثانوية، فقد درس خير الدين منذ فتوته على يد كبار العلماء والأدباء في عصره فأفاد من ثقافتهم ومعارفهم وأخذ عنهم ، وتابع تحصيله العلمي بجهده الشخصي .

إن الظروف الأسرية التي عاش فيها الأسدي غير مستقره، نتيجة طلاق والده لوالدته ثم زواجه من أخرى ، وبدأ يشعر بالتعاطف مع والدته التي صدمت بهذا.

ولعل من أسباب طلاق والده لوالدته عدم قدرته على الاستسلام لعاميتها وكونها لاتجيد القراءة والكتابة فهي من أسرة تجارية لا تهتم بالعلم مثله وهو المثقف. - عموماً - لم يكن الأسدي م. خير الدين راضياً عن تصرفات والده.

فقد صُدم الأسدي في بداية شبابه بانفصال والديه ، وازدادت معاناته حين سافر والده إلى مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٠ م للتدريس وكان كثيراً ما يغادر منزله ليزور الكعبة الشريفة في مكة المكرمة والقبر النبوي في المدينة المنورة ، ولطالما مكث الشيخ عمر إلى جوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأدى فريضة الحج والعمرة مرات عدّة وعاد إلى حلب عام ١٩٣٧ م ، بعد زواجه الثاني ، وحين وافاه اليقين عام ١٩٤٠م قام محمد خير الدين بواجب الدفن بحسب الأعراف والأصول، في حين توفيت والدته التي كان يعيش معها والتي كانت هاجسه^(٣٩) ، ورفيقة دربه عام ١٩٥١م ، ففقد محمد خير الدين بذلك آخر عون له في حياته المادية والمعنوية ، وكان منزله وقتئذ في حي العقبة العريق حيث كان يذهب يوميا إلى جامع القيقان الذي أعجب ما فيه لوحة منمقة بالخط الهيروغليفي ، والتي كشف الأسدي أن المندوب الفرنسي قد سرق هذه اللوحة . وبعد وفاة والدته انتقل من داره في حي الأنصاري موقع الشيخ محسن في حي سيف الدولة الآن إلى غرفة صغيرة في موقع العبارة حالياً قرب شارع بارون ، ثم انتقل إلى دار في محطة بغداد ، ثم اشترى أخيراً داراً طابق (أبجور) مطل على الشارع الفرعي جانب جامع عمر بن عبد العزيز قرب مدخل الحديقة العامة الشمالي ، في بناية البستاني التي بعدها مباشرة سور السكة الحديدية ، وكان أمام بيته حجرة ضخمة مثل التواء الظهر ، مكتوب مقابلها (الله نور) .

^{٣٨} الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٢ ، ص ٣٦٩
^{٣٩} - إن أنس لا أنسى قوله لي حين كنت أجيء إلى منزله في محطة بغداد جانب جامع عمر بن عبدالعزيز ومعني سكة (طعام وخبز) : (رغيف خبز أُمي يختلف عن رغيف خبز أمك) .

لقد ورث الأسدي بيوتا عدة كان يستثمرها ، ويشترى الكتب من ذلك المال وكثيرا ما كان يبيع دارا ليطلع كتابا أو ليشتري تحفاً .

وهكذا قضى الأسدي حياته مثل الطير على الغصن ، لم يشأ أن يتعلق بعائلة ، واهتم اهتماما كبيرا بتحصيل علوم اللغة العربية وآدابها ، وفتن بالدراسات التاريخية ، وتخصّص في جمع التراث الشعبي اللامادي الشائع في حلب ، وكان شغوفاً بالسفر لزيارة الأماكن المقدسة والتراثية وتحصيل المعارف من مظانها عن طريق اطلاعه على خزائن الكتب والمخطوطات وتواصله مع العلماء والباحثين في تلك البلدان^(٤٠).

كما كان الأسدي كثير التطواف في أسواق حلب وخاناتها وحراراتها يقضي بياض نهاره في بيته الكائن بحي الشيخ طه ، وما أن يقبل العصر حتى يذهب إلى مقهى العطري أو مقهى السندباد أو إلى الحديقة العامة ليجد نفرا من أصدقائه أو مرديه ؛ يلبس الباكستانية (قبق) و شارباه يغطيان لحيته^(٤١) ، وكثيرا ما ردد على مسامعنا : (أنا حلبي من سبع جدود) ، و لطالما مد يده السليمة ومسح رأسي.

إنني الآن أتصور الأسدي بقامته القصيرة ووجهه الجهم وصوته الهادئ المميز وحديثه العذب ، ولحيته الطويلة الكثيفة ، أتذكر أنه كان يحلق عند أبي محمود الحلاق في العبارة خلف سيروب .

وقد عاصرت الأسدي في أواخر حياته ، وكنت أزوره في بيته مع زملاء وأساتذة من مثل فريد حجا والطبيب نجيب زهدي والطبيب إحسان الشيط ونعمان سخيطة ولؤي فؤاد الأسعد وغيرهم كثير، ومن عادته أن يقدم لنا الشوكولاته ومع كل ضيافة كتاب من مؤلفاته، وأعجب ما رأيته في منزله مجموعة الجماجم وقصاصات الكتب.

وكثيراً ما كنا نرافقه في الحديقة العامة علما أنه كان دائما يستيقظ باكرا مع الفجر ويتجول فيها لقربها من منزله ، وكان يكتب أحيانا في أثناء جلوسه على مقاعدها، و يكتب في مقهى السندباد وفي قهوة البلور في الجميلية التي بعد خرابها بني مكانها قهوة العطري وانتقل إليها الأسدي ، وندر أن صاح أحدهم له إلا بعبارة (أستاذ خير الدين) بكل مودة واحترام .

٤٠- ينظر : أهم الأقطار التي زارها الأسدي في حياته : رحلاته السبع في الفصل الثاني من هذا البحث تحت عنوان (رحلاته التي قام بها) .

٤١- ينظر الملحق رقم ٧/ الصورة الثالثة .

وكانت هذه المجالس الصباحية في الحديقة العامة أو في قهوة السندباد و قهوة البلور ومن ثم قهوة العطري -بحق- أشبه بصالونات أدبية ، تفوح فيها نوادر أدبية فكاهية طريفة ، وتترنم فيها الأشعار والمأثورات الشعبية الحلبية ، وتتردد فيها روائع مفردات اللهجة الحلبية الدارجة . وكان الأسدي برقة حديثه وروعة مجلسه وبتواضعه الجم وحيائه المفعم بالتنوع كثيرا ما يعلق على هذا ويسخر من هذا بنكهة حديثه الطيبة ، وبنكاته البريئة التي كانت لولب المجالس ، كما كانت همة الأسدي لا يبددها نقد نفر من المتنطعين له ولأعماله ، ولا يغضبه قولهم فيه وكان من المؤسف حقاً أن يسخر نفر من جلسائه منه في غيابه أو في حضوره ، قال الأسدي في ختام سورة السواحي من أغاني القبة :

((إن تاج العريفة لا يؤتاه إلا فكه الطباع

، سني المواهب ، ذو الغرر والأوضح ...

عليم : عن الذرات الرعشة بين يديك ،

نصبو إليك ، ونعلم أنك تعلم مرامينا ، إنك أنت

علام الغيوب))^{٤٢}

ومن خلال علاقتي الشخصية به ، لاحظت في أثناء الحوار معه ، وكان هو الراوي وأنا من بين المستمعين، جملة من المواقف ، فقد كان يأتي بما يناسب من المأثورات الشعبية الحلبية المعبرة ، وحافظته عجائبية للأشياء والأحداث والمناسبات ولطالما أدهش مجالسيه ومحاوريه بالنوادر والإلمحات الذكية .

احترف الأسديّ التعليم فدرّس مادة اللغة العربية ؛ أدبها ونحوها وصرفها وبلاغتها ، في مدارس عربية وأجنبية عدّة في مدينة حلب ، من مثل المدرسة " العربية " منذ عام ١٩١٨م وبعدها علم في المدرسة الشرقية ثم في المدرسة الفاروقية ، و درّس في مدرسة (الهايكازيان) الأرمنية ، وفي مدرسة (الأليانس) اليهودية، كما درّس في (الترسانتا) إلى عام ١٩٥٦ م وفي الكلية العلمانية (اللايك) المعروفة باسم المعهد العربي الفرنسي ، الذي أحرقه المتظاهرون تأييداً لمصر في أثناء العدوان الثلاثي عليها ، وفي أواخر حياته اضطر الأسدي نتيجة ظروفه المادية الصعبة لتدريس بعض الساعات في مدارس مديرية التربية بحلب من مثل ثانوية الكواكبي ، وإعدادية إسكندرون لمدة زمنية طويلة ، وآخر مدرسة

^{٤٢} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، نفعات صوفية ، مطبعة الضاد ، حلب ، ١٩٥٠م ، ص٤٥

درّس فيها الأسديّ في أواخر ستينيات القرن الماضي كانت إعدادية الحكمة ، التي مديرتها وقتئذ (فوزي عبدالهادي كمال) .

كان الأسدي يرغم طلابه على تعلم اللغة العربية والتحدث بها، وقد ألف كتابه المدرسي : (قواعد الكتابة العربية) في أثناء تدريسه في مدرسة الفاروق عام ١٣٤١هـ، ومع حرصه الشديد على اللغة العربية فقد دعي الأسدي مرّة إلى الاشتراك مع لجنة لتتريك أسماء القرى العربية فرفض وأبى ذلك^{٤٣}

وبالمقابل كلف الرئيس جمال عبد الناصر الأسدي برئاسة لجنة لتعريب أسماء القرى والمدن شمال حلب ، فرفض الأسدي هذا التكليف واعتذر، وكتب رسالة لعبدالنصر علل فيها سبب الاعتذار وسبب رفضه بأن ذلك العمل تشويه للتراث والحضارة في المنطقة .

وكان الأسدي في أثناء تدريسه يغرس في مريديه وطلابه أفكار وآراء معاصرة و يتابع بحوثه ودراساته وينشرها حيث تتاح له الفرص ، بكل تواضع وتقان ، فصرف همته إلى تخليد حلب وجمع تراثها ، كما كان شديد الوله بالآثار القديمة واقتناء التحف الفنية والأثرية النادرة ، إذ تضم خزائنه مجموعة من هذه التحف اجتلبها من شتى البلاد التي زارها ، كما تضم مجموعة من الصور الأثرية الفريدة يربو عددها على أربعين ألف صورة رتبت على حروف الهجاء ، ولذلك كان من أبرز العاملين على تنشيط النهضة الأثرية في مدينة حلب وما حولها .

أما الجانب المهم من حياته فهو نزوعه إلى الأسفار ، إذ كان لا يكاد يستقر في حلب حتى يسافر مرة ثانية إلى جهة من الجهات ، فقد قام برحلات عدة إلى فلسطين وتركيا وإيران والعراق ، وزار بعض البلدان الأوربية ، ثم طاف في بلاد المغرب العربي وإسبانيا والسودان واليمن والحجاز والحبشة .^{٤٤} وقد تعرف في هذه الرحلات إلى أعلام الفكر والأدب وأقطاب العلم وأقام مع كثير منهم صداقات وطيدة تعمقها المراسلات المستمرة والصلات الدائمة ، ويتضح لقارئ موسوعته أثر هذه الرحلات فيما يتناثر فيها من إشارات إلى لهجات بعض الشعوب وطرز حياتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها .

لقد أفنى الأسدي سني عمره في فاقة وعوز ، ليس له من مورد يرتزق به فينق منه على طعامه وعلاجه وإغناء مكتبته سوى ما كان يتقاطر من حرفة التعليم والأحاديث

^{٤٣} ينظر : مجلة العاديات ، حلب ، العدد صيف عام ٢٠١١م ، ص ٢٦٢
^{٤٤} ينظر : رحلات الأسدي في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

الإذاعية من أجر ، وما أكثر ما كان يجف ذلك المورد ، ومع ذلك ما كانت لتفارق وجهه بسمة الرضى واليقين والتسليم ، بل تراه يأخذ نفسه بمسلك المتصوفة فيجرح إلى الزهد والقناعة من غير أن يلج أبواب العزلة والانقطاع ، فقد كان حريصا على مجالسة الأصفياء من الناس والاختلاط بهم ، فإذا كان في ملاء من أصدقائه طاب بهم المجلس وحسن اللقاء بما يبسط من الأحاديث الطريفة والأخبار المانعة إلا إذا ألقى ثقيلا بظله عليه فما شئت من تعليقاته الساخرة وإشاراته اللاذعة^{٤٥}

لعل الأسدي من إوائل المنتسبين إلى جمعية العاديات في حلب ، وقد شغل منذ عام ١٩٥٠ م حتى وافاه اليقين بعد انتخابه منصب نائب رئيس جمعية العاديات بحلب التي قارب عمرها قرناً من الزمن، وحين كان رئيسها عبدالرحمن كيالي ، وظل يعمل في هذه الجمعية ، ويشارك في منتدياتها ، ويغذي مجلتها وندواتها بجهوده العلمية وبقراءاته وبحوثه ورحلاته التي لم يفوت أي رحلة من رحلاتها المحلية أو العربية أو الدولية . وهكذا باتت سيرة الأسدي بين صحبه ومحبيه وأصدقائه نفحة عطر يعجز القلم عن رسم نقائها .

وإن أنسى لا أنسى في يوم تأبينه إرسال سفارات عدّة ؛ عربية وأجنبية أكاليل زهور ، وكان أروعها ما أرسلته السفارة الجزائرية .

علاقتي معه :

مهما كان الباحث موضوعيا ، لن يستطيع تنحية ذائقته الفنية وحده النقدي جانبا ، وأي إبداع أدبي لا يثير اهتمامنا ويحرك مشاعرنا ويهز أحاسيسنا لن يكون جديرا بالبحث والدراسة .

وأقرُّ بأن تجربتي جاءت مبكرة في التراث لشعبي الشائع في حلب حين رافقت الأسدي الذي قدم جهدا كبيرا وعطاء عظيما للشهباء . فقد كان بحق أبا كبيرا لم تلده أمانة ، ورائداً من رواد المشروع الثقافي الحلبي ضمن إطار الانتماء إلى المشروع الثقافي الوطني والعربي الذي كان حضوره قويا في فضائه ، وقد انتصر الأسدي بمشروعه الثقافي المحلي

^{٤٥} ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مجلد ١ ، ص ١-٢ من التصدير بقلم محمد كمال

أيما انتصار، ذلك المشروع الذي دعمه بقراءته الثرة لدوائر المعارف، وبمعرفته بلغات عدة قديمة وحديثة.

يعد الأسدي من رجال البيان الفحول في اللغة والأدب و من الصفوة في تتبع التراث الشعبي الذي عكف على جمعه وحببه إلينا ، فقد أعلى من شأن حلب وقدم لها وناضل في سبيل عزها، وأراد لحلب أن تسابق النجوم وتصافح المفاخر ، وبات منارة تستنير بها الأجيال وقدوة تحتذى في التواصل بين القديم الأصيل والحديث المتداول بوساطة جمعه أطايب فنون القول الحلبي .

كان رحيله موجعا ، أضنى أفئدة محبيه من زملاء وأصدقاء وطلاب ، فهو من حمل رقة الأدباء ، وروعة المثقفين، وجدية المعلمين المعروفين ؛ في روحه ووجدانه وعقله ، وقد حظيت بتتبع آثاره بعد فقدانه ورحيله ، وتلمست العزاء به من خلال مؤلفاته وأبحاثه التي أبدعها ، فالمبدع لا يموت ، فهو يعيش من خلال إبداعه .

عرفته من خلال مرافقته في أواخر أيامه واقتناء معظم مؤلفاته التي خلدهت وتركت بصمته واضحة جليلة في الإبداع الثقافي . وصورته في القلب لم تغب عن خاطري و خفة الروح وحديثه بهدوء ، وبجمل بسيطة وبعبارات مأنوسة لا أنساها فهي راسخة في الذاكرة ، لاسيما في المواقف الحرجة.

ومن نهفات الأسدي :

كان يغلي الماء حتى يقطر ويجمع القطرات ويشربها . وكثيراً ما استخدم ساعة رملية للاستيقاظ وهو نائم ، وكان مولعا بجمع الآثار القديمة والصور والتسجيلات الصوتية والموسيقية ، وغالبا ما كان ينفق معظم ما يكسبه في شراء الكتب القديمة و(الأنتيكات) من مسابح مختلفة الألوان ومجسمات نحاسية كما كان يدينه اقتناء التحف واللوحات الجدارية ، وكان من أطرفها في بيته لوحة فسيفاء لحافظ الشيرازي .

ففي إحدى لقاءاته في دار العجزة عندما سئل عن الموت ، قال : " لا أريد من عزرائيل إلا أن يمهلني حتى أنهى ما بين يدي من أوراق وكتب " .

وفي نصوصه الأدبية وبحوثه اللغوية وكتبه العلمية كثير من الجدية ، وملامح الذكاء والبساطة وكرم الأخلاق واضح في طرائق تعامله مع الآخرين .

العلامة الأسدي الإنسان مبدع بامتياز ، ملتزم متحزب إلى حلب ، والأديب بالضرورة يواجه الأسئلة الكبرى ، لقد خدم حلب وعشقها وآمن بقضاياها التراثية ، وقد علمنا الأسدي كيف يكون الانتماء . وهو حي في قلوب كل محبيه وفي قلب كل عربي أصيل يحب التراث ، وهو من تحدّى النسيان فكتب اسمه على جدران الثقافة بحروف من ذهب . كان قابلاً للحياة بكل توجهاتها ، كل من كان حوله يحتفي به ، نحن في حال تأسف ، ونواسي أنفسنا بفقدانه ، ومازالت كثير من الصور له والذكريات عنه تفاجئنا .

لطالما راجعت ذكرياتي مع الأسدي في داره في حي محطة بغداد الشارع المغلق الموازي لجامع عمر بن عبد العزيز وفي الحديقة العامة وفي مقهى العطري ، وكثيراً ما عززت ذكرياتي عنه بعد رحيله في ندوات ومحاضرات منذ ثلاث قرن من الزمن في اتحاد الكتاب العرب فرع حلب حول إبداعاته برعاية د. عمر الدقاق عام ١٩٨٤م^{٤٦} ، وفي لجنة التراث الشعبي في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في وزارة التعليم العالي في دمشق ، وفي المركز الثقافي بحلب ، وفي ندوات حلب عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٦م ، وفي ندوات معهد التراث في جامعة حلب ، وغيرها كثير ...

أقر بأنني تعلمت من الأسدي دروساً في الحياة ، واكتسبت منه الجدية والمثابرة في العمل والتعليم والبحث والدراسة وتقصي التراث الحلبي - خصوصاً - والعربي - عموماً - وتبعاً لذلك سعيت إلى دراسة هذا التراث بعد جمع كثير من فنونه ومأثوراته اللامادية ، فكانت رسالتي في دبلوم الدراسات الأدبية العليا موسومة بعنوان : مأثورات الأدب الشعبي الحلبي . دراسة ناقدة في عام ١٩٧٧م بإشراف د. بكري شيخ أمين و د. وهيب طنوس ، كما كانت دراستي في الماجستير موسومة بعنوان (الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي) دراسة وتحليل عام ١٩٨٢م بإشراف د. عمر الدقاق و د. فؤاد المرعي .

كان العلامة الأسدي معلماً مفعماً بالحب لحلب ولأهلها وأقول وأكرر قولِي بأنني قد تأثرت كثيراً بإبداعاته إبداعاته الأدبية وآليات اشتغاله في التراث اللامادي .

^{٤٦} ينظر : الملحق رقم /١/ .

إن شهر كانون الأول من عام ١٩٧١ م^{٤٧} شهر موت العظماء ، شهر موت الأسدى .

سنبقى صامدين إن شاء الله أمام الأزمات ...

^{٤٧} كانت وفاة الأسدى بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ م ، وقد حزن عليه الأسدى حزنا شديدا . وبدلنا جهودا مضنية لتخفيف توتره وألمه وهو مستلق على سريره فى دار العجزة .

الفصل الثاني

سلوكيات الأسد النفسية وأنشطته الاجتماعية والثقافية

١- تصرفات الأسدى السلوكية :

ربما كان السبب الرئيس في عدم تقدير النابغين خلال حياتهم كامناً في التناقض بين خصوصياتهم وعمومياتهم. وفي جعلهم السلبي من سلوكهم حجة عليهم أمام الصادقين والمتظاهرين بالدفاع عن الفضيلة والرصانة والجدة.

العلامة الأسدى بعد أن ثار على العائلة والأهل والناس، وحول نفسه من خير الدين الأسدى إلى الأسدى م خير الدين عاش ولؤلؤه في محاره، ومات والناس كلهم يسعون للتزيين بذلك اللؤلؤ الذي يعد من أغلى جواهر عصرنا الراهن .

إن عائلة أسد من العائلات العريقة في حي الجلوم، ومن أكثر العائلات عطاء للعلم، وريادة له، وممن عاصر فتوتنا يذكر المثل المتداول: (الشيخ محمد أسد، عصايتو بتھري الجسد). وهو مثل يدل شيوعه على أثر تدريسه ، في أكثر من صف، ولكن كيف، ولماذا، بدل الاسم ، وهل كان نتيجة حادثة وموقف؟!

اسمحو لي أن أصور لكم الأسدى من خلال ما رواه لي أحد تلامذته الذي قال : " يوم كنت تلميذاً في الصفوف الابتدائية لمدرسة الفاروقية، وكان هو معلماً فيها، يأتينا بعمامته البيضاء، وثوبه الحريري البراق، تتدلى من حزامه الأنيق سلسلة تشد ساعة من أكبر أحجام ساعات الجيوب وأغلاها يومئذ.

هل أقول أننا فوجئنا بهذا الشيخ الصبي عاري الرأس، يرتدي سترة عادية بدلاً عن الجبة الطويلة، أم أقول إن مفاجأتنا كمننت في تحسنا تبديلاً في جوهر هذا الأستاذ يظفي على التبدل في المظهر؟! وإن ما كان ينثره علينا من طرائف ونوادر بعيدة عن الوقار والحشمة ، ومجردة من الإيمان بالأديان والأديان قد جعلنا نحن صغار التلامذة نلتقط طرائفه ونوادره ، ونضحك لها وكأنها ثامنة عجائب الدنيا ، وإحدى المستحيلات " ^{٤٨}

^{٤٨} في حوار مع الشاعر عبدالرحمن أبو قوس (١٩١٥ - ١٩٨٤) عمل في الصحافة وهو صاحب جريدة (النداء) اليومية وجريدة (الوطن) ، له ديوان (ثورة العبيد) وديوانه (باقة شعر) وعدة مسرحيات ودراسات أدبية وكان مغرماً بأدب الرحلات.

٢- أزماته النفسية:

كانت حياة الأسدي سلسلة من الأزمات النفسية التي شهدها منذ صغره، ولعل أبرز هذه الأزمات يتجلى فيما يأتي^(٤٩):

أ- توتر الأجواء الأسرية نتيجة الخصومات الحادة بين والده ووالدته والتي انتهت بالطلاق، وكانت له صدمة مفاجئة في سن المراهقة؛ لقد تفتح وعي الأسدي على مأساة لم تنته... وكانت عوامل نموه ضحية ظروف أسرية قاهرة، قتلت فيه فرح الأطفال وحبورهم، وحاصرت روحه المرحية، وحرمته من طفولة حلوة بريئة خالية من المسؤولية، وسرى التصدع والشقاق وعدم التفاهم بين والديه، وأدى إلى طلاق أمه أولاً، وزواجه من ثانية وزواجها هي من رجل آخر ثانياً، فحرمه ذلك من كل عطف ودفء وحنان، وعاش محبطاً بسبب ماجرى من حوله. يقول في مطلع سورة السَّوَّاجِي:

هبطتُ هذا الملعب، فوجدتني غريباً

وحيداً . ربّاه ! أين هواة كرامة الكرامة

والإحسان ؟

طغى الطوفان: طوفان البلوى، وجرفت

سيوله منزلي، إلا قصر أحلامي الحافل بهالات

الفتون

انسلختُ من نفسي، كما تنسلخ الحية من

جلدها، ثم نظرت فإذا أنا هو

الدنيا عامرة بالخراب، وكل ما فيها قبض

الرمح، فارفع أذيالك إمّا سرت .^{٥٠}

٤٩- ينظر: عبد المحسن، محمد حسن: الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي، دراسة وتحليل، رسالة ماجستير، ص ٢٤-٢٦.

^{٥٠} الأسدي، م. خير الدين: أغاني القبة، ص ٥١

بدأت هذه المرحلة من حياة الأسدي يوم طرده والده من الدار، وصَفَقَتْ والدته الباب وراءه. ودخلت تتعثر بعمامته التي ألقاها في وجهي الوالدين جواباً بل تحدياً لغضبهما، وابتهاالاتهما الله أن يعيق مسيرته الحياتية ما عاش ؛

يقول الأسدي: إنّه تلقى غضب والديه بلا مبالاة وإنه أقنع نفسه بأن الله قد تحزب له ضدهما عندما طلق والده والدته وتزوج غيرها ، وتزوجت هي رجلاً غيره. فتتكد عيش الجميع ، ولم يصلحه موت الوالد ووراثته مبلغاً مكنه من بناء دار في منطقة الشيخ محسن حي الأنصاري، وإنما استمر النكد حتى موت الوالدة من بعد زواجها بأعوام... وخسر الأسدي داره نتيجة إدمانه المقامرة وملذات الحياة.^{٥١}

يظهر أننا تركنا الأسدي بعد طرده من دار والديه فلنسمع منه كيف حل مشكلة المبيت في الليلة الأولى من تشرده، فقد قال : " إنه اتجه بعد انصفاق باب الدار وراءه نحو جامع معروف في حي الجلوم لينام بعد ساعات من السير والإعياء، وعساه يخطط لحياة جديدة، لكنه رأى الجامع موصد الأبواب، فأجال طرفه من حوله، فوقع بصره على نعش خشبي جاف ممدد غير بعيد منه، خيل إليه أنه يناديه، فتقدم منه بشجاعة، ورفع طرف الغطاء ثم تمدد في داخله، ونام نوماً عميقاً لا تعكره أحلام ولا مخاوف، كأن ليس لليوم غده، أو ليس للحرية ثمن لا بد من تأديته لينعم صاحبها بالسعادة والرفاه.

وفي الصباح، جاء التربيون لنقل النعش فأجفلهم ثقل غير طبيعي فيه، ولما تجرؤوا على فتحه، فوجئوا بشخص يقذفهم بنظراته البلهاء، فهربوا تاركين الميت الحي يغادر النعش ليتفرج على الخوف يهزم عشرات الأشخاص، ويَعِدِي المنات من أبناء الحي العتيق الجميل !!^{٥٢}

أجل، طارت العمامة ... وطار معها الإيمان... انطوت الجدية المتزمته، وبدأت السخرية بالحياة والموت في آن... لقد تحول الشيخ المتوكل إلى امرئ لا مبال إلى لا منتم، وقد يصح القول : إنه في هذا اليوم بدأ انشطار الأسدي إلى ما عرفه الناس عن ظاهره البسيط وإلى ما نحاول كشفه من باطنه العظيم.

^{٥١} من حديث للأسدي في مقهى العطري

^{٥٢} من حديث للأسدي في مقهى العطري

كانت نفسه -رحمه الله-قاسية جبارة ترفض إظهار الألم بالإصرار نفسه على رفض الاستعانة والمواساة.

وإذا استبعدنا كثيراً من أحداث حياته التي تؤكد قولنا ، فإن حادثة انبتار كفه كافية للبرهنة على ذلك. فقد انفجر البارود من حزمة فتاش أمسك بها في يده اليسرى خلال عرض تمثيلية من تمثيلات مدرسة الفاروقية الموسمية. وكان الانفجار نتيجة خطأ وتسرع منه ، أدى إلى نقله لإسعافه، وهكذا بترت يد الأسدى... ولكنه ما إن عاد إليه وعيه حتى ألح على طلب إعادته إلى المدرسة ليتابع مشاهدة المسرحية، وقد نقل ... وأدهشنا جلوسه في الصف الأمامي إلى جانب والي حلب، وكأن شيئاً لم يكن.^{٥٣}

إن أحداث الحياة هي التي تشكل العنصر الموجه لسلوك الإنسان، ولعلاقاته مع ربه والناس من حوله ، وهذا ما أردت الإشارة إليه بتحديد الزمن والظرف اللذين شطرا الأسدى إلى ما عرفناه وما نحاول معرفته عنه .

لقد أسأنا فهم الأسدى خلال حياته ، لأنه قبل الستينيات لم يكن للتراث اللامادي و للفنون الشعبية مالها الآن من منزلة علمية ، واهتمامات شخصية ورسمية ، ولا كان هناك من يتفهم وظيفتها في الربط بين الحاضر والتراث . وحتى المولعون بها كانوا على سبيل المثال يشبهون هواة جمع الطوابع التذكارية بالمجانين لأنهم لا يعرفون الغاية العلمية أو الاجتماعية الإنسانية لجمعها ، بينما كل طابع ينقل معلومات بلده إلى العالم ، فيقلص المسافات بين الشعوب ، لتتلاقى بوساطة المعرفة ، وتتعاون لإحلال التعايش والتسامح والتفاهم ووحدة الصف العالمي في مواجهة أعداء السلام لصوص الشعوب ، و ثمة سبب آخر لعدم معرفتنا الأسدى معرفة متكاملة في حياته، هو أنه لم يكن يحدث أحداً عن اهتماماته وشواغله العلمية، إذا لم أقل، إنه كان يعد طيها جواباً على سوء تقدير الناس لها، وأذكر ما قاله لي عبدالرحمن أبو قوس حين قرأ عليه الأسدى دراسته لتقاليد الزواج في حلب. وطلب منه نسخة عنها قال له : (شلون بتطلب هيك طلب وأنت بتعرف أنو الأسدى سهر ليالي وتعب نهارات حتى جمع من هون ومن هون وسوى هالعرس المظنن...) وتابع عبدالرحمن قوله ومع ذلك حصلت على نسخة من الدراسة بوساطة الأخ أسامة عاشور،

^{٥٣} من حوار لي مع الشاعر عبدالرحمن أبو قوس

وأجريت عليها تعديلات وإضافات رضي الأسدي عنها، ثم كلفنا الأخ عاشور بمفاوضة إذاعة حلب لبثها، فوافقت، وأخرجتها أبداع إخراج، بصوت الأسدي الذي يمكن اعتبار جرسه أحد ظواهر ومظاهر شنوده ولا أغالي إذا قلت أنها ثروة أثرية تراثية في أرشيف إذاعة حلب.^{٥٤}

قلت إننا لم نعترف للعلامة الأسدي بمزية ولا موهبة على امتداد حياته، وحتى وفاته في دار العجزة، حيث خاض آخر معاركه ضد الناس والموت معاً... وكانت وفاته سوطاً في ظهور المثقفين، وما نسمعه اليوم ما سمعناه أمس هو بعض استغفار الحاضر، وعسى أن ينفع الاستغفار !

لقد غاص الأسدي حتى قاع المحيط الشعبي، وأقام علاقات مع الطيف والزبد، غير عابئ بالمجتمع الطبقي الذي كان معظمه متعصباً بلا تدين، متزتماً بلا أخلاق، عفا نزيها حتى آخر قرش في جيوب المسحوقين الذين ينكر عليهم كل موهبة ومعرفة وحق بالكلام، فلا عجب إذا حسدت زهرة اللوتس هذا الغواص الماهر والناجح ، لأنه هزَّ جذورها في أعماق المستنقعات وخرج ليس بزهرها الذي يشفي أربعين علة ، بل خرج أيضاً بمحار لولاه ما دوننا ما ندونه اليوم ، ولولاه ما كانت لنا هذه الموسوعة التي تحتل مكانتها في عالمي الأداب والتراث .

بالإضافة إلى ذلك كله ، لم يحفل الأسدي قط بمكونات السمعة والمنزلة في مجتمع يرى القشة في عيون غيره ولا يرى الخشبة في عينيه .

لهذا أقبل على الدنيا إقبال النهم على مائدة موقوتة ... ، يتعلم ويعلم ، يبذر ويذخر ، يبخل ويحود فهو تلميذ(مجاور)في المدرسة (الخشروية) لينام ، وليرضي أساتذة فقه اللغة والبيان والبديع ويتعلم منهم. وهو أستاذ ساحر بتنوع تخصصه وزهاده أجره في مدرسة الفاروقية، وهو أستاذ في مدرسة (اللاييك) الفرنسية، يعلم اللغة العربية ويتعلم الفرنسية، ويصادق الرهبان زملاءه في التدريس فيعلمونه اللغة السريانية. وهو أستاذ في مدرسة (الأليانس) اليهودية، يعلم العربية ويتعلم العبرية، وهكذا اجتمعت لديه جذور ثلاث لغات متشابهة مع العربية هي السريانية والعبرية والتركية مع الفرنسية وقليل من الإيطالية، مما ساعده في حلّ رموز كثير من الكلمات والمصطلحات في اللهجات العامية الحلبية والعربية

^{٥٤} من حوار لي مع الشاعر عبدالرحمن أبو قوس

ومعرفة أصولها ومشتقاتها، وجعل موسوعته المقارنة مرجعاً علمياً موثقاً بحق وجدارة ،
ومما رواه لي عبدالرحمن أبو قوس :

" لقد كان الأسدي يقول لي إنه ينفق كل شهر أكثر من مئة ليرة قيمة طوابع بريدية
لاتصالاته الخارجية... وينفق ثلاثمئة ليرة شهرياً قيمة كتب... أما المقهى، والطعام
والكحول والميسر... فنفقاتها سرّاً لا يبوح به الأسدي لأحد، حتى بعد لجوئه إلى دار العجزة،
ليودعنا بحشجة تلفظ مع روحه تراكم حقه وكراهيته للمجتمع الجحود الظالم ! " °°

ولست أكذبكم أنني لم أكن أصدق الأرقام التي ذكرت أين تنفق، لأنّ الأسدي لم يحفل
بعلاقات واشجة مع مواطنيه وأهل بلده ليقيم مثلها مع أبناء الأقطار الأخرى، ولكن الحقيقة
برهنت لي وأنا أقرأ الموسوعة على صدق الأسدي فيما كان يقول، فللرجل علاقاته الصحيحة
مع علماء الوطن العربي، وله مراسلاته الجادة معهم، وله أسفاره لمساجلتهم، وهذا كان يثقل
كاهله بعبء مالي نستحق بسبب عدم تقديرنا له، وعدم تعاوننا على حمله معه. أن يتجشأ
الحقد في جوهنا. وأن نستحي من النظر إلى صورته بعد وفاته.

ذكر في جملة نفقات الأسدي اليومية أجور ارتياد المقاهي. ولم يذكر قرابة عشرين
نفساً من التتباك يدخنها يومياً، الأمر الذي جعل الأسدي يحول المقاهي إلى مكاتب له
يستصحب معه إليها مسودة موسوعته التي كانت مجلدة بما يقارب مساحة جريدة يومية.

ولنتصور علامتنا منكباً على هذا المجلد الغريب العجيب.. والناس من حوله
يتغامزون ويتهامسون... أو، فلنتصور علامتنا وقد أغلق مجلده هذا وألقاه على طاولة
مجاورة وراح يقامر بورق اللعب أو بطاولة النرد ، والمتفرجون من حوله تجذبهم طرافة ما
يرون.. وماذا يرون؟ عالم ملتح مبتور اليد يقامر... ومع من؟ مع إنسان قد لا يكون في
جيبه ما يخسره، ولا في سمعته ما يضحى به إذا غش أو خادع... ثم أليس من حقنا أن
نتصور موقف عامة الناس من صاحب مقهى يتناول على معلم عالم لأنه تأخر في تسديد ما
استلفه منه، أو رهن بعض كتبه ضماناً لسداده؟

لقد كنا في جملة عامة الناس يوم حكمنا بقسوة على الأسدي متأثرين متأثرها بمظهر
حياته في المقاهي، لأننا لم نكن ننظر إلى ما في رؤوس جلساء الأسدي الشعبيين لنعرف أن

°° من حوار لي مع الشاعر عبدالرحمن أبو قوس

علاقته بهم جميعاً هي شباك يتصيد بها كنوزهم الدفينة في مقبرة احتقار الذات، والتصاغر أمام المتقفين !!

دخلت مرة مقهى العطري في الجميلية وكان العلامة الأسدي فيها يزاور ويكايد أدبياً يسميه (المجيكرجي) فأثرت الانفراد، غير أن الأسدي ناداني وقال لي:

- تعا قعود ... تعا قعود شوف هل جريمة الكبيرة. وبعدها أخذت مكاني أمامه قال لي رحمه الله:

- شوف المجيكرجي شلون عم يخفق فوق كتابي (أغاني القبة) ... الله يخفق قلبو.. قلت يا أستاذ أنت طرحت كتاباً على السوق وهذا الشخص اشترى نسخة ليقرأها، فما هو مأخذك عليه؟ أجاب:

- ولك حسن... تصور أنك أب وعندك ولد ابن ست سنين.. شعرو أشقر مثل قساقيص الذهب..وعيونو عم تبرق مثل السما الزرقا.. وزنوده وفخادو مثل عواميد العقيق نظافة ولون... وخدوده مثل ورق الورد الجوري... تصور حسون، أنو أنت ميسك بييد ابنك هذا، واجا واحد أقرع أغط، أعرج، أحذب، بنص جحافة، وفوق منها جربان ومخطتو شيرة، وباسو ... أي .. بيحترق قلبك وإلا لأ؟!

ويحدثنا الأسدي عن الساعات العزيزة عليه التي كان يقضيها على رصيف مقهاه المفضل أمام قلعة حلب فيقول له: " القلعة حبيبتي...ولو أنها من حجر ماكانت بتقعد إلا في حضني... كما يحدثنا عن الحاج كامل نشاوي الراوي الذي يقرأ قصة عنتر في ذلك المقهى، ويقول: لو حبسوني مع الحاج كامل ميت سنة ما بزعل ... هادا بحر شعر وزجل وحكايات وأمثال وهنونات..."

كما يحدثنا عن مقهاه الآخر في باب الفرج فيقول:

" الساعة تلاته عبكره بروح لمقهي باب الفرج بحط كرسي خشبي كبير على الرصيف أمام الساعة وبقرقع بهالنرجيله... وأمس إجا عتال وربط حماره بالكرسي اللي جنبي وجلس على الكرسي اللي بعدو.. كان الحمار كويس... شعرو بلون الصفية.. وشفافو رقيقة... وعيونو نعسانه، ربما لأن صاحبه أيقظه قبل ما يشبع نوم.

حط الحمار راسو عالكرسي اللي جنبي وصفن... قمت شحطت شحطة نرجيله ونفخت الدخان بوجو، فرفع راسو لفوق ثم أعادو وهو ينظر إلي كأنو عمال بيقول:

اي مو هيك حق الجيره يا أسدي... " وبعدين امسكت ببز القمجة ودخلتو في تمو، فادار راسو، وكزرت العملية ثلاث مرات وهو يرفض أن يدخل بز القمجة في تمو، وفي رابع مرة خض راسو عالكرسي كأنو بدو يكسر البز والنرجيليه سوا... قمت قلت في نفسي: " ولك أسدي " إي الحمار ماعم يقبل يدخل شي يضر، إي كيف أنت عم بتدخن عشرين نفس كل يوم؟! ...^{٥٦}

وكان الأسدى إذا صاح ديك الصباح حمل نفسه وقصد أقرب حلواني في ساحة باب الفرج، وأذكر ان المرحوم مختار الكيالي نجل المرحوم سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث الحلبية ، روى لي : أنهما توجهها في إحدى المرات إلى الحلواني فرأى الذباب يملأ سطح المامونية فقال له : يا أسدي شوف الدبين شلون مغطي الصينية ، إي شلون بدنا ناكل ! فصرخ الأسدى بالحلواني وقال له : حطنا من طرف الصينية ألي ما فيه دبين !

وفي ليلة دعانا المرحوم مختار الكيالي لتناول طعام العشاء في متنزه السبيل ، وكان يلبس سترة (طقم) من (الجر كسكين) الأبيض اللماع . وبعد دقائق صرخ الأسدى : ولي عليك يا مختار ، العصفور نجس عليك ، وحين بلغ غضب الكيالي ذروته قال له الأسدى :

- لا تهتم سماع شوي.. ونادى نادل المتنزه وقال له:

- شلون تاركين العصافير دائرة وهي عريانه توسخ ثياب الناس؟

فسأله المتعهد عما يستطيع عمله فأجابه الأسدى:

- أي اشتري كم ضراع جيت، وخيط لكل عصفور حفاض، وكفى الله شر العصافير...

فلنحاول اختتام حديثنا بنادرة رواها لي الشاعر عبدالرحمن أبو قوس حول هذا

الموضوع جرت خلال زيارة أعضاء جمعية العاديات الأثرية النبطية بلبنان

^{٥٦} مما سمعته من الأسدى ، م. خير الدين في مقهى العطري .

واجتماعهم مع إمامها الذي كان من أبرز أئمة الشيعة العرب . وكانت داره تغص بالشبان من خريجي الجامعات وطلابها ، يتحدثون في موضوع الذرة وما يمكن أن تخدم البشرية إذا استخدمت للسلام والبناء وما يمكن أن تشكل من خطر على البشرية إذا استخدمت للحرب والتدمير . ولقد استأذنا الأستاذ الإمام أن يكمل البحث مع الشبان ، لينصرف لنا بعد حين مؤكداً تشوقه لسماع الشعر الصوفي الذي قالوا له إن الأستاذ الأسدي شاعره السوري الأوحى .

قرأ الأستاذ الأسدي بعضاً من كتابه " أغاني في القبة " وجعل قراءته ترتيلاً وتجويداً كأنه يتلو آيات الله، فلما انتهى من القراءة مال عليه الإمام وقال: يا أستاذ ضم ضم ... أنا وأنت بلغنا من العمر ما جعلنا غرباء في مجتمعنا، فإذا أردنا ألا نكون سخرية هذا الجيل الذكي الملعون فلنتحول إلى مستمعين صامتين.

وأضاف الإمام وهو يضغط على كتف عبدالرحمن أبو قوس ويتهياً للوقوف:

- كانت قلعة حلب تشوقني لزيارة حلب، اما الآن . فأصبحت القلعة والأسدي تشوقانني

لزيارة هذه المدينة العريقة والمجلية في تاريخ الدفاع عن العروبة والإسلام.

هنا أمسك عبدالرحمن بطرف ثوب الإمام وقال له : مولاي ... ستزور حلب إن شاء الله... ولن تجد فيها غير أسدي واحد وقلعة واحدة ولما عرف أننا نتندر و نتفكه. وأننا لا نقصد ما قلناه في الأسدي، قادنا بنفسه إلى أوابد النبطية، وشرح لنا آثارها شرحاً علمياً رائعاً، ثم كرمنا وودعنا خير تكرم ووداع.^{٥٧}

^{٥٧} من حديث رواه لي الشاعر عبدالرحمن أبو قوس

٣- حياته المأسوية :

عاش الأسدى صدر حياته يتيم الأب والأم ومن دون زوج ، وعانى متاعب الحياة قلقاً متردداً ، فضلاً عن إجهاده لنفسه من غير راحة ، وهذا ما أضر بصحته وأورده موارد العلل والأمراض الجسدية والنفسية . وكثيراً ما كان يقول عن نفسه : إنه كان شاباً طائشاً ، ولم يظن لنفسه ، وندم في الخمسينيات من عمره أيما ندم على ما فاته من عمره ، وهو يعاني الوحشة والوحدة واللامبالاة وكثيراً ما كان يردد قولهم : (اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب)^{٥٨} كما كانت العائلة بالنسبة إليه حاجة ضرورية ماسه . لكنه فقدتها وحرّم من تأسيسها .

وهذه السيول المأساوية تحفرت في أعصابه ، وهزت اتزانه النفسي مما جعله يعيش حياة (القرين) عندما كان يجرد من نفسه شخصاً آخر يخاطبه ، مشبعاً في ذلك حاجته إلى العطف^{٥٩} ، وكثيراً ما سمع وهو يخاطب نفسه في الصباح قائلاً: « ياخير الدين يا حبيبي ، ماذا تريد أن تأكل اليوم ؟ فيجيب خير الدين : أريد أن أكل فولاً : فيقول طيب تعال معي إلى دكان الفول » ، " كول فول وامشي عالأصول " .^{٦٠}

هذا تعويض مرضي ... سببه الجذب العاطفي الأسري والنسوي ، لأنه لم يتزوج بل حرم من المرأة ، وكان لذلك أثر بعيد في وصفه بالشذوذ ، حتى إنه سئل مرة : هل صحيح ما يقال عنك بأنك تحب الغلمان ؟ أجاب : « إنني أحب الجمال أينما كان ... في النساء ... في الرجال ... في الغلمان "أحبه في الطبيعة ... في الورود ... في الخلجان ...» ، " والغلام في الحقيقة - تسمية آتية من الغلطة : الشهوة "^{٦١} وهكذا لم ينف الأسدى هذه الصفة عنه ، وإنما أدرجها في حبه العام لمعنى الجمال ... وكأنه هرب من الموقف .

عمل الأسدى بالبحث والتأليف والتدريس ومن جملة هواياته المسرح والتمثيل ففي عام ١٩٢٣م أخرج لطلاب مدرسة الفاروق في حي الجميلية ، جانب ثانوية المأمون وإعدادية الأمين مسرحية اجتماعية وطنية ضد الظلم والاستبداد بعنوان (استقلال أمريكا) التي كانت تعزز حب الوطن في نفوس التلاميذ وتدعو إلى الثورة على المستعمر الفرنسي ،

^{٥٨} الأسدى ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٥ ، ص ١٥٩
^{٥٩} من حوار لي مع الأستاذة رياض الجابري (١٩٢٥ - ٢٠٠٢)م باحثة تربوية ومرشدة اجتماعية ومدرسة متخصصة في ثانويات حلب لها برنامج كل نصف شهر في إذاعة حلب، وعينت مديرة إدارية لمشفى الهلال بحلب، ومسؤولة إعلامية في جمعية تنظيم الأسرة، ولها مؤلفات عدة.
^{٦٠} المصدر السابق نفسه ، مج ٦ ، ص ١٠٦

^{٦١} الأسدى ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٥ ، ص ١٠٠

والتي شاركه فيها الشيخ الشاعر محمد جميل عقاد ، الذي كان جل شعره تعليميا تربويا وعظيا . وقد حمل الأسدى حزمة من المفرقات (الفتاشات) في يده ليستعملها في أثناء أدائه دوره في المسرحية ليكون جو العرض أقرب إلى الواقع^{٦٢} ، وفي جو من الحماسة والوطنية في ليلة العرض وبسبب انفعال الأسدى في أثناء ذلك ، ونظرا لارتفاع درجة الحرارة في المكان المغلق ، انفجرت في يده اليسرى كمية من البارود انتهت ببتير كفه اليسرى من المعصم وهذا ما جعله يعاني طيلة حياته معاناة مريرة ولاسيما الكتابة بيد واحدة ، وقبل الإغماء عليه بعد الانفجار قال لمجموعة الممثلين : « امضوا في إنجاز التمثيل ولا يحزنكم موتي » ، وعن هذه الحادثة كتب فيما بعد : « يا يوم انتشرت يدي ! ليكن مطك بردًا وسلامًا ، فالتمثل العليا قدمت قربانًا من لحمي ودمي »^(٦٣) . ولا شك في أنّ هذه الحادثة قد تركت في حياته انقلابًا فترك التدريس في هذه المدرسة ، وازداد انطواء على نفسه ، وازداد بحثًا وتفرغ إلى المطالعة والقراءة ليصل إلى خلاصة الفكر وجوهر الحقائق ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن هذه الحادثة - فضلًا عن وفاة والدته التي كان يرتبط بها ارتباطًا غير مألوف - كانت إحدى أهم العوامل والأسباب التي جعلته يعرض عن الزواج، والتي جعلت الأقاويل من حوله تزداد همسًا وعلنا ، وزادت أيضًا في محاولة بعضهم السخرية منه وإهانته ، فقد : « أخذت حالات الشك والإنكار تمرّ به ، إلا أن بديلاً كان يتبلور في نفسه يتمثل في نزوع إنساني عميق انتهى إلى منعطف كبير في حياته وفكره ، نظن أنه بدأ قبل الحادثة المشؤومة وتأكد بعدها » . ومن تهكماتهم : " إذا تمت الحالة هيئك منّا ناكل (هوانا) بالكريك " ،^{٦٤} ومن هنا مرّ الأسدى بحقبة أصبح فيها نباتيًا واتجه إلى التصوف والشعر الصوفي ، إلى أن ألحّ عليه المرض فنصح الأطباء بتناول اللحم حفاظًا على صحته .

علمًا بأنّ وفاة والده الشيخ عمر رسلان عام ١٩٤٠م ثم وفاة والدته أسمة شماع عام ١٩٤٧ ، التي قد كانت ملاذه الأخير وعائله الوحيد الذي وهبه كل ما يملك منذ نشأته، حادثان أثرا في حياة الأسدى أيما تأثير لاحظت معي علاقته بولادته فيما يذكره بنفسه:

« وكنت قد سألت أُمِّي :

- لما كنت أنا زغير كنتي تداليني؟

^{٦٢} ينظر : العقاد ، محمد راتب : محمد جميل العقاد سيرة ومواقف ، مطبعة السريان ، حلب ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٨
٦٣- مجموعة من الأديباء : أدباء من حلب ، ص ٣٠ .

^{٦٤} الأسدى ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٣ ، ص ١٥٦

- يا كان.

- واش كنتي تقولي لي؟

- كتير أشياء.

- متل أيش؟

- هزّي راسك يا ميمه راسك راس الحمامه

- وأنا كنت أهزّو؟

- في الأول أنا كنت أهزّلك ياه، وبعدا صرت لحالك تهزّو.

- وأنتي كنتي تنبسطي؟

- يا سلام! الدنيا كانت كلا ترقص لي «^(٦٥).

وقد كان لوالدته أثر كبير في دفعه إلى العلم والتحصيل منذ طفولته؛ ولذلك لم يطق استمرار العيش في البيت الذي توفيت فيه، فانتقل منه إلى آخر. مجمل هذه الظروف العائلية والشخصية كانت السبب في عزوف الأسدي عن الزواج ، وعف عن تكوين أسرة ولعلّ من أهم أسباب ذلك حبّه للعلم وتفرّغه للتأليف ، وكثيرًا ما كان يردد القول المأثور على مسامع مرافقيه (لو كلفت بشراء بصلة لما حللت مسألة).

٦٥ - موسوعة حلب المقارنة، ص ٧٦٧٣ من المخطوطة. و عبدالمحسن ، محمد حسن : من رسالة الماجستير ، ص ٢٤

٤- روحانية الأسدي :

نتج الأسدي ثقافته الأصيلة من الثقافة العربية والإسلامية، ويبدو أنه انتابها لاحقاً مخاضات وولادات عسيرة من تأثيرات الحداثة التي تبنت العولمة ومسحت ثقافات العالم الخاصة بدءاً من النصف الثاني من القرن العشرين.

لم تكن هذه الحال الثقافية الإسلامية عند الأسدي لتتسم (بالمباشرة) القائمة على بعض المصطلحات والإجراءات الشخصية الشكلانية بل كانت قائمة على أعرق ما يمكن تصوره من أساسات، منذ ولادته في حي عريق عتيق من المدينة الحلبية القديمة ، وتشكيل معارفه الأولى بين الجدران الحانية للمدرسة العثمانية والرشيديّة والخسروية وغيرها من المدارس بدءاً من الكتّاب على يد علماء أفاض غرسوا فيه عطاءات النحو والقرآن والفقه والحديث والروايات لينشأ على قاعدة رصينة وأصيلة ومعطاءة نشهدها لاحقاً في الخصوصيات البلاغية غير العادية لـ (أغاني القبة) وفي منهج ومحاور الموسوعة ومصطلحاتها الخاصة التي قدم لها وشرحها في اللهجة الحلبية وفي لغتها العربية الصميمة كما سنرى في قادم الصفحات^{٦٦}

المهم في حياة الأسدي الجانب الروحي ، فقد استنطق المعاني ، ونستطيع أن نميّز في حياته مراحل أربع هي^(٦٧) :

١ - **مرحلة الإيمان التقليدي المطلق** : وتمتد منذ فجر حياته وحتى الحادثة الأليمة التي تعرّض لها في مدرسة الفاروق .

٢ - **المرحلة النباتية** : وفيها امتنع عن أكل اللحوم واقتصر على النباتات ، وقد أنهى هذه المرحلة مرغماً بعد مرض شديد أجبره الأطباء على تناول اللحوم . وفيها تأثر بالمذاهب الهندية وفلسفة أبي العلاء المعري .

٣ - **مرحلة الحيرة والشك** : حيث أخذت نظرتة إلى الوجود تكتسب الطابع الإنساني والفلسفي ، شاكاً في وجود الله ، حائراً في شأن الرسائل السماوية ؛ فقد عاش الأسدي في غمرة من الحيرة والتساؤلات وعاش سنوات حياته وأمضاها باحثاً عن حقائق كبرى مادية ومعنوية

^{٦٦} ينظر : عبدالمنعم ، د. بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، ص ٥٤

٦٧ - ينظر: عبد المحسن ، محمد حسن : الأدب الشعبي الحلي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي ، دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، ص ٢٦، وينظر : الأسدي م، خير الدين : أحياء حلب وأسواقها، ص ٩، وينظر : قلعه جي، عبد الفتاح رواس: العلامة خير الدين الأسدي، حياته وآثاره، ص ٣٥.

وعانى من القلق الروحي فضلاً عن اضطرابه الحسيّ طوال حياته فهل اطمأنّ واستكان
وتصالح مع المتناقضات ؟ وهل ارتقى إلى مرتبة العارف المؤمن بأنه حين يموت يرحل
خالي الوفاض من علائق الدنيا ولم ينل مراده؟!.

٤ - **مرحلة الزهد والتصوف** : جاءت بتأثير اطلاعه العميق على كتابات جلال الدين الرومي
و فريد الدين العطار وحافظ الشيرازي والشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي وابن الفارض
وشهاب الدين السهروردي الذي قتل في عصر الملك الظاهر ورابعة العدوية والحلاج
والبسطامي وابن عطاء الله الإسكندراني وغيرهم فانجرف وراء الحدس والأوهام وأهمل
المعرفة العقلية في بعض مؤلفاته التي أبدعها من مثل نفحاته الصوفية أغاني القبة وكتابه (يا
ليل) و شئيرات (قصائد نثرية) أخرى نشرت فيما بعد نهل فيها من روحانيات الشرق ،
ومن دلائل تأثره الشديد بمرشده وملهمه حافظ الشيرازي وغيره من المتصوفة تلميحه في
بداية كل نص من نصوص أغاني القبة إلى مواطن التأثير والتناص معهم^{٦٨} ها هو ذا
يخاطب متلقيه بقوله :

رَدِّدْ مَعِي : حَافِظُ شَرَابِ عِطَارِدِيٍّ غَرِيبٍ

يَسْقِي الْقُلُوبَ مَبَاهِجَ الْحُبِّ وَتَفَاحَ الْحَنَانِ

رَدِّدْ مَعِي : حَافِظُ وَتْرِ الْحَيَاةِ مَدَدَهُ مَدَدَ

شَفَةِ الْغَيْبِ ، إِذْ يَصْغِي الصَّمْتِ وَفِي فَمِهِ كَلَامٌ^{٦٩}

ويقول الأسدي :

دَعُونِي وَحَدِي أَجْدَفُ سَفِينَتِي ، وَمَعِي

دِيوَانُ حَافِظٍ ، فَلَيْسَ فِي الْبَحَارِ مَا يَلْفِظُ الدَّرَّ

سِوَاهُ^{٧٠}

وقد أدرك الأسدي أن في الغناء عودة إلى النقاء والبراءة . من مثل ما في قوله :

هَمَسْتَ أُنْدَاءَ الزَّهْرِ فِي أذُنِ الْفَجْرِ ، وَتَوَجَّجَ

النُّورُ بِسِنَاءِ مَفَارِقِ الْجِبَالِ.

^{٦٨} ينظر الصفحات التي صرح فيها الأسدي بتأثره بالشيرازي : ١-٩-١٧-٢٥-٣٣-٤١-٤٩-٥٧-٦٥-٧٣-٨١-٨٩-٩٧-١٠٥-١١٣-١٢١-١٢٩-
١٣٧-١٤٥-١٥٣-١٦١-١٦٩-١٧٧-١٨٥-١٩٣-٢٠١-٢٠٩-٢- ومن الذين تأثروا بالشيرازي وساروا على مسيرة الأسدي (جوته) شاعر ألمانيا
العظيم الذي أتقن لغات عدة الفرنسية واليونانية واللاتينية والعربية والفارسية وأصدر في السبعين من عمره كتابه الفريد " ديوان الشرق والغرب "
وترجم تفسير القرآن الكريم ولبس العمامة وارتدى القفطان في أوروبا تشبهاً بحافظ الشيرازي الذي كان يحبه ويعجب به ، واستلهم بذلك الشرق
والغرب في أن ، وأنشد أغاريد الشرق وصار أنموذجاً يحتذى به لنفر من الأدباء الغربيين في ذلك .

^{٦٩} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٦

^{٧٠} المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٧

ورفع الستار في مسرح الكون عن مشهد
الجلال ، فتعالى الهتاف، وأصغت العيون
جبينك حانة الإلهام ، على أمم من تسنيم ،
يسكن منصور الفرد في حناجر الشداة
يا هنا شادي الجمال ؛ والكمال والدلال !

أيّ لطف ؟ أيّ مجد ؟ أيّ زهو ؟ يا هناه !^{٧١}

-عموما- كان الأسدي عرفانيا يقف على الأرض صوفيا بالمعنى الفلسفي ، فقد زهد
الدنيا وتابع البحث عن الحقيقة.

كان الأسدي شخصية فذة نقي القلب بسيط المطالب ، منفتح الوعي وكامله ، مرتبطاً
بمجتمعه ، معالجاً قضايا الفكرية والتراثية ، ناهلاً ثقافته الشعبية من بيئة الشعب التي ولد
فيها وترعرع ونشأ ، مقبلاً على الحياة مفعماً بها مرتاداً مسالك طريفة ، غير مبال بما يشغل
الناس العاديين من مطالب ، بلغ مرتبة الرجل العاقل ، العارف المتذوق لجمال محيطه
العاشق لكلّ ما هو حليبيّ ، المدرك سعة الحياة ، السالك دروب المحبة التي أكسبته حرية
الإبداع وكماله ، وخلقت فيه رجلاً حرّاً لم يدخل نفق فقدان الأمل بالمستقبل . ومما يذكر
للأسدي أنه أول من خلع الطربوش عام ١٩٢٢م وهو القائل : " لم يسبقني إلى خلعه أحد ،
وكان الناس يتغامزون ويقولون : إنني جننت ، ويقول آخرون : هذا كفر وزندقة " ^{٧٢}

-عموما- الأسديّ إنسان قبل أن يكون عالماً أو شاعراً ، وقد وصف نفسه فقال : «
وديع ، سمح الأخلاق ، حلو المعشر ، لا تفوت مجلسه النكتة ، حبيب إلى القلوب كلّها ،
نظاميّ دقيق ، قليل الكلام . وكان متأنياً ، عاشقاً للجمال ، تأسره الكلمة اللطيفة ، شيخاً
طفلاً سريع الغضب ، سريع الرضا ، ذا عزيمة وإصرار ، معتزاً برأيه عن ثقة واطلاع لا
عن تعصب ، دؤوباً على العمل ، نظيفاً على الرغم من فقدته يده وتوحدّه ، صبوراً على الألم
، بترت يده من غير مخدر فلم يتأوه ، ذا شخصية قويّة ، شديد الهيبة في شبابه ، جليل
القدر في شيخوخته ، لا يقبل منّة من أحدٍ »^(٧٣) .

^{٧١} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٥

^{٧٢} المعمار ، محمد صبحي : مجلة العاديات ، ع خريف وشتاء ٢٠١١م ، ص ٢٦٢

٧٣- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣١ .

الأسدي عرافة حلب وعاشق لها ، ولطالما خاطبها بكتاباتة ، وكان يقدم حلب للآخرين ، ويبين أهميتها كما كان له برنامج من إذاعة حلب مساء كل يوم جمعة يتحدث فيها عن أمثال حلب ، ويجب فيها من موسوعته عن أسئلة تردُّه من المستمعين ، وقد كان برنامجه (أنت تسأل عن حلب ونحن نجيب) من أحلى البرامج وأكثرها شعبية وكثيرا ما سمعته يردد قوله لمن يسأله : " نعم حلبي أنا ، حلب أحلامي ورؤاي حلب ولا منة لي عليك " وكثيرا ما كان يقرأ قصائد من أغاني القبة^{٧٤} ، كما نظّم له المركز الثقافي العربي بحلب أمسيات يعرف فيها بالموسوعة ويجب مما احتوته على أسئلة الحضور .

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٠م عقد الأسدي ندوة لمدة أربعة أيام ، عن لهجة حلب يسأله فيها الحضور عن مفردات وتعابير حلبية فيجيبهم عنها من موسوعة حلب المقارنة التي ألفها .

وكثيرا ما كان ينشر مقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية من مثل : الرسالة والعمران والكلمة والضاد والحديث الحلبية والجماهير .

لقد حمل الأسدي حلب في قلبه وقدم لها رغم فقره ، مالم يقدمه أحد من أبنائها لها ، ولم ينصرف الأسدي إلى عمل أو وظيفة ، لكنه تحمل مسؤولية حلب الثقافية والتراثية اللامادية . ومثال ذلك (حلب الجانب اللغوي من الكلمة) وهو كتاب تاريخ وتحقيق في كلمة حلب فقط ، لقد أرخ الأسدي حلب ووثق ، وكانت حلب في قلبه . وكان مدير إذاعة حلب – أحيانا- يرسل له من يسجل له حديثا وهو يقيم في المبرة الإسلامية قرب حي الأشرافية وفي حالة صحية حرجة وخطيرة .^{٧٥}

وقد رشّح لجائزة الدولة التقديرية والتشجيعية قبل وفاته عام ١٩٦٩م من قبل د. محمد صبري الأشر، إلا أن ذلك لم يحصل إلا في الحادي عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٨٣ م ، حيث أصدر السيد رئيس الجمهورية العربية السورية حافظ الأسد مرسوماً بمنحه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى فلقى الأسديّ التكريم الذي كان يتمناه في حياته بعد وفاته ،

^{٧٤} كان للأسدي برنامج خاص في إذاعة طهران باسم (أغاني القبة) في ستينيات القرن العشرين .

^{٧٥} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٦

شأنه في ذلك شأن معظم عظماء العالم الأفاضل ، ولبراعة ديمومته فقد سميت مدارس عدّة وشوارع باسمه بعد ذلك^(٧٦) .

٥-الأسدي الإنسان الحائر :

تسعى العلوم الإنسانية الحديثة إلى رسم صورة الإنسان بخطوطها الكبرى عبر التاريخ ، وبيان معالمها في ضوء الأعماق .

نحاول أن ننهج الطريق ذاتها في تحليل شخصية الأسدي ،ومعرفة مواقفه النفسية والاجتماعية والفكرية وما تركته من انطباعات ،سواء أكانت في لوحة حضارية محلية ،تجلت في موسوعته عن حلب التي أحبها كأم له ؛ أم تجلت في شطحات صوفية غناها في أشعاره وجمعها في كتابه : " أغاني القبة " .

يتطلب علم نفس الأعماق :

أولاً: تفسير الظروف النفسية التي أحاطت بالأسدي وإنشائه على إحدى الصور .

ثانياً: دراسة النتاج الفني والتراثي الأدبي الذي قدّمه فخّده . وهذا الطلب كان بسبب وجود وشائج قرى شبكية بين الأسدي وإنتاجه ، لأن الإنسان عادة هو منبع كل حضارة ؛ونفسه مسرح كل عبقرية وابتكار .

بيد أننا لا نستطيع في هذه العجالة أن ندرس بالتفصيل ظروف الأسدي والأبعاد والمواقف التي عاشها ، والتي أشرنا إلى طرف منها سابقا ؛ لذا لن ندخل عليه من باب التاريخ حيث التسلسل الزمني لحوادثه ،بل سنواجهه من خلال منعطفات حياتية تركت بصماتها في نفسه وأثرت في سلوكه ومعاملاته كما أثرت في تأليفه وكتبه .

٧٦- وفي ١٤ و ١٥ أيار عام ١٩٨٤م أقام اتحاد الكتاب العرب ، فرع حلب في صالة دار الكتب الوطنية بحلب ، حفل تأبين للعلامة محمد خير الدين الأسدي وقد شرفني أن كنت أحد المشاركين فيه مع الدكتور عمر الدقاق رئيس الفرع والأساتذة محمود فاخوري ومحمد كمال وعلي الزبيق ورياض الجابري وعصام ترشحاني وعبدالفتاح رواس قلجعي ومحمد حسن عبدالمحسن وعبد الرحمن أبو قوس ومحمد جمال باروت ويوسف طافش وقدم للحفل عبدالقادر عنداني ، ينظر الملحق رقم ١/ مع صورة الأسدي .

لم تكن حياة الأسدي الاجتماعية مشرقة وسعيدة ، بل كان ينزوي عن رفقاءه ويعيش في ظلال مأسوية ، وفي دينا مملوءة بساعات ضيق كان يرفض فيها وجوده ، ولطالما عبّر عن ذلك لمحبيه في قوله :

" إني لأعيش بغير عمر ، وإلا فمن يحسب أيام الضنى في عداد الحياة " (٧٧) .

ولم يكن موته أنعم حالاً وأحسن مثوى ، بل كان وحدة واغتراباً ، ألماً وعذاباً جعله نُحِسُّ بالحاجة إلى المرأة ، منبع الحنان والعطف والعطاء وكثيراً ما كان يقول على مسمع مرافقيه : " لو كنت متزوجاً ، لما قابلت الموت وحيداً " .

مات وحيداً في غرفة المبرة الإسلامية ، مات ضياعاً وإهمالاً مات بصمت وسكون ..

يرى التحليل النفسي ، إن العالم الواقعي (المر) يختلف من إنسان إلى آخر ، ولكنه عن الجميع يتصف بطابع (مركزية الذات) أي أن الشخص يقف دائماً في مركز الحوادث التي تدور من حوله فإذا استطاع مواجهة نفسه بحزم وإرادة ، والسيطرة على الموقف فقد يشعر بالارتياح والإشباع ، لأنه يعتقد من ربة الواقع ويعوضه هذا خيبات الأمل .

ارتاح الأسدي عندما انصرف إلى العلم والتعليم ، وأحب أستاذه الشيخ بشير الغزي ، والشيخ محمد الزرقا والشيخ محمد بدر الدين النعساني^{٧٨} ، ووجد فيهم تعويضاً أسرياً كبيراً . وقوي نزوعه الاجتماعي عندما بدأ بالتدريس الذي كان مصدر رزقه ، وكم خشي عليه أن يجف .

واحتضن الأسدي آلامه ، ثم تجاوزها بتحد وكبرياء ولم يبق من أصحاب صوت خضوعي ، وأمام حادثات الدهر التي لم تبق ولم تذر . بل حقّ معاناته تصعيداً عالياً ، في شعر صوفي أغلبه رمزي .

٧٧-ينظر الملحق رقم / ٦ .

^{٧٨} الأسدي ، م. محمد خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٢ ، ص ٣٦٩

٦- المواقف الاجتماعية في حياة الأسدي :

قراءة التاريخ عند الأسدي قراءة توظيف بما يخدم فكره وقضاياه ، فهو لم يكن مؤرخا فحسب وإنما كان محققا ، وتعدّ كثير من مواقفه الحياتية مقلقة ومحرجة ، تعدّ هذه المواقف في حياته غير مشرقة ، ومن يتعمق في دراستها فإنه يدرك معنى المفارقات في حياته ، والتي تتجلى في المواقف الآتية^(٧٩):

١ - **الجماهيرية** : فقد كانت نفسه تهوى الانزلاق في أزقة حلب الضيقة ودروبها العتيقة ، فكم طاف في أطرافها ذات الدفء الجماهيري والعفوية المسالمة والفلسفة القانعة ، وكم قضى وقته في (حيّ الجلوم) الشعبي حيث ملاعب طفولته ومرتع نرجسيته ومنتزه شبابه . وتأثر الأسدي بهذه الأحياء بكل ما كان فيها من خلق وقيم ومثّل تجلّت في فنون قول شعبي عدة وأهازيج وأغانٍ . وقد غاص الأسدي في هذا التراث المحلي الذي ظهر بعد ذلك في موسوعته الضخمة عن مدينة حلب التي وسمها بعنوان : (موسوعة حلب المقارنة) ، والتي دافع في مقدمتها عن ثقافة الجماهير الحلبية التي تشكل لوحة حضارية ذات أصالة محلية تجلّت من خلال عادات وتقاليد وأعراف عريقة.

لقد تعلق الأسديّ بمدينة ، وكانت رغبته قاتلة وأحلامه عريضة في جمع تراثها ، وعلى سبيل المثال عندما ذهب إلى حي المغاير (قرب باب قنسرين) كان يقابل الأهالي ويلتقط منهم اللهجة الحلبية ما يستطيع ثم يحلل لغويا هذه اللهجة ، وكله أمل أن يوثق هذا التراث اللامادي الحلبي خوفا عليه من الضياع في عصر العولمة ومحي ثقافة الشعوب ، وهذه الأحلام التي قدمها أو تلك الرغبة جعلتاه يعيش حالة من القلق والألم والإحساس بالضياع ، فما كان قادراً على التخلي عن طموحاته وأحلامه ورغباته تلك وهذا ما زاد من آلامه ودفعه إلى مزيد من العزلة في صومعته وجعله يتفرغ للكتابة والتأليف وينأى بنفسه عن الواقع المعيش في الحياة اليومية . وتكمن قدرة الأسدي في تحويل آلامه إلى ما يشبه السرور ، وهذا ما يوسم في علم الجمال بتحويل القبيح (الألم) إلى الجميل (السرور) ، وهكذا فإن تحمّله للألام والمآسي التي اعترته في حياته جعلت منه إنساناً مميّزاً ظلّ ملتزماً لولائه الحلبيّ -خصوصاً- والعربي -عموماً- .

٧٩-من حوار لي مع الأستاذة رياض الجابري .

وظهرت هذه الجماهيرية أيضًا في رحلات كثيرة طاف بها بلدانا عدة عربية وإسلامية وعالمية ، حيث كان يتعرف فيها إلى أقطاب العلم والفكر ويشكل معهم صداقات تعمّقها المراسلات .

وعلى المستوى الشخصي ، لطالما التقيت مع عشرات الحلبيين من العامة والخاصة لأجمع عن الأسدي معلومات تدعم بحثي ، وقد أفدت من كثير منهم أيما إفادة .

٢ - النخبوية : عاشر الأسديّ صفوة الناس الممتازة كما عاشر العامة ، وقد أبدع بعض كتبه وخص بها النخبة المثقفة من مثل كتاب (أغاني القبة نفحات صوفية) الذي وصفه بقوله: « إنه رسالة خاصة إلى نفوس خاصة ، تتسم فيها روح الامتداد لا حب ظن - كما يظن الجهلة - ولا خمر أرض ، ولا الأرمنية " شيرين " ولا التركي الجميل " إياز " ثم لا نبو كما يرى أهل الظاهر ولا شطح ، إنما وجد علوي ، ونشوة روحية يفيض بها اللاشعور المستعر ويخنس الوعي... »^{٨٠}

ويعود السبب في ذلك إلى قلة الناس الذين يستطيعون فهمه عندما يغوص في أعماق الكلمة والفكرة والنفحة الصوفية .

٣ - الاغترابية : كان الأسدي ينزوي عن الناس ويرضى غربته وحيدا ، وعندما غربت شمس وذوى جسده ازداد ميله إلى الكآبة ، ها هو ذا يقول :

" ارتضيت عزلتي كما ارتضاها البركار

يدور حول محيطه ، لكن القدر سيجعلني في

النهاية مركز الدائرة " .^{٨١}

ويتابع القول :

" خيول الحادثات تواصل الجري ، وفارس

عمري مقطوع العينان

على هامش العمر اللاهث يحيا غريب

^{٨٠} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، نفحات صوفية ، المقدمة ، ص ج

^{٨١} الأسدي ، م. خير الدين ، أغاني القبة ، ص ٥١

مشاعري و أواه ! أما في فصول الحياة ربيع ؟

إني لأعيش بغير عمر ،

وإلا فمن يحسب أيام الغنى في عداد الحياة ؟ " ^{٨٢}

وهو القائل :

"هبطت هذا الملعب فوجدتني غريباً

وحيداً .. رباه ...! أين هواة كرة الكرامة

والإحسان ؟" ^{٨٣}

وقد ازداد مع مرور الأيام ابتعاده عن الناس ، وهو يحمل عمراً أنهكه التعب ... يقول :

" فاجلس معي على حافة النهر الجاري

وارقب عبور النهر الساري وردد : أليس

في حقول الدنيا حبوب هناء ؟" ^{٨٤}

يعود هذا التشاؤم إلى المعاناة الكبيرة التي ألم بها والتي انتهت به إلى الزهد في الحياة

و الابتعاد عن أهوائها . يقول :

"مشى الزهد مني يا سؤل قلبي الأواه ! في ركاب العمر ،

فابسط مضائك على مفارق

روحي كما بسط إليها قلق الصباح " ^{٨٥}

ويقول :

"النور وحده يسامر النور فيا ويح قلبي إذا اغترب " ^{٨٦}

^{٨٢} المصدر السابق نفسه ، ص ٣

^{٨٣} المصدر السابق نفسه ، ص ٥١

^{٨٤} المصدر السابق نفسه ، ص ٥٢

^{٨٥} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٥٣

^{٨٦} المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٠

ولعلّ خيبة أمل الأسدي ذي الحاسية المفرطة إزاء هذه الحياة العامة والخاصة التي عاشها هي من أهم مصادر ألمه ، فكثير من طموحاته كانت عصية عليه لم يستطع تحقيقها وكثير من أفكاره النبيلة لم تلقَ آذاناً صاغية ولم يقبل عليها الناس . ومع ذلك عاش حياته من أجل خدمة مجتمعه ووطنه وأمه ساعياً وراء تحقيق سعادة الناس جميعاً طامحاً لخير البلاد والعباد معطياً قيمة عليا للحياة .

وكان الأسدي في شقاء سرمدٍ من ألم إلى ألم يعاني من جملة ضغوط اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وانتابته آلام كثيرة من أهله ومن أصدقائه نجدها واضحة في ثنايا أقواله وفي صفحات مؤلفاته ، ولطالما تألم لآلام الفقراء والبسطاء بمنتهى الإنسانية حين نظر إلى المجتمع من حوله وأحسّ بأوضاعه التي لم يستطع تجاوز أحاسيسه وتجاوب مع آلامه . لكنه لم يفقد الألم ، فقبل العذاب الإنساني والمعاناة والبؤس وعدّ الألم من متطلبات الحياة في هذا العالم المأزوم ورآه لا محالة سينتهي في يوم من الأيام ، وقد أحس الأسدي إحساساً قوياً بالغرابة بين أبناء جلدته وبات غريباً بين الأقرباء والأصدقاء في آن .

وهكذا تبدو المفارقات واضحة في مواقفه النفسية والاجتماعية بين جماهيرية وخبوية واغترابية ، ويوازئها في ذلك موقفه الوجدانيّ الديني الذي ترنّح بادئ ذي بدء بين رحلة الإيمان في أول حياته عندما كان والده يربيّه تربية دينية صارمة ، لم تلبث أن ثارت ثورة عكسية تجلت بالشك الذي تسرب إلى نفسه من قراءاته الجمة عن فلسفة أبي العلاء المعري وعن مذاهب هندية وغيرها ، إذ راحت هذه الفلسفات مجتمعة تشكل أرضية سلوكية وفكرية ، نمت وتوضحت في مرحلة الشك الصريح ؛ وهنا اتهمه والده بالميل إلى الماسونية ، وخاب أمله بولده الذي هجر الموروثات الإيمانية الدينية كلّها ونفى الرسائل السماوية ورغب الاستقرار في دنيا التصوف ، والتي نستطيع أن نفسرها بأنها من أعمق حالات الغربة و الاغتراب التي كان يعانيها .

تقول نظرية في علم نفس الأعماق : " إن الليبيدو أو الطاقة الجنسية ، تقوم بدور رئيس في حياة الإنسان ، وإن الكفاح الليبيدي للبشر هو قوة بين القوى المنتمية الاجتماعية في المجتمع . وإذا وصف الأسدي بشذوذ طاقته الجنسية وحرمانها نتيجة ضغوط كثيرة

،نفسية واجتماعية ،في مجتمع مغلق يكبت ويحاصر ،فإن الأسدى قد انكمش على نفسه
وغاص إلى ما تحت السطح الظاهري (٨٧).

والمجتمع يقصد هذا الضغط والزجر ،والكف والمنع ،لئلا يفقد قدسيته التي خلقها لنفسه
،وهو في الوقت نفسه يساعد الفرد على الخلق والابتكار في زمن الحصار .

تجاوز الأسدى في هذا الخلق والابتكار بعض التقاليد وتخطى الموروث الثقافى
والاجتماعى الذى كبل الإنسان عبر زمان وتجاوز بعض القيم والثوابت والصوى الموضوعه
على طريق السلوك الفردى ؛ولهذا السبب بدأ الصراع بين دافع ومانع وواقع ولكن الأسدى
تجاوز هذا التابو من المحرمات والممنوعات ليكشف شئرا (قصائد نثر) عما هو سجين
النفس ومكبوت الشعور فى الأغوار المظلمة ،وبذلك كان الخلق على الورق

وإذ تتحدث الأوراق فهى تحكى لنا قصة الموهبة فى الإنتاج ، والتي أسفرت عن
تأليف كثيرة ،كان على رأسها درتان وعمالان حضاريان أهداهما إلى المكتبة العربية :

١- العمل الأول : عبّر عنه فناً أدبياً ورصيذاً تراثياً فى موسوعته(موسوعة حلب المقارنة)
ذات الهوس المعرفى والتحليل الاغراقى للهجة حلب الشعبىة وفن كلامها المحلى من أهازيج
وأمثال وحكم . مضموراً مع أواصر الحياة فيها ؛كما درس فى الموسوعة ما نظم فى حلب
من طقوس وعادات وعلاقات اجتماعية و أخلاقية وذلك من خلال لهجتها وتعابير سكانها .

وإذا تناول حلب فى الدراسة فلأنها مسقط رأسه ومرتع طفولته و نرجسيته ،والسبب
بحسب التحليل النفسى : " هو التشكل الرجعى الذى يشوه العلاقة الأصيلة بين المرء وأمه
؛يمتد كذلك إلى رموز أخرى كالوطن والأمة والتراب ، لذا كان حب الأسدى لحلب كحبه
لأمه .ولكن هذه الأم الكبرى حلب أنكرته رغم ما أعطاهها فشعر بغربة قاتلة ، لطالما ردد
على مسامعنا مقولته :

"أحببتها وعقتنى ..وخلدتها ..فنفنتنى .."

أحبها لأنها مرتع نرجسيته ،ما زال كل إنسان مطبوعاً على حب بلده وجمالها و
لطالما ردد قول الحلبيين (حب الوطن قتال) (٨٨) ،ودافع حب الجمال لا يعنى فى نهاية

٨٧-من حوار لي مع الأستاذة رياض الجابري.

المطاف سوى أن يكون موضوعاً للحب ذاته ،ولا شيء سواه .. وهذا يعني النرجسية والتي يعود بجذورها إلى مرحلة مبكرة جداً من مراحل التحليل النفسي عند الطفل ؛ ومع الزمن زالت مظاهر النرجسية ولكنها بقيت في اللاشعور ،فصبها الأسدي أدباً وفناً في موسوعته التي عكس فيها مجتمع حلب ولامس حضارته . وكثيرون هم الذين أعجبوا بهذه الموسوعة حيث تجلى جوهر عمله الفني الأدبي ،والذي لم يظهر ويعلُ بما تضمنه من خصائص مفردة وشخصيته ،بل بسبب سموه فوق ما هو شخصي وبسبب شمولية أبحاثه مما جعله يخدم أهدافاً حضارية . هذه هي صفة العالم عندما يصف ملامح شعبه ولغاته ،فإنه يسكب حبه النرجسي في تلك الصيغ والأشكال ويساهم في إشباع أشواق سائدة وإرواء نفوس متعطشة عند الجماهير، وبهذا العمل خاطب الأسدي عقل الشعب الحلبي وقلبه ،وبهذا العمل أصبح الأسدي (علامة)^(٨٩)

٢- العمل الثاني : عبّر عنه في شئيرات (قصائد نثرية) غنائية أنيقة على شكل شطحات ونفحات صوفية ضمنها كتاب (أغاني القبة) الذي ظهر عام ١٩٥٠م في مدينة حلب .

ويعد هذا الكتب -بحق- ترجمة ذاتية للأسدي يؤكد فيه نفسه المعذبة منذ بواكير الطفولة ؛ لذا فدراسة هذا الكتاب تعد محاولة نظرية جديدة تقدم تفسيراً علمياً عن بسيكولوجية أعماله الفنية والذاتية .

لن ندرس هذا الكتاب الآن دراسة أدبية ،وإنما نفسية تحليلية . إنه كتاب صعب الفهم عسير التفسير . لا يفهمه إلا الخاصة ،كما أشار الأسدي نفسه على ذلك ،لأنه يتوجه إلى الصفوة من المثقفين وقادة الفكر ،ولذا من الصعب أن يفهم العامة مكامن الجمال فيه وأعماق المعاناة في كل سوره وشئيراته^{٩٠} التي في أغاني القبة ، و التي كتبت بأسلوب منمق وبرمزية مغرقة ،عبرت عن نفسه بآمالها وآلامها .بحبها وشبقها بتصوفها وفنائها . صحيح أنه جنس أدبي حديث وكما قيل : إن مدرسة جديدة للشعر قد ولدت . ولكن الأسدي عمد إلى

٨٨- عبدالمحسن، د. محمد حسن : الأدب الشعبي في حلب ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤م ، الباب الرابع، الفصل الثاني : النزعة القومية.

٨٩- لمزيد من التفصيل والدراسة والتحليل لهذه الموسوعة ينظر الفصل الثالث .

٩٠ سور : جمع لمفردة سورة ، قال الأسدي : (جعلت مقطوعات دعوت كلا منها (سورة) أي أغنية ، ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة نفحات صوفية ، المقدمة ص د

الرمز والإشارة ليعبر عن نبضه الباطني ، ويبدع لنفسه مصطلحات خاصة لا يدركها إلا هو...ونقل بذلك نفحاته الصوفية من التصوير البياني إلى التصوير الرمزي .والإيحائي حيث استطاع إطلاق عالمه المكبوت في نفحات يصفها هو بقوله :

**"نفحاتنا هذه رهيبة صميمية ناعمة ؛لها لغاها ومصطلحها كما لها آفاقها وأجواؤها
،مسحتها يد الفن و مؤمنها أزميل الخيال." ٩١**

لذا بقيت القراءة في هذا الكتاب صعبة ،بصفتها.كما أسميها "كيمياء لغوية" من قبيل (الشثر) ولكن أية واقعة وأي التزام بقضية فلسفية أو نفسية يمكن أن نستشفها بسلاسة من هذه الأسطر التي لم تحقق في الواقع سوى بعدها الأدبي !

ثم إنّ الموسيقا الشعرية عنده هي موسيقا اللغة التي تشمل لدى الأسدي مناغم التجربة الصوفية ، مناغم خاصة في نفسه ،ويتجلى أكثرها في الأسلوب الذي اتبعه في طرح أفكاره الفلسفية .

يحاكي الأسلوب أسلوب القرآن ،حيث قسّم الأسدي كتابه إلى وحدات موسيقية وسور كثيرة ، وبعض أسمائها من أسماء القرآن كسورة (القدر)وكذلك بعض الكلمات والصور البيانية في سورة القدر ذاتها نقرأ :

"يا نثرة الرفاه ! يا طبق النور ! يا حانة الإلهام ."

يا ليلة القدر ! سلام أنت حتى مطلع الفجر " ٩٢

وكذلك في سورة (إياز) :

"باسم الله مجرى سفينتي في بحر المدام ،

وباسم الله مرساها في شاطئ السلام " ٩٣

صور تتكى على تعبيرات أرثية متداولة ومفردات قرآنية.

^{٩١} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة نفحات صوفية ، من المقدمة ، ص ج

^{٩٢} المصدر السابق نفسه ، ص٧٧

^{٩٣} المصدر السابق نفسه ، ص٦٧

ولاشك في أن القرآن الكريم تتمثل فيه طاقة أدبية هائلة ،حاول الأسدي أن يحاكيها ...

يقول :

" كنت أوتر أن أخلق أغاريدي ، لأنني لم أشرف على تلك الأذن القدسية الحاضنة تموجات الوحي ، أما الآن وقد استوت سفينتي على جودي الغناء الصوفي .ووجدت في مهدي تلك الأذن المربية ،فلترفف عصفورة الروح في أجوائها الفين"^{٩٤}

إن أكثر ما ينطق به الأسدي بأسلوبه الغنائي ، هو من قبيل الرمز الحائر والأسلوب الغامض الذي لا يفهمه إلا من تذوق أحواله^(٩٥).

* رحلات الأسدي وسياحاته :

الرحلة الأولى :

كان الأسديّ شديد الوله بالآثار والرحلات ، ففي نهاية عام ١٩٤٦م قام برحلته الأولى إلى فلسطين ومصر ، فزار القدس ومدناً أخرى ، ثم سافر إلى مصر فزار القاهرة والإسكندرية ، ثم عاد إلى فلسطين ثانية ، ومنها تابع سفره إلى بيروت منهياً رحلته في ٢٦ / ١٩٤٧ م . وقد تردّد في رحلته العلمية هذه على خزانة يوسف باشا الخالدي في القدس ، وعلى دار الكتب المصرية في القاهرة ، حيث اعتكف مع أمات المخطوطات في خزائن عدّة بما في ذلك خزانة بلدية الإسكندرية ، وفي يقين الأسدي أن جذور الحضارة الإنسانية كامنة في وادي الفرات و وادي النيل .

الرحلة الثانية والثالثة :

زار الأسدي بعد ذلك تركيا مرتين : الأولى بدأها في ٢ / ٩ / ١٩٤٧ م ، فركب القطار من حلب وزار إزمير وأنقرة وإسطنبول، ثم عاد منهياً رحلته في ١ / ١٠ / ١٩٤٧ م . وعاد بعد سنة مرة أخرى إلى تركيا بين ١٢ / ٨ / ١٩٤٨ م و ٣ / ٩ / ١٩٤٨ م لاستكمال بحوثه والاطلاع على المخطوطات ، فزار قونية وبورصة وإسطنبول ، ويمكن أن

^{٩٤} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة نفحات صوفية ، المقدمة ص د
٩٥- لمزيد من التفصيل في دراسة هذه النفحات ينظر الفصل الثالث.

تُعدّ رحلتاه إلى تركية رحلتين علميتين ، ويتبين لنا ذلك من ثبت الخزائن (المكتبات) التي تردّد عليها في المدن التركية .

الرحلة الرابعة :

كانت هذه الرحلة إلى العراق وإيران . وقد سافر برّاً عن طريق أبي الشامات بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٤٩ م ، ودخل إيران في ٢٢ / ٩ / ١٩٤٩ م ، وعاد بوساطة القطار إلى حلب بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٤٩ م . فزار كثيراً من المكتبات والأماكن الأثرية والخزائن الزاخرة بالمخطوطات في العراق وإيران ، والتقى بشخصيات علمية من مثل : علي كاشف الغطاء ، كما زار مدينة طوس على الحدود الهندية ، وقبر هارون الرشيد فيها .

الرحلة الخامسة :

زار فيها يوغسلافية وهنغارية وبلغارية والنمسة وألمانية ، كما زار اليونان وقبرص . وكانت رحلته في عام ١٩٥٦ م إلى النمسة مشتركة مع طلاب كلية الهندسة في جامعة حلب بالسيارة ، وفي إسطنبول فضل العودة بوساطة باخرة تركية تجوب الشواطئ بين إسطنبول ولواء إسكندرون . وقد اتسمت هذه الرحلة بالطابع السياحي والاطلاع على الآثار . وكثيراً ما كان يتأخر انطلاق السيارة في انتظار الأسدي الذي كان مشغولاً في تمليّ قطعة أثرية أو مشاهدة رقصة شعبية .

الرحلة السادسة :

كانت إلى شمال إفريقية وإسبانية . وقد زار فيها طرابلس الغرب ، وتونس والمملكة المغربية وإسبانية ومالطة . وكانت هذه رحلة علمية ، زار خلالها خزائن عدّة ، منها خزانة الأوقاف في طرابلس الغرب .

الرحلة السابعة :

وكانت إلى إفريقية والحجاز ، زار فيها السودان الحبشة واليمن والحجاز . فقد غادر دمشق بوساطة الطائرة إلى الخرطوم في ٧ / ٣ / ١٩٥٩ م ، حيث مكث أربعة أيام ثم عاد

إلى القاهرة ، ومنها انطلق إلى أديس أبابا في ١٧ / ٣ / ١٩٥٩ م ، ومنها إلى مطار (تعز) في اليمن ، وبعد أربعة أيام اتجه إلى جدة في ٦ / ١٠ / ١٣٧٨ هـ ، ومنها إلى مكة المكرمة إبّان تأدية فريضة الحج ، ثم غادرها إلى المدينة المنورة لينطلق منها إلى بيروت في ١٢ / ١٠ / ١٣٧٨ هـ ، منهياً رحلته في ٢٢ / ٤ / ١٩٥٩ م بعودته إلى حلب .

وقد اتسمت هذه الرحلة بالتنقل السريع واختصار الوقت بالانتقال بوساطة الطائرة ، ليتوافر له زيارة بعض القبائل الإفريقية والشخصيات العلمية ودور الصحافة وخزائن الكتب . التي كان يطلع على محتوياتها ويدون ما يحتاج إليه .

وما عدا هذه الرحلات هناك زيارته المستمرة إلى ربوع سورية والأردن ولبنان ، وتردده على مكتباتها وزيارة أعلامها وأماكنها الأثرية . وكانت أغلب رحلاته تأتي في الأشهر الأخيرة من السنة - خلال الصيف - وذلك يشير إلى أنه كان يعمل طوال السنة في التدريس ليجمع ما يمكنه من القيام برحلة علمية تكون دعماً لمباحثه الثرة . وكان كثيراً ما يقتصر على القليل من الطعام ليتسنى له دفع أجرة الفندق أو بقاء مدة أطول إلى جانب تلك المخطوطات .^{٩٦}

وقد كان لهذه الرحلات أثرها الكبير في دعم صلته بأهل المعرفة، مواجهة أو عن طريق المراسلة مع الأدباء من مثل أحمد زكي باشا وعالم اللغات السامية قاسم أحمد ، وأحمد تيمور باشا وأحمد أمين وقد وصف الأخيرين بأنهما سيذا القرن العشرين في الأدب ، فضلاً عن الأجانب من مثل المستشرق الفرنسي رينيه دوسو والألماني ألي مترن.

^{٩٦} ينظر : المعمار ، محمد صبحي : أعلام راحلون من جمعية العاديات ، مجلة العاديات ، عدد خاص أصدرته جمعية العاديات ، حلب ، خريف وشتاء ٢٠١١م ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤

الفصل الثالث

آثار الأسي واطاهاة الأبية

١- آثاره :

تنوعت آثار الأسدي م. خير الدين وتعددت مؤلفاته، فمنها ما يتصل بعلوم اللغة العربية ومنها ما يختص بالإبداع الأدبي ، إلا أنه في جميع تصانيفه ينحو منحى البحث العلمي والتخصص والتدقيق ويذهب مذهب الاستقصاء والتعمق ، فلا يتولى عن واحد من أبحاثه قبل أن يفرغ فيه ثقافته الواسعة وتأملاته النافذة ، فإذا به نير الجوانب واضح الأفكار حافل بالمعرفة .

ولم يكن - رحمه الله - من المغفلين لجهود غيرهم ممن ينسبون لأنفسهم ما ليس لهم ، بل نراه يحرص الحرص كله على المنهج العلمي في التأليف فيقدم الآراء السابقة من غير نقص أو تحريف معزوة إلى أصحابها مشارا إلى مظانها في المصادر والمراجع والدوريات ، ثم يتبعها برأيه الخاص مهتديا في ذلك بهدي علمائنا الأولين^{٩٧} .

* وللأسدي مجموعة من المقالات والكتب المطبوعة والمؤلفات المخطوطة . وقد كان الأسدي ينصرف إلى الكتابة والتأليف مثل انصراف أي حرفي إلى عمله . ولطالما خاطب وجدان الحليين ولا سيما في موسوعته المقارنة .

أ- كتبه المطبوعة في أثناء حياته :

١- **البيان والبديع** (وضع وتصنيف) : كتاب مدرسي ألفه الأسدي لطلابه لتعليم أصول البلاغة معتمداً على فهم الطالب للنص وتذوقه له واستنباطه القواعد البلاغية بنفسه . وقد طبع في مطبعة العصر الجديد في حلب عام ١٩٣٦ م ، ويقع في (١٨٥) صفحة .

٢- **عروج أبي العلاء** : قصيدة للشاعر الأرمني (أويديك إسحاقيان) وقد ترجمها الأسدي م. خير الدين مع (بارسيخ تشاتوبان) ، وطبع هذا الكتاب عام ١٩٤٠ م ، ثم أعيد طبعه في مطبعة الضاد في حلب عام ١٩٥٠ م في خمسين صفحة .

٣- **أغاني القبة (نفحات صوفية)** : مجموعة فريدة من الشتر (قصائد النثر) الصوفي الأنيق أصدرها الأسدي عام ١٩٥٠ م في حلب مطبعة الضاد . وقام الفنان (جورج مصور) برسم ٢٨ لوحة فنية في الكتاب كل عدة لوحات بلون وختم كل نص بصورة

^{٩٧} - ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مجلد ١ ، ص ب من التصدير بقلم الأستاذ الشاعر محمد كمال .

من التراث المادي فضلا عن تكرار لوحة واحدة في الطرف الفارغ الأيمن من كل صفحات النصوص الأدبية^{٩٨} وتعد أغاني القبة من بواكير ريادات الشتر (قصيدة النثر) في سورية ، وهي من أعز مؤلفاته إلى نفسه وسنقف وقفة نقدية متأنية على أغاني القبة في الفصل الثالث من هذا الكتاب لاحقا .

٤- **حلب : الجانب اللغوي من الكلمة :** ليس الكتاب مجرد بحث لغوي ، بل هو « ترجمة علمية لحالة العشق التي يعيشها الأسدي تجاه حلب»^(٩٩)، وإليها يرفع بحثه هذا قائلاً : « نعم هذه حلبي أنا ، حلب : أحلامي ، ورؤاي .. وحلب جزء من كل حلبي . فإلى حلب أرفع بحثي المتواضع هذا »^(١٠٠). الكتاب مؤلف من خمسة أقسام هي : أسماء حلب ، حلب في الآثار ، المذاهب في تسميتها ، من بنى حلب ، تحليل اسم حلب . ويؤكد المؤلف أن حلب من أقدم مدن العالم ، وفي مغاورها تجثم حلب العصر الحجري . وأما أول ذكر لحلب فكان نحو ٢٢٠٠ ق.م أي قبل الفتح الحثي بـ ٣٨٠ سنة ، وذلك في لوحات قصر ماري ، ويستنتج قائلاً : « إذن حلب نشأت سامية ، ودرجت سامية ، وكان لها شأن حربي ، ومكانة تجارية عظيمة قبل استيلاء الحثيين . ولفظ حلب سامي أطلقه عليها سكانها الأصليون »^(١٠١). وطبع هذا الكتاب في مطبعة الضاد في حلب ، عام ١٩٥١ م ، ويقع في ٢٣١ صفحة .

وقد صدر الأسدي كتابه هذا بقوله : « منحتك يا حلب ! كل ما انطوى عليه قلبي من كنوز الخير ، وكتبت على النفس أن تضني لرسالتها وتضني ، فحرام على قلبي أن ينال بلة من الماء إن كان في البلة ما يمس مثله ، وحرام على قلبي ألا يولي الجميل جميلاً وأكثر . حلب ! لا منة لأحد في البسيطة عليّ ، فما أكلت الخبز إلا بعرق جبيني»^(١٠٢) .

^{٩٨} ينظر : الملحق رقم /١٠/

٩٩- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٤ .

١٠٠- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٤ .

١٠١- المرجع السابق ، ص ٣٤ .

١٠٢- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٢٩ .

تعكس هذه كلمات صفاء روح الأسدي وعشقه لهذه المدينة الذي بلغ حدّ التوحّد معها ، كما تصوّر جهده المضني في دروب المعرفة . لقد خصّ حلب بأفضل مؤلفاته ، وبموسوعة تعدّ أكبر موسوعة في العالم صنّفت في لهجة مدينة .

٥- قواعد الكتابة العربية : كتاب مدرسي قدّمه الأسدي لطلابه . وطبع في المطبعة العلمية في حلب عام ١٣٤١هـ ١٩٥٢م ، ويقع في أربعين صفحة .

٦- يا ليل (دراسة) : بحث فيه عن أصل كلمة (يا ليل) والمذاهب المتعددة فيها من مثل نداء يا الله بالعمورية ثم بالأرامية وغيرها ، وقد عبر الأسدي بوصفه شخصية حلب إلى العالم بكل أبعاده ...في عذاباتهِ عبر نفحاتهِ الصوفية النوعية الغرائبية والتي تجاوزت حدود الجمال في الإبداع الأدبي -خصوصا- في كتابه (يا ليل) ونفحاتهِ الصوفية (أغاني القبة) . وطبع (يا ليل) في مطبعة الضاد في حلب عام ١٩٥٧ م ، ويقع في ١٣٥ صفحة .

ب - ومن مقالاته المنشورة في أثناء حياته :

١ - ليس : مطبعة العصر الجديد ، حلب ١٩٣٧ م .

٢ - السماء : مطبعة النهضة ، حلب ١٩٤٠ م .

٣ - حلب : حلب ١٩٤٠ م .

٤- وقد ترجم العلامة الأسدي بمساعدة بارسوخ تشاتويان بعض الأمثال الأرمنية إلى اللغة العربية ، وطبعت في أوائل الخمسينات من القرن العشرين في حلب .^{١٠٣}

هذا بالإضافة إلى كثير من المقالات اللغوية والأدبية التي نشرت في بعض المجلات ، ومن الأحاديث التي أذيعت من إذاعة حلب .^{١٠٤}

ج - ومن كتبه المخطوطة :

^{١٠٣} مجلة الآداب العالمية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ع٢ سنة ١٤٩ / ٣٧ ، ٢٠١٢م ، ص ١٣١

^{١٠٤} ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، من التصدير بقلم محمد كمال .

١ - الله : هذا الكتاب هو أبحاث علمية مركزة ، ونموذج لعمل العالم المتمكن ، ومثال لديموقراطية الفكر والاختلاف ، حيث يعرض الآراء المتعددة بدقة وأمانة حتى لتخال بأنه يتبناها .

وهناك في الكتاب ثمانية و خمسون بحثاً يدور بعضها حول التسمية والمدلول ، ومعاني كلمة الله ، ولفظة الله من الناحية الصرفية و مقارنتها بالساميات ، والإشارات الصوفية حول أحرف الله ، وورود الله في أعلام الملائكة والأصنام والأماكن واللغات ، ثم ينتقل إلى مذهبه في تحليل كلمة الله ، فيرى أن الألف واللام لفظ سامٍ أولي مشترك لعموم اللهجات السامية ، داعماً رأيه بما قدمته الآثار . يقول : " أقام سرجون الأول في بابل معبداً جديداً لمردوك ، وأطلق على المدينة اسم "باب إل" أي باب الله ، و من مدن آشور "أربا الو" أي المدينة ذات الآلهة الأربعة وهي مدينة (أربيل العراقية) حالياً . و جاءت كلمة الله في صلاة بختنصر الثاني إلى مردوك "إيلو" و دعاه الكنعانيون "إل" كما في نقش "كلمو" وفي نقش "منعزر" وفي التدمرية "إله" و المؤنث "اللات" و منه اسم وهب اللات ... الخ . وقد خطت هذه المخطوطة بخطّ يده ، تقع في (١١٢) صفحة (١٠٥) .

٢ - أحياء حلب : مخطوطة في (٤٥) صفحة ، تحتوي فهرس أحياء حلب وأسواقها وهي بمنزلة موسوعة ألف بائية ؛ مثال ذلك (حرف ك - كلاسة) ، استكمل التأليف فيها ووضع فهارسها -كما يدعي- عبد الفتاح قلعة جي ، حتى أصبحت في (٤٦٢) صفحة ، من مطبوعات وزارة الثقافة ، دمشق ، عام ١٩٨٤ م .^{١٠٦}

ويقول الباحث قلعه جي عن هذا الكتاب : " هذا الكتاب جهد مشترك بدأه العلامة خير الدين الأسدي بمخطوطة صغيرة تقع في (٤٥) صفحة ، اطلعت عليها فوجدت أنها مشروع أولي لا بدّ من إتمامه " (١٠٧) .

إن تسجيل هذه الأحياء ، وتحديد موقعها ووصفها ، والتحقيق في سبب تسميتها أصبح ضرورياً بعد أن أخذت يد الهدم والتغيير تعمل فيها . وكان لا بدّ -بالإضافة إلى المصادر

١٠٥- ينظر : مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٣ . ٣٤ .

١٠٦ - الأسدي ، م. خير الدين : أحياء حلب وأسواقها . المقدمة .

١٠٧- الأسدي ، خير الدين : أحياء حلب وأسواقها ، ص ١٣ . علماً بأن عبدالفتاح قلعي قد نسل هذا المخطوط بادئ ذي بدء وادعاه لنفسه وأصدره في كتاب وضع عليه اسمه فقط ، وبعد كشف هذا الأمر ، أعاد اسم الأسدي على الكتاب ، وطبعته وزارة الثقافة في دمشق .

الخطية والطبعية - من القيام برحلات ميدانية واسعة والعودة إلى مخططات البلدية لتحديد الأحياء وجمع المعلومات عنها .

ويتابع عبد الفتاح قوله : " في اعتقادي أن الأسدي قد توقف عن العمل في مخطوطته عام ١٩٦٠ م ، وتركها جانباً ليتفرغ لكتابة موسوعة حلب المقارنة " (١٠٨) ، وبما أن المدينة قد شهدت اتساعاً سكانياً كبيراً ، ونموً سريعاً في العمران ، نشأت أحياء جديدة ، وزالت أحياء قديمة ، وتمّ الحفاظ على أحياء أخرى ، كما أن قيام المنشآت أدى إلى اختفاء مساحات واسعة من النسيج العمراني القديم ، وظهور ساحات وشوارع وأحياء وأسواق جديدة ، فتغيرت أسماؤها وصفاتها ، فشمّل التغيير الجوانب البشرية والعمرانية والوظيفية ، أضف إلى ذلك " أن الأسدي أغفل ذكر أحياء كثيرة ، واكتفى في بعض المواضع بإحالة القارئ إلى مقال له منشور في جريدة يومية أو مجلة مما يصعب جمعه أو متابعته ، وإن المخطوطة الأصلية تشكل بداية مشروع قيم ، فعمل الأسدي كان في حاجة إلى إتمام وإغناء وتحديد منهج . فقد كان يقتصر أحياناً على التحقيق اللغوي ، وأحياناً على ذكر اسم الحيّ بلا شرح ، وثالثة على الإفاضة في جانب من دون الجوانب الأخرى" . وبناءً على ذلك يقول عبد الفتاح : " لهذا عازمت على متابعة التأليف في هذا المشروع الرائد وإتمامه ، فأضفت إليه ما أغفله صاحب المخطوطة الأولى من أحياء أو ما استجد بعده أو ما هو في طور الإنشاء ، كما توسعت في المعلومات التي وردت مختصرة ، وأضفت ما في الأحياء من آثار وأماكن كان أو ما يزال لها وجودها الحضاري من مساجد ومدارس وخانات ومزارات وحمامات وقساطل وغيرها . وعددت بعض الأسر الساكنة فيها ، كما قمت بإغناء الكتاب بمجموعة قيمة من الصور ومخطط للمدينة ، وصدرت الكتاب بمبحث يحكي قصة الحياة المتجددة والنشاط المدني لأحياء حلب ، وذيلته بتراجم الأعلام والمصطلحات الحضارية ، والفهارس ، وسميته أحياء حلب وأسواقها " (١٠٩) .

ويرى عبد الفتاح أنّ عمل الأسديّ " يكاد يقتصر على بعض المعلومات المستقاة من المصادر التي ألفها مؤرخون كان لهم فضل السبق في ذكر أحياء حلب والحديث عنها ، من

١٠٨- المصدر السابق نفسه ، ص ١٣ .

١٠٩- الأسدي ، خير الدين : أحياء حلب وأسواقها ، ص ١٤ .

مثل : ابن العديم ، وابن شداد ، والغزي ، والطباخ ، وقد رأيت أنه لتمام الفائدة لا بد من أن يتضافر البحث الميداني مع ما نقلته إلينا تلك المصادر " (١١٠).

وللتمييز بين عمل عبد الفتاح وعمل الأسدي والحفاظ على متن المخطوطة الأولى فإن عبد الفتاح عمد إلى ما يأتي ، وفق قوله :

أ - إذا كانت المادة المكتوبة هي لي كاملة وضعت أمام اسم الحي أو السوق علامة (*).
ب - إذا كانت المادة المكتوبة إضافة مني لما كتبه الأسدي تقع تصديراً أو حشواً أو تذيلاً وضعتها بين حاصرين معقوفين () كما قمت بإعداد المخطوطة الأولى وتنظيمها وتحقيقتها بحيث يكون تناولها أكثر علمية ويسراً " (١١١).

٣ - أيس وليس : يقول في مقدمتها والمؤلفة من جزأين : " إنَّ خطأ نحّاتنا كان عظيماً في تنكلهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى ، فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من خالق ، مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء " (١١٢) . بهذه العبارات يضع الأسدي أساس نظرية الصرف المقارن ، والبحث عن الجذر اللغوي للكلمة بين اللغات القديمة ، ولا يقتصر بحثه على العرض النظري أو التنظير وإنما يقدم لنا بحثاً تطبيقياً موسّعاً في مخطوطته هذه " أيس وليس " . وقد اختار فعل العدم والوجود بحث فيه نحواً وصرفاً ، وهو أخطر الأفعال ليقارنه في الفصل الثاني لغات قديمة عدّة ، منها : الآرامية والبابلية والآشورية والأكدية والكنعانية والعبرية والسريانية والحيرية والحبشية ... إلخ ، كما اتكأ في مقارنته على لغات أوربية وأفريقية بحسب مقتضى الحال وبتأثير من الفلسفة الصوفية نزع أنه لكل تجربة صوفية أو إيغال في التصوف فلسفته الخاصة ، ونستطيع أن نلمح طيفاً من فلسفة الأسدي في (اللبسيّة) وفي تحقيق الكندي (ت بعد ٢٥٠ هـ / ٨٥٠ م) فإن الأيس وهي باللاتينية (Esse) تعني الوجود ، وعند الأسدي فإن ما يقابل الوجود هو العدم ، ومن ثمّ فاللبسية إشارة إلى العدم بيدّ أنه يقف موقف الرفض من الخلق ، ويعتمد نظرية الفيض التي جاء بها أفلوطين ، وتأثر بها معظم الفلاسفة ، وعلى رأسهم الشيخ الأكبر

١١٠- المصدر السابق نفسه ، ص ١٤ .

١١١- المصدر السابق نفسه ، ص ١٥ .

١١٢- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٣ .

ابن عربي الذي عالجه من منظور دقيق ومختلف نوعاً ما ، له خصوصية تجربته الشهودية . إذ يقول الأسدي في هذا السياق نفسه :

" حوض العدم لا يفيض بالوجود :فالحياة
الوليدة في مدفن الجسم صدور وانبثاق من
حوض الوجود ، يحدها - ولا حد لها -
قطب الأزل ، وقطب الأبد
لسوف أحمل معي إلى قبري خيال خيال
الحبيب: نقطة مدار النور
ولسوف تتزاحم أسراب الحور ، يعطرن
جيوبهن بمرقدي الرطيب" .^{١١٣}

وحين يقول :

" أنا زفرة الله : لا حدود لحبي ، ضمنّ الزمان
بها ، ثم أرسلها ومضة خاطفة ، في سماء
الوجود " ^{١١٤}

فإننا نستطيع أن نفهم أنه لا يشير إلى ماهية الروح ، والتسمية تأتي من كونها زفرة
الله ، إلا أن الأسدي يرفض فكرة الخلق من العدم إذ يقول :
" كنت مع الله ، ولم يكن معاً شيء ، بل كان
كل الوجود يحيا ويدبّ فينا .

جبنا الزمان ؛ جبنا المكان ، يا عين ما
كم كم رأت في ضوج غابات الحياة
فأنا الظلّ الممدود ، وأنا الخطّ المشدود
بين كان ويكون . فني الفنا ونادى الحق : يا أنا ليسية
بدايتك كليسية نهايتك : وجود عدم وعدم وجود " ^{١١٥}

^{١١٣} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٢٦

^{١١٤} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٢٥

^{١١٥}

وقد اعتمد في كتابه هذا على أكثر من خمسمئة مصدر خطي وطبعي في مختلف اللغات ، وقيمة هذا الكتاب ليست في أنه أعاد إلى الأذهان إشكالية قديمة ، وإنما في النهج المقارن الجديد الذي دعا إليه مؤلفه . وهي مخطوطة بخطّ يده في كراسين ، تقع في (٢٥٧ صفحة وكانت محفوظة في دار الأسد).

يروى أنّ أحد قدامى النحاة قد قال حين أدركه الموت : (أموت وفي قلبي شيء من حتى) ، وعلى ما يبدو فإن علامة حلب وباحثها الراحل م. خير الدين الأسدي لم يترك شيئاً من (ليس) ، فقد كشفت مجلة (أيام الشام) في عددها الخاص عن حلب ، ونقلاً عن حوار أجري مع الأسدي عام ١٩٦٥ م ، نقلت أنه قضى ثمانية وعشرين عاماً من عمره يبحث في أسرار (ليس) وانتقل من قطر إلى آخر ، ومن مكتبة إلى أخرى ، وكانت حصيلة ذلك أنه ألّف كتاباً يقع في (٦٠٠) صفحة . وقال عن جهده هذا : (ليس) هي الكلمة التي اشتريتها بربع قرن من عمري سأتركها من بعدي للعلم وللغويين ، وأنا واثق من استحالة الكتابة عن (ليس) أكثر مما كتبت ، ولكن على الرغم من الجهد الذي بذلته في هذا السبيل يصل إلى مسامعي بين حين وآخر همسٌ خافتٌ وتساؤلات غريبة : ما فائدة (ليس) ؟ وهل التعمق في دراستها ونبش جذورها علمٌ؟^(١١٦).

٤ - الألف : كتاب يبحث في (الألف) بين الأحرف العربية ، مبيّناً سبب تسميتها وكتابتها لدى الأمم كلها ، وأحكامها اللفظية والصرفية والنحوية والتجويدية^(١١٧) . وهي مخطوطة بخطّ يده ، تقع في ٤٣١ صفحة وكانت محفوظة في دار الأسد.

٥ - الموسوعة في النحو : ويضم هذا الكتاب مجموعة بحوث غنيّة في علم الصرف وقواعد اللغة العربية ، وجاء في (٣١٠) صفحات وهو كتاب جامع حسن التنظيم والتبويب ، وكان محفوظاً لدى قريب الأسدي فاتح رسلان.

٦ - موسوعة حلب المقارنة : تعدّ موسوعة حلب المقارنة صرخاً ثقافياً ندر مثلها في العالم لباحث فرد . كما تعد أكبر موسوعة عن مدينة في العالم . وهي من أهم أعمال العلامة محمد خير الدين الأسدي على الإطلاق، ولو أمعنا النظر في كيفية ولادة الموسوعة لرأينا أن الأسدي كان يكتب على شكل ملازم في أثناء تجواله في حارات حلب وأسواقها وخاناتها ،

١١٦- ينظر : خير الدين الأسدي ، (٢٨) عاماً في البحث عن (ليس) ، شؤون ثقافية ، جريدة الثورة ، سورية ، ٢٨ / ١ / ٢٠٠٧ .

١١٧- ينظر : الأسدي ، خير الدين : أحياء حلب وأسواقها ، ص ١٠ .

مثلا كان يذهب إلى حي بحسيتا ويلتقي العامة فيها والخاصة ، وينقل عنهم ثم يعود إلى البيت يعيد النظر ويبحث فيما كتب ويؤن ذلك . وقد أنهى عمله الموسوعي في التراث اللامادي الحلبي عام ١٩٧٠م ووسمه بعنوان (موسوعة حلب المقارنة) بعد حوالي أربعين عاما قضاها في الجمع والتسجيل والتدوين وقد أدرك الأسدي أهمية موسوعته وخاف عليها من السرقة أو الضياع ، وقبيل وفاته بعام أودع مخطوطها في دكان (آل جبل) في سوق الزرب قرب قلعة حلب عند شقيق تلميذه القاضي نبيه جبل ، وللدكتور عمر الدقاق – عميد كلية اللغات وقتئذ – الفضل في نقلها إلى معهد التراث في جامعة حلب ، إذ طلب مني ومن الآن طه في الكلية إحضارها بسيارته الخاصة ، وكانت في أربعة صناديق كرتونية مع كيس قصاصات واستلمتها منا موظفة في ديوان المعهد السيدة سميرة قمري ، بناء على توجيه رئيس الدائرة الأستاذ مصطفى موالدي وقد كلف رئيس الجامعة الدكتور أحمد يوسف الحسن لجنة علمية باسم "لجنة موسوعة حلب للأسدي" حدّد أسماءها بإثني عشر عضواً من أعلام حلب وهم د.أحمد يوسف الحسين وطه اسحق الكيالي و د. عبدالكريم شحادة و عبدالوهاب الصابوني و د.عمر الدقاق و د.فايز الداية ومحمد انطلي ومحمد كمال و محمد سراج الدين وناظم سقال ووليد إخلاصي وضم إليهم أخيراً عبدالفتاح رواس قلعه جي في جلسات لاحقة للجنة التحرير، ولكن لجنة الموسوعة قرّرت تكليف الدكتور فايز الداية والشاعر الأستاذ محمد كمال لتوضيح آلية العمل في سبيل إعداد الموسوعة للطباعة ، ثم اتفق الدكتور فايز مع الأستاذ محمد على أن يتفرغ لوحده ، بوصفه يشغل وظيفة مدقق لغوي في المعهد وقتئذ بالإشراف على طباعتها بعد تدقيقها ووضع فهارسها .^{١١٨} وقد كانت مخطوطة الموسوعة تحت نظري في معهد التراث الذي كنت دائم التواجد فيه لمتابعة بحثي في مشروع الدبلوم ورسالة الماجستير وقتئذ^(١١٩) .

وصف الأسدي الموسوعة بالدقة والشمول وحدّد دوافع تأليفها بقوله : " جمعها ودرسها وصانها من أن تعبت بها يدا بيد الضياع في حقبة من عايشهم من صدر القرن العشرين وممن بعجوا سقف القرن ١٩ واستطالت أعمارهم ومن آباؤهم هذه الحقبة التي يعدها العلم أخطر حقب التاريخ إذ تستوي حلقات العصر الذي قبلها بكل ما قبلها كأنها

^{١١٨} ينظر : كتاب ندوة التراث اللامادي ، بحث اللهجات في موسوعة حلب المقارنة ، ص ١١٧ . وينظر : الملحق رقم / / المتضمن التكليف .
^{١١٩} - كانت مخطوطة الموسوعة على قياسين A٤ و الثاني ضعفه ، ينظر الملحق رقم /٦ .

صبت في قالب واحد ، أما هنا في حقبتنا هذه فدهم العالم من حادثات واختراعات آخذة برقاب بعضها غيرت كل أواصر الحياة ، ومنها دراسات الشعبيات في البيت في السوق في الشارع في كل مدب للشعب لا في القصور فحسب ، كما كانت عدسة التاريخ تصور فحسب ، ولا دراستها مبتورة عن العالم .

إذن فأمامنا الآن ميدان صدق وسداد حافل بكل ما يبهج صدر الثاقف البصير ، فإلى هذا الميدان أديروا روس الخيل يا فرسان العلم ، وهلا وهلا وأنا معكم " ١٢٠

وقال : "موسوعة حلب حصاد عمر قضيناه في الدراسة والتدريس بجوار خزانتنا الزاخرة بكل أثر لغوي ، ثم قضيناه في سياحات إلى خزائن العالم والاتصال بذوي المعرفة . وإن كتابي يعتز بأن يعلن أن ليس لمدينة في العالم ، في أوربا ولا غيرها ، كتاب حافل بكل أواصره الدقيقة ككتابي " (١٢١) . لقد حقق الأسدي في موسوعته معجزة العصر مما لا يستطيع أن ينجزه غير كادر موسوعي اختصاصي ، وهي تعدّ بحق تكملة للمعجم العربية ، فاللهجة العامية فرع طبيعي للفصحى ، والفصحى بدورها تطور لما قبلها من قرون . وهذه الموسوعة ليست معجماً لغوياً فحسب ، أو تطبيقاً موسعاً لنظرية الصرف المقارن والبحث عن الجذر اللغوي للكلمة و إنما هي دائرة معارف ومعجم شعبي فولكلوري وإنساني وحياتي . إنها مرآة حلب وحياتها . وهي كنز ثقافي تراثي وعمل فريد ونوعي جد جميل ، فهذه الموسوعة مخطوطة كبيرة تقع في حوالي (٧٨٥٩) صفحة محفوظة الآن في معهد التراث العربي بجامعة حلب ، أعاد الأسدي النظر فيها أربع مرات سعياً منه إلى إغنائها وتجويدها شكلاً ومضموناً ، وكان هذا واضحاً في أوراق المخطوطة وبلون قلم مغاير للخط الأول علماً أن ثبت المصادر والمراجع لم نجد له أثراً في مخطوطة الموسوعة كما لم نجد فيها توثيقاً للمأثورات وفنون القول الشعبي . سجّل الأسدي في الموسوعة لهجة حلب العامية بهدف أن يكون تكملة للمعجم العربي ، وكلمات الموسوعة مرتبة حسب تسلسل الحروف ، وقد أطلق على هذا النوع من العمل اسم (علم الحياة) فقد سجل في هذه الموسوعة كل ما يتعلق بلهجة حلب من مفردات لهجة حلب : مقابلاتها مع غيرها ، قواعدها ، أمثالها ، حكمها ، تهكماتها ، تشبيهاتها ، استعاراتها ، مجازاتها ، كنياتها ، تورياتها ، جناساتها ، معتقداتها ،

^{١٢٠} الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، المقدمة .

١٢١- مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٤ .

خرافاتها ، كتاب اللباد ، حكاياتها ، سبابها ، تمجكاتها ، شعرها ، مواويلها ، أغنياتها ،
ألغازها ، تصحيفاتها ، معاذلاتها ، دعواتها لفلان وعلى فلان ، مزاحها ، نوادرها ،
هنهوناتها ، مناغاة أمهاتها ، شدياتها ، عاداتها ، كلام أهل البيول فيها ، نهفات مجانيها ،
ملابسها ، مطابخها ، أهازيجها ، قراها ، بواديها ، حاراتها ، ألعاب سهراتها ، تملقاتها ،
إحصاء عام ، ثقافة عالمية تشترك فيها ، من لوحات أناسها ، من عثرات أقلامها ، من
اصطلاحاتهم ، من أهازيجها ، من نداء باعتها ، من آدابها ، من تعبيراتهم الحديثة ، من
عكايز كلامها ، من تندراتها ، من تملقاتها ، من ألعابها ، من عنجياتها ، من لخماتها .

١٢٢

وهذا ما يجعل عمل الأسدي في موسوعته عملا " تعجز عن القيام به مؤسسة كاملة
، وقد أعاد كتابتها ، وعدد صفحاتها تسعة آلاف صفحة ، بخط يده أربع مرات دون
استعمال الآلة الكاتبة أو الحاسوب الذي لم يكن معروفا زمن الأسدي ، لذلك كان فيها تكرار
يختصر ، في حال حذفه ، ثلث حجم الموسوعة ، كما ذكر مبرمجها على الحاسوب " ١٢٣
وقد طلب الأسدي من وزير الثقافة في أوائل الستينات طباعة الموسوعة وتبني ذلك
وقتنئذ محافظ حلب أحمد إسماعيل لكنه لم ينفذ ذلك .

^{١٢٢} الأسدي ، م. خير الدين ، موسوعة حلب المقارنة ، مجلد ١ ، محتويات الموسوعة .
^{١٢٣} حجار ، عبدالله : ذكريات مع خير الدين الأسدي ، مقالة ضمن : مجلة العاديات ، حلب ، عدد خاص عن تراث حلب غير المادي ، الأسدي
وموسوعته ، صيف ٢٠١١ ، ص ٣٣ هذا التكرار لا يمكن اختصاره لأن الأسدي كان يبحث عن مفردات المأثور الشعبي كلها لذلك لا بد له من أن
يكرر هذا المأثور بحسب احتواء هذا المأثور للمفردات .

٢- اتجاهات الأسدي م. خير الدين الأدبية :

في حياة الأسدي منعطفات تركت بصماتها في نفسه وأثرت في سلوكه ومعاملاته كما أثرت في تأليفه وكتبه .

ونتيجة لتحليل شخصيته وما انتابها من مواقف نفسية واجتماعية تركت انطباعات وتجسدت في لوحة حضارية محلية صاغها في موسوعة حلب المقارنة أو تجلت في شطحات صوفية غناها في كتاب (أغاني القبة) .

لعل العلامة الأسدي من أوائل الأدباء الذين أبدعوا الشثيرة (قصيدة النثر) في النصف الأول من القرن العشرين في سورية ولئن سبق في ذلك على الناصر إلا أن الأسدي قد صدح بالإيقاع الموسيقي المفعم بالأحاسيس والمشاعر الغنية بالتجربة الجمالية الإبداعية مما بألفاظه وتعابيره التي أدهشت المتلقين والنقاد من مثل قول جميل منصور : " صدقني أيها القارئ العزيز أنني لم أتذوق طعاماً مثل طعامها ، ونكهة مثل نكهتها لذلك كنت أقرأها نهاراً وأعيدها ليلاً ، إنها فريدة في الأدب العربي شعره ونثره ، ولم أعثر على مثل لها في الآداب العالمية كلها " ^{١٢٤} وتبعاً لأهمية هذا الإبداع الأسدي المتميز شكلاً ومضموناً ؛ أجدني منساقاً للوقوف على عتباته وملامسة آلياته وأبعاده الفنية المهمة . بدءاً من توصيفه وانتهاء بظاهرة التناسل فيه .

أ - أغاني القبة شطحات صوفية غناها الأسدي :

هي مجموعة شثيرات (قصائد نثرية) ونفحات صوفية عنونها باسم سُورٍ عددها سبع وعشرون سورة تبتدئ بسورة المدرج ثم سورة الحبرة ، وسورة الجمال ، وسورة الزنار ، وسورة الحكمة ، وسورة الذكرى ، وسورة السواجي ، وسورة الدرداب ، وسورة إياز ، وسورة القدر ، وسورة الجام ، وسورة الإسميد ، وسورة التعاشيب ، وسورة الحباب ، وسورة الأشافي ، وسورة الليية ، وسورة المقصف ، وسورة البيان ، وسورة التفاحة ، وسورة الغيب ، وسورة التقطير ، وسورة الظلال ، وسورة المثلث ، وسورة رابعة ،

^{١٢٤} معمار ، محمد صبحي : أعلام راحلون ، مجلة العاديات ، عدد شتاء وخريف ٢٠١١م ، ص ٢٧١

وسورة الإشراف ، وسورة الشظايا ، وتنتهي بسورة الفناء . بثّ فيها مواجده وأفكاره الصوفية : وحدة الوجود ، والاتحاد ، والخروج من ناسوت الجسد ، والمعرفة القلبية والعقلية ، والدائرة ، والكهف ، والمعرفة الإلهية . وقد حدّد الأسدي منهجه في الكتابة في تدارك الشرح وتدارك التأثر بقوله : « تتصدر كل سورة بشرح طائفة من المفردات ، لا غنى عنها ، كأن نورد: تراجم وجيزة للأعلام ، مفردات من مصطلح الصوفية ، مفردات من مصطلحنا ، مفردات لا تنتمي إلى الفصحى ، مفردات غريبة . وقد نضم إليها ما هو معهود لدى كبار الكتاب استئناساً .

أما شرح النص فلم نتطرق إليه – على ما يفرض الفن- فللقارئ أن يسبح في الجو الذي استوحى.

وآثرنا أن تستقل هذه الشروح عن النص، ليوغل القارئ في الاستغراق لدى تلاوة النص، دون أن يتوزع.

وأقدمنا على طبع الشرح والتأثر أولاً ، ليتسنى لنا أن نعيد النظر في النص وكان من الخير «(١٢٥)» .

١- التناص في أغاني القبة :

كان الأسدي رحمه الله يزعم أنه صوفي النزعة، وأنه على مذهب الحلاج: أنا من أهوى ومن أهوى أنا... أي على مبدأ الحلولية ...

يعتمد التراث الصوفي على السمو الروحي بما يتعلّق بالنفس البشرية، و لطالما كنت أقرأ من أغاني القبة وحين أتم القراءة سرعان ما أنام بهدوء وسكينة .
إن أغاني القبة تراثيل روحية ونفحات صوفية وابتهالات ربّانية عبّر من خلالها الأسدي عن صدق نفسه ورقّة عاطفته واتحاد روحه مع الذات الإلهية العلية ، هي تراثيل يرتقي بها من عالم الحسّ والمادة إلى عالم الروح والجلال ، ومن عالم القبح والفساد إلى عالم الجمال والكمال .

ويرى الأسدي أن الروح قد تغرّبت عن عالمها الأول حين انفصلت عنه إلى قيد الجسد الذي بات سجنا لها ، وقد أصابتها فيه الآفات والأدواء ، ولحقها ظلم الإنسان نفسه والآخرين . وتُعد ظاهرة الإغراق في التهويمات الروحية ظاهرة مهمة في أغاني القبة ، والغاية من هذا الإغراق هي الخلاص من ربكة ارتباط الذات الإنسانية بواقعها المعيش ، وإعادة ربطها بأجواء الحلم ، في نمط من الهرب السلبي من واقع الذات المرهقة ، يقول الأسدي :

تغرّبت الروح ، لدن فصلت عن عالمها

الأول ، وكانت الغربية طليعة البلاء

ثم سُجنت في غياهب الجسد ، وحُرمت

طُول الألوهية ، وكان السجن أدهى بلاء

وسُلطت عليها -سحابة الحياة- ضروب

الأسقام والآفات تصوّحها ، وتذوى

نضرتها

وظامة الظلم : ظلم الإنسان طبقت الجوّ

بدخان الآهات

فواروحاه ! وواروحاه ! ويا لله لغربتاه ،

لغربتاه . ١٢٦

وقد أطلق الأسدي على نصوصه اسم (أغنيات) وسمى كل نص ب (سورة) فهي سورة من سور الروح يرتل بها اسم الله ويعزف بها على نكره وتبجيله وقد أورد الأسدي في أغاني القبة سبعا وعشرين سورة " بعدد الحروف الأبجدية العربية مستثنيا بذلك حرف الألف متفقا بذلك مع الشيخ الأكبر ابن عربي على أن الألف ليس حرفا بل قُيُوم

١٢٦ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٤٠

الحروف كلها "١٢٧" وقد أكد الأسدي أن سوره هذه هي وحي إلهي ، من مثل قوله في
سورة الحبرة :

أنا مزامير محراب الزمان ، أنا ببعاء
الحضرة ، أردد ما ينفث في منقاري أستاذ
الأزل
أنا قمريّ الفجر، أهيم بتسابيحي من
مرفه إلى مرفه، وأشعل فوانيس المرح في
ضفاف الحياة^{١٢٨}

ويظهر الأسدي تماثلاً بين عبارات أغاني القبة وعبارات القرآن الكريم ، وذلك في
مفاتيح إيقاعات الصوتية ؛ أي الحروف المقطعة التي ترد في مفتتح بعض السور القرآنية
؛ من مثل : ألم ، حم ، ق ؛ مثل قول الأسدي في أول سورة القدر :

السنا السنا ، زارنا المنى ، هُنَّا ، يا رب !
هَنَّا هن هن
والرضا والرضا . طبّق الفضا ، ضمّنا ،
يا هو ! ضمّنا ضم ضم^{١٢٩}

وقوله أيضا في مفتتح سورة الشظايا :

ما ؟ ما ؟ ما ؟ وَي . ما دهاك ؟ قالت لي
النفس أمس ، ونحن في مجلس سمر^{١٣٠}

كان جلّ تأثر الأسدي في سورية بالشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ؛ إذ لا نجد نصا
من نصوصه إلا ويضمّنه اقتباسا من شعر الشيرازي ، كما كان تأثره واضحا بالشيخ
الأكبر ابن عربي ورابعة العدوية وابن الفارض وغيرهم من الشعراء الصوفيين .

^{١٢٧} ينظر : المعمار ، محمد صبحي : أعلام راحلون من جمعية العاديات ، مجلة العاديات ، عدد خاص ، خريف وشتاء ٢٠١١م ، ص ٢٦٩ .

^{١٢٨} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٣

^{١٢٩} المصدر السابق نفسه ، ص ٧٥

^{١٣٠} المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٣

قام الكاتب بتوزيع نصوصه تحت عنوان (سورة) وكل سورة لها اسم خاص بها ويتبع كل نص بشرح الكلمات الصعبة تحت عنوان (الشرح) ، ثم يذكر تحت الشرح الاقتباسات التي وظفها في قصائده تحت عنوان (التأثر) ، كأن يقول : جزء من نص الشيرازي والباقي لصاحب الكتاب ، وهذا إن دل فإنه يدل على مدى أمانته العلمية في النقل ، كما يدل على مدى تواضعه في الكتابة من خلال قوله مثلا : (والباقي لصاحب الكتاب) فلا يقول (والباقي لي) ، فهو يبعد نفسه تماما في محاولة منه لدفع القارئ إلى التركيز على النص لا على صاحب النص .

تنوعت النصوص في الكتاب بتنوع المعاني والدلالات والاستشراقات الروحية والنفسية ، وكلها تصب في النزوع الصوفي الذي حوته دفئا الكتاب ونفحاته . من يقرأ نصوص الكتاب يشعر تماما برقي روحي وعلواء جسدي يترفع به إلى أعلى عليين ، حيث لا مادة ولا حس ولا قبح ، إنما يرى نفسه في دائرة الجمال والكمال . سنضرب على ذلك أمثلة عدة ، من مثل قوله :

" أنا طائر بستان الله ، أنا تطريبة السماء ،

أفلتُ من شباك الدنيا على نداء الحبيب .

أنا خالص الذهب ، وعيار حبي لا يزول ،

ولو صهروني بالنار ، أو قطعوني بفم

المقراض " ١٣١

يصور نفسه في جلّ قصائده على أنه روح تخلد في عالم خاص هو عالم الذات الإلهية ، حيث هرب من عالم المحسوس واستطاع الطيران إلى عالم الله عندما ناداه قلبه نداءه ، وهنا هام في الذات الإلهية حتى وصل إلى مرحلة الضياع النفسي الذي يقترب من الجنون وتضمنت قصائده حكما ومواعظ مختلفة ، ولاسيما التذكير بالموت والفناء و زوال الدنيا والانتقال إلى عالم آخر فيه حساب وعقاب وجزاء ، من مثل ما في قوله :

" تاريخ الدنيا رفات الأحلام في مقبرة

النسيان ، يبتدئ في التراب ، وينتهي في

التراب " ١٣٢

^{١٣١} المصدر السابق نفسه ، ص ١٣ و ص ٢٨ و ينظر : ص ١٨٠ و ص ٢١١ إذ تظهر الأنا عند الأسدي متعالية .

كما يعبر عن الحياة التي يعيشها المتصوف الهائم في حب الذات الإلهية ، فهي عيشة متواضعة يكتفي بها الشاعر بكسرة خبز تسد جوعه ، هذه الكسرة المغموسة بدموع العشق والوجد ، فهو يرضى بالخبز والماء أمام تفانيه في الذات الإلهية ، فيقول :

" أتناول كسرة الخبز اليابسة من مائدتي ،

مبللة بدموعي ، ولكم دعوتُ جبريل إليها ،

فلبى ولزنا دفء الوداد " ١٣٣

وهو جدُّ حزين على الأناس الذين لا تتقد في قلوبهم شموع الحب الإلهي ، إنما يتعلقون بحب دنيوي زائف لا يرتقون إلى الحب الإلهي السامي ، فيقول :

" مظلم حقا ذلك القلب الوصيد ، لا تتقد فيه

شموع الحب " ١٣٤

الكتاب -عموما- هو نصوص روحية بحتة ، يتموج بترانيل صوفية لها أبعاد وتأويلات فلسفية ، وقد أبدع الكاتب فيها أيما إبداع ، من مقدرة على الاقتباس والتنقيص إلى براعة في كيفية اختيار الألفاظ والتراكيب .

في أغاني القبة أتكاء وتأثر وتناصّ واسع مع شعراء متصوفة عدّة ، من أمثال : فريد الدين العطار وابن الفارض ورابعة العدوية والشيخ الأكبر ابن عربي وجلال الدين الرومي وفخر الدين الرازي والحلاج وابن عطاء الله الإسكندري وغيرهم وخصوصاً مع حافظ الشيرازي الذي يتردد اسمه وشذرات من شعره في النصوص كلها قال الأسدي لصديق له :

" نظرت في التوراة لأرى الله فلم أجده ، وبحثت في الإنجيل فلم أراه ، ونظرت إليه

في القرآن فلم أجده ، لكنني رأيت الله في نفسي " ١٣٥ .

ولطالما قال : كان حافظ الشيرازي ملهمي وأستاذي . لقد اتكأ الأسدي على

الشيرازي وتماهى معه في معظم نفعاته الصوفية . وهو يشير ، من باب الأمانة العلمية إلى مقدار التأثير والتناص في مقدمات النصوص ، إذ يقول في " سورة رابعة " :

« ظمى الناي للنشيد ، فأعد يا حنون !

١٣٢ الأسد ، م. خير الدين : أغاني القبة نفعات صوفية ، ص ٣٦

١٣٣ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٧

١٣٤ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٨

١٣٥ وكان الأسدي كثيراً ما يقول : يا شاعر الله : الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ص ٤٥ .

مناغم الضفاف من وأدي التقى المجيد
على دُعم الهواء استوى مصلى رابعة ،
و رفرفت التسابيح البيض حول عرشه الرحماني تقول :
إلهي و عزّتك ، ما عبدتك خوفاً من
نارك ، و لا رغبةً في جنانك ، إنما عرفتُ مذاق
جلالك ، فامتلاً رحب حسّي حباً «^(١٣٦) .

وقدّم الأسدي لهذا الكتاب بقوله : « هذه نفحات من الشعر الصوفي المنثور ، ارتفعت
عن دنيا اليقظة ، كما ارتفع الموضوع عن دنيا الهيولا ، وأرسلتها الغيبوبة الغارقة نثرات
من رفاه الحب و جواه إلى ساحة ما وراء الطبيعة »^(١٣٧) ، فالكتاب أنموذج رائع للشثيرة
^{١٣٨} (لقصيدة النثر) ، ولم يعمد الأسدي إلى ذكر أسس وآليات هذا النوع الأدبي ، ويعدّ في
كتابه هذا شخصية أسلوبية متفرّدة ، وهو الباحثة اللغوي العالم بأسرار اللغة . ويروى أنه
كان يعيش طقساً غريباً قبل أن يكتب القصيدة ، فقد كان يمتنع عن الطعام والشراب أياماً
حتى يصل إلى حالة من التماهي في الكون ، فتندفق الرؤى الشعرية في كشف نوراني
عميق، فيسجّل ما تلتقطه عدسة الغيبوبة . وفي يقينه أن :

الجوع سحاب

فإذا جاع المرء

مطر القلب الحكمة

وكان يقول : لا أبدأ الكتابة حتى أسمع خطوات رابعة العدوية في السماء.^{١٣٩}
وقد واكب الأسدي بذلك بين مدرسة العشق الفارسي وبين مدرسة العشق الإسلامي وأراد أن
يوحد بين التصوف الفارسي والعربي ليوحد نتاج العقل والنفس في آن .

١٣٦- ينظر : الأسدي ، خير الدين : أغاني القبة ، (سورة رابعة) ص ١٨٧ .

١٣٧- المصدر السابق ، ص ج .

^{١٣٨} اعتمدت مصطلح الشثيرة بدلا من (قصيدة النثر) نحتا من كلمتي (شعر ونثر) لأن مصطلح قصيدة النثر ، مصطلح دخيل من مصطلحات الغرب لا يناسب ثقافتنا ، ينظر : عبد المحسن ، محمد حسن : الشثر ما ليس بشعر ولانثر ، مجلة بحوث جامعة حلب ، العدد ٤ لعام ٢٠٠٤ ص ١٥٠ . وينظر : عبدالمحسن ، د. محمد حسن : إرهافات شعر التفعيلة وقضاياها الفنية ، دار شعاع ، حلب ، ط٢ ، ٢٠١٧ م ، ص ١٠٠ .
^{١٣٩} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٨٧ - ١٩٠ .

ويَعُدُّ الأَسدي شَعَرَ المناسبات شَعوذة وتَدجِيلاً ، ويعرّف الشَعْر في مُقدِّمة (أغاني القبة) بقوله : " الشَعْر يا قوم ، يا ذوي العيون رسالةٌ ووحْيٌ ، لا شَعوذةٌ وتَدجِيلٌ ومَعادِ الرسالة والوحي أن يهبطاً إلا على طُهر القلوب " .(١٤٠)

توجّه في هذه النفحات الصوفية إلى الصفوة من المثقفين كما قال : " فهي إذن رسالة خاصة : إلى نفوس خاصة ... نعم نفحاتنا هذه رسالة خاصة لا عامة ، ليس في وسع السواد - وإن ثقّف - تذوّقها ، والنفوذ إلى مطاوي الجمال فيها ، فشرعته هذا الشعر الترابيّ المموّه الطاغِي : شعر اليقظة ، يجعجع للحطام ويتردّد في المادة " (١٤١) ، لذا من الصعب أن يفهم العامة مكامن الجمال في نصوصه وأعماق المعاناة في سوره كلّها .
العلامة الأَسدي أديب حساس في صميمه يمتاز بروحانية صوفية في نظرتة إلى الوجود فصوره في نصوصه غائمة يصعب تذوقها وإدراك ما فيها من أحاسيس عميقة تدل على شخصية واعية

وأما نصوصه في هذه الأغاني فقد كتبت بأسلوب منمّق وبرمزية مغرقة ، عبرت عن نفسه بآمالها وآلامها ، بحبّها وفنائها . صحيح شكل كتابيّ حديث ، وقد عدّ الأَسدي "أغاني القبة" مدرسة جديدة للشعر قد ولدت (١٤٢) ، بيد أن الأَسدي عمد إلى الرمز والإشارة ليعبّر عن نبضه الباطني ، ويبدع لنفسه مصطلحات خاصة لا يدركها إلا هو ... ونقل بذلك النثر الشعري من التصوير البياني إلى التصوير الرمزي والإيحائي ، حيث استطاع إطلاق عالمه المكبوت في نفحات يصفها بقوله : " نفحاتنا هذه رهيبة صميمية ناعمة ؛ لها لغتها ومصطلحها ، كما لها آفاقها وأجواؤها ، مسحتها يد الفنّ ، وقوفها إزميل الخيال ، وإشتجرت غماغم السرّ في طواياها " (١٤٣) . لذا بقيت القراءة في هذا الكتاب صعبة على العوام . ثمّ إن الموسيقى الشعرية عنده هي موسيقا اللغة التي تشمل لديه مناغم التجربة الصوفية ومناغم خاصة في نفسه ، وأكثرها يتجلّى في الأسلوب الذي اتبعه في طرح أفكاره الفلسفية . فالأسلوب عنده يحاكي أسلوب القرآن ؛ خارجياً حيث قسّم الأَسدي كتابه إلى سبع

١٤٠ . الأَسدي ، م . خير الدين : أغاني القبة ، ص د ، من المقدمة .

١٤١ . المصدر السابق نفسه ، المقدمة ، ص ج .

١٤٢ - المصدر السابق نفسه ، المقدمة ، ص ج .

١٤٣ - المصدر السابق نفسه ، المقدمة ، ص ج .

وعشرين سورة تتألف كلّ منها من وحدات موسيقية صغيرة تشبه الآيات، وبعض أسمائها من أسماء القرآن الكريم من مثل سورة (القدر) ، وقد وضع اسم كل سورة ضمن رسم زخرفي يشابه الرسوم الزخرفية التي توضع فيها أسماء السور القرآنية في المصحف، وبذلك ينفرد الأسديّ من بين أدباء سورية في العصر الحديث بمحاولة محاكاة الشكل الخارجي للقرآن^(١٤٤)؛ ونرى تناسبا داخلياً في أغاني القبة حيث نجد بعض الكلمات والصور البيانية القرآنية، يقول الأسديّ :

يا للأمل الوريق في غابة نفسي! سأحظى
بحبيبي في قطر آخر ببركار آخر، فقد
آنست في الطور ناراً
يا نثرة الرفاه! يا طبق النور! يا حانة
الإلهام
يا ليلة القدر! سلام أنت حتى مطلع الفجر
(١٤٥)

يظهر تناسب الأسديّ في الأسطر السابقة مع آيتين كريمتين، هما قوله تعالى^(١٤٦): {قَلَمًا
قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ }، قوله تعالى^(١٤٧): {سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ
مَطْلَعِ الْفَجْرِ}.

١٤٤ - يُنظر: غريبة، أحمد محمد: التناسب القرآني في الشعر السوري الحديث بين عامي ١٩٠٠-١٩٥٠م، رسالة ماجستير، بإشراف:
د. محمد حسن عبد المحسن، جامعة حلب، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ١٥٤، وقلعه جي، عبد الفتاح رؤاس: العلامة خير الدين الأسديّ -
حياته وأثاره، ص ٨٤.

١٤٥ - المصدر السابق نفسه، ص ٧٧.

١٤٦ - سورة القصص، الآية ٢٩. وورد أيضاً قوله I: {إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} في سورة طه، الآية ١٠، وسورة النمل، الآية ٧.

١٤٧ - ، سورة القدر، الآية ٥.

والتغيير الذي أجراه الشاعر على النصّ القرآنيّ طفيف؛ يتمثّل في الجملة الأولى باستعمال حرف التحقيق(قد) للتأكيد بدلاً من استعمال الحرف المشبّه بالفعل(إنّ) مع اسمه، وإدخال شبه الجملة(في الطور) بين (آنست) و(ناراً)، أمّا في الآية الثانية فيتجلّى في استبدال ضمير الغائب(هي) بضمير المتكلم(أنت).

وقد ساعد اقتباس هاتين الآيتين بشكل متقارب في نصّ واحد في إظهار القرب والوصول الذي ينشده الصوفيّ في علاقته مع ربّه، متسامياً بنفسه؛ إذ يستحضر بهذا الاقتباس صعود موسى ٧ جبل الطور حيث تجلّى له الله تعالى وكلمه. كما أفاده الاقتباس من سورة القدر في تصوير النفحات التي حظي بها بعد أن أنس النار، فقد ظفر بنور التجلّي، الذي يظهر من خلال الثلاثيّة اللفظيّة التي قدّم بها الشاعر للاقتباس الثاني، وهي(نثرة الرفاه، وطبق النور، وحنانة الإلهام).

ويقتبس خير الدين الأسديّ قوله تعالى في سورة النمل^(١٤٨): {وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وذلك في شئيرته التي سماها بسورة القدر بقوله :

تباشير الأنس في سرايا إياز، إنّه من إياز،
وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم
لتكن قامات الحسان محنية كالنون أمام
ألف إياز: أملود غيدان الشباب^(١٤٩)

ولا ترد صيغة البسمة في هذا الموضع فحسب، بل ترد في مفتتح كلّ سورة ما عدا سورة التوبة، وهو بهذا التناص يستحضر الشعور بالله تعالى الرحمن الرحيم « ذلك الشعور الوديع الذي يوحى بالقرب من الله تعالى »^(١٥٠).

١٤٨- سورة النمل، الآية ٣٠.

١٤٩- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبة، ص ٧٥.

١٥٠- الحسناويّ، محمّد: الفاصلة في القرآن، دار عمّار، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م، ص ١٩٩.

ويقول الأسدي^(١٥١):

وسأنشُد نشد مع سلطان العاشقين^(١٥٢):

وبتنا كما شاء اقتراحي على المنى

أرى المُلْك مُلْكِي والزمان غلامي^(١٥٣)

وسترتقي الحال بي، فأردد بحق قوله:

وبي موقفي، لا بل إليّ توجّهي،

كذاك صلاتي لي، ومني كعبتي^(١٥٤)

والبيتان يقتبسهما الأسديّ من شعر ابن الفارض، غير أنّ ثانيهما اقتباس من قوله تعالى^(١٥٥): {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وقوله تعالى^(١٥٦): {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

ويُمكننا أن نجعل هذا المثال التناسي للأسديّ الذي ينصّ على أنّ الحال الصوفيّة قد ارتقت به إلى تلك الدرجة التي وصلت إلى حال ابن الفارض حين عبّر عنها بالبيت السابق. لقد حظي الشاعر بحال الاتّحاد، و« هو شهود الوجود الحقّ الواحد المطلق الذي الكلّ به موجود بالحقّ؛ فيتّحد به الكلّ من حيث كون كلّ شيء موجوداً به، معدوماً بنفسه، لا من

١٥١- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، ص ٦٢.

١٥٢- سلطان العاشقين لقب الشاعر الصوفيّ ابن الفارض (٥٧٦-٦٣٢هـ)؛ عمر بن عليّ الحمويّ الأصل، المصريّ المولد والدار والوفاء، لقّب أبوه بالفارض؛ لأنّه كان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكّام، تأثر ابن الفارض بالنزعة الصوفيّة التي كانت أبرز خصائص عصره، فسلك طريق الصوفيّة، وكانت له أحوال وأحلام، وفراسات ومكاشفات. يُنظر: الزركليّ، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٥٥، وحلمي، د. محمّد مصطفى: ابن الفارض والحبّ الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٨ وما بعدها، والحفني، د. عبد المنعم: الموسوعة الصوفيّة أعلام التصوّف والمنكرين عليه والطرق الصوفيّة، دار الرشاد، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م، ص ٣١١.

١٥٣- ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، تحقيق: د. عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٠٦.

١٥٤- المصدر السابق نفسه، ص ١١٣. والبيت يبدأ بالفاء في طبعة الديوان هذه، ويروى بالواو في طبعة المهرجان الوطنيّ لفنّ المديح والسماح بفاس، مطبعة البلابل بفاس، د.ت، ص ٩٢.

١٥٥- سورة الأنعام، الآية ٧٩.

١٥٦- سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

حيث إنّ له وجوداً خاصّاً أتحدّ به، فإنّه محال»^(١٥٧)، وهو منحة إلهيّة وفضل من الله تعالى يمنّ به على عبده^(١٥٨) من « دون أن يستطيع العبد دفعه عن نفسه بالكسب حين يرد أو جذبه بالتكلّف حين يذهب»^(١٥٩).

وقد انتقل الشاعر بالخطاب القرآنيّ الذي يتوجّه به المؤمن إلى خالقه؛ من إعلان الانقياد لله تعالى والتوجّه إليه في الصلاة وسائر العبادات، إلى إعلان التوجّه إلى ذات الإنسان التي يرى فيها مجلىّ للذات الإلهيّة؛ وبذلك يكون التحوير الذي طرأ على هذا التناصّر قد أخذ اتجاهين؛ الأوّل على المستوى الدلاليّ من خلال مخالفة النصّ القرآنيّ بتحوّل الخطاب من استسلام لله تعالى إلى انكفاء الإنسان على ذاته التي يرى فيها سرّاً إلهيّاً، والثاني على مستوى الصيغة من خلال الجمع بين (توجّهي) و(صلاتي) من آيتين اثنتين في بيت شعريّ واحد، مع الاستعانة في رسم المشهد بلفظتي (موقفي) و(كعبتي) اللتين أتى بهما الشاعر بدلاً من (محيائي ومماتي) و(نسكي)؛ وكأنّ الشاعر يريد بذلك أن يستكمل الصورة القرآنيّة التي تعبّر عن توجّه العبد إلى خالقه في جميع شؤونه، ويمكننا أن نجعل لفظة (موقفي) نائبة عن (محيائي ومماتي)؛ إذ تشير إلى حالة وقوفٍ مع الذات تماثل حالة وقوف الإنسان أمام ربّه في محياه ومماته، وكذلك فإنّ لفظة (كعبتي) تنوب عن (نسكي) من خلال انتماء اللفظتين إلى حقل العبادة الدلاليّ؛ إذ إنّ المقصود من النسك ومن التوجّه إلى الكعبة إنّما هو التوجّه إلى الخالق بالعبادة.

ويظهر التناصّر القرآنيّ في قوله أيضاً^(١٦٠):

باسم الله مجرى سفينتي في بحر المدام،

وباسم الله مرساها في شاطئ السلام

١٥٧- العجم، د. رفيق: موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلاميّ، سلسلة موسوعات المصطلحات العربيّة والإسلاميّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٦.

١٥٨- يُنظر: المرجع السابق نفسه، ص٢٦٨.

١٥٩- المرجع السابق نفسه، ص٢٦٧.

١٦٠- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، ص٦٧.

وهو تناصّ مع قوله تعالى ^(١٦١): {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}. ويلحظ المتلقّي تحويراً كبيراً في اقتباس الشاعر، فلم يحافظ الشاعر سوى على عبارة (باسم الله) التي جاء بها في أول سورتها، بينما فصل بين (مجرها ومرساها)، مصرحاً (بـ) (سفينتي)، بدلاً من الضمير (ها). ويزيد الشاعر من الألفاظ المتعلقة بالبحر، فيأتي بالسفينة والبحر والشاطئ، غير أنّ سفينة الشاعر ليست سفينة حقيقية تمخر في البحر، بل هي تأملاته الصوفيّة التي تنقله إلى الاقتراب من عالم إياز التي سمّى أغنيته به (سورة إياز). وسورة إياز تشير إلى حالة روحية تتمثّل في الحلول والتجسّد ^(١٦٢)، فإياز الذي يذكره الشاعر رمز إلى الله تعالى ^(١٦٣)، وإن كان يصرّح في الشرح الذي يسبق السورة بأنّه غلام تركي، كان يهيم به السلطان محمود الغزنويّ مؤسس الدولة الغزنويّة ^(١٦٤)، فإنّ الله تعالى عند الأسيديّ ذو طبيعة حلوليّة، متأثراً بأقوال بعض الصوفيّين الذين يذكروهم في أغانيه؛ من مثل ابن منصور الحلاج ^(١٦٥)، وابن عربيّ ^(١٦٦)، وحافظ شيرازي ^(١٦٧)، وغيرهم.

ويبقى للتناصّ الامتصاصيّ عند خير الدين الأسيديّ صبغة صوفيّة، إذ يشير في سورة الإسميد إلى الذات الإلهيّة من خلال رمز إياز، يقول فيها:

ومن ذا علم إياز؟ إياز خلق نفسه بنفسه،

وأستاده منه وفيه، وذرة من موسوعة علمه

لا

تحيط بها الظنون

١٦١- القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٤١.

١٦٢- يُنظر: قلعه جي، عبد الفتاح رؤاس: العلامة خير الدين الأسيديّ. حياته وآثاره، مطابع الإدارة السياسيّة في الجيش، دمشق، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ص ٨٤-٨٥.

١٦٣- يُنظر: المرجع السابق، ص ٩٧.

١٦٤- يُنظر: الأسيديّ، م. خير الدين: أغاني القبة، ص ٦٥.

١٦٥- يُنظر: المصدر السابق، ص ٧٦.

١٦٦- يُنظر: المصدر السابق، ص ٣٠ و ٦١ و ١١٠.

١٦٧- يُنظر: المصدر السابق، ص ٣ و ٦ و ١١ و ٢٨ و ٤٥ و ٤٦ و ٦١ و ٧٧ و ٨٣ و ٨٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٢٤، وغيرها.

لو قَدَّر لكلَّ شعرة نبتت على جسد أن
يُرَكَّب فيها عقل حكيم، لأخذتُ جميع العقول
ورميت بها على أقدام إياز^(١٦٨)

وواضح أنّ الأسديّ يمتصّ هذه الأسطر من قوله: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}I^(١٦٩)، وقوله I: {وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}^(١٧٠)، فالصفات التي أسبغها علي إياز تجعله معادلاً للذات الإلهية، لأنها صفات نسبتها الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم، فالله تعالى عليم ليس لعلمه حدّ.

وقد غابت الصياغة القرآنية من هذا النصّ، فلم تظهر فيه أيّ مفردة من القرآن، وإنّما أعاد الأسديّ صياغته صياغة جديدة، محتفظاً بالدلالة التي يحملها. ويعتمد خير الدين الأسديّ على إشارات قرآنية كثيرة تحفل بها نصوصه، ومنها قوله:

طاب الزمان ، وأمسك ملاك الرحمة جام
الهناء، يسقي به وجوه الحور والولدان
فتكسّر السكّر، وتفتّر الياسمين،
وسال لعاب حافظ: بيّاع الغرام

قلتُ: سلاماً، طببت. قال: امضِ أيّها الدرويش
العريبي! كيف غادرت جنة المأوى
وضربت خيمتك في هذا الخراب؟

يا هدهد الصبا! يا مراد العافي! إني

١٦٨- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبة، ص ٩٣.

١٦٩- سورة الكهف، الآية ١٠٩.

١٧٠- سورة لقمان، الآية ٢٧.

مرسلتك إلى سبأ بكتاب عنبر حبي

صَفَّقْ صَفَّقْ، يَا جَنَاحَ! واسكب - بحياة
قلبك - تصفيقة الألحان على أعتاب بلقيس

قل لها: ما لها؟ لثمتُ خذ الضحى:
صلاتنا عمرنا، نحن عباد الشعاع^(١٧١)

نلاحظ في نصّه هذا إشارات عدّة تحيلنا على أكثر من آية قرآنيّة، فقوله: (سلاماً، طبت)، يجلب إلى الذهن قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} ^(١٧٢) الذي يقوله خزنة الجنّة للمؤمنين الذين يدخلونها؛ ليدلّ الشاعر من خلال هذه الإشارة على النعيم الذي يعيش به السالك، وتستحضر ألفاظ: (هدهد)، و(سبأ)، و(بكتاب)، قصّة سيّدنا سليمان مع ملكة سبأ(بلقيس) الواردة في سورة النمل^(١٧٣)، ومنها قوله تعالى في ذكر الهدهد^(١٧٤): {وَتَقَفَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ}، ثمّ قوله تعالى ^(١٧٥): {إِذْ هَبَّ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}، ولا شك أنّ ألفاظ (الهدهد)، و(سبأ)، و(كتاب)، و(بلقيس)، التي يستخدمها الشاعر في نصّه لا تهدف إلى إعادة صياغة مشاهد القصّة القرآنيّة، بل يوردها الشاعر ليوظّفها توظيفاً فنيّاً؛ بحيث تغدو عنده رموزاً يرسم من خلالها صورةً لمسير الإنسان في حياته، فهدهد الصبا يمتح من هدهد سليمان وظيفته؛ ليكون بذلك ممثلاً للعنصر الباحث عن الغاية من هذه الحياة؛ الباحث عن الإحساس بهدف الحياة والشعور بنعيمها من خلال الالتزام والفضيلة، ولم تعد سبأ مملكة خارج رحاب الهدى والإيمان، بل صارت ملاذاً يستعين به الشاعر في درب الوصول،

١٧١- الأسدي، م. خير الدين: أغاني القبة، ص ١٩-٢٠.

١٧٢- سورة الزمر، الآية ٧٣.

١٧٣- سورة النمل، الآيات ٢٠-٤٤.

١٧٤- سورة النمل، الآية ٢٠.

١٧٥- سورة النمل، الآية ٢٨.

وغدت ملكتها بلقيس محرّضاً مرافقاً على هذا الدرب؛ ومن ثمّ فإنّ الإشارة تقدّم للشاعر «
عوناً كبيراً لتركيز ما يريد قوله وتكثيف بنائه التعبيريّ أيضاً؛ إذ إنّ قدرأ كبيراً من التدايعات
يمكن إثارتها، كما يقول تليارد، بأقلّ قدر ممكن من الكلمات، وتلك إحدى مزايا استخدام
الإشارة في الشعر»^(١٧٦).

كما يعتمد الأسديّ في تجربته الصوفيّة على الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور
القرآنيّة، وهي من باب إعجاز القرآن، وقد «
اختلف المفسّرون حول المقصود منها، وقيمة وجودها في هذا المكان، وبعضهم شطّ به الخيال وبعضهم سلّم الأمر إلى الخالق، وفوّض
إليه التأويل»^(١٧٧) ، وقد أشار إليها الأسدي في قوله:

يا أمانة ياسين! يا محكم الطواسين! في
غاشية اللئيل الأزهر ندى النسيم المخمر
طيلسانك الشفيف العجيب
ستظلّ عيني شاخصةً إلى سُرّادق آلانك،
ياذا الجلال! إلى أن يسكب الأبد لاهت أنفاسه
على راحتك^(١٧٨).

يشير الأسديّ إلى بعض الحروف المقطّعة، وهي (يس) التي تُفتتح بها سورة يس:
{يس # وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ # إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}^(١٧٩)، و(طس) التي تُفتتح بها سورة النحل،
وكذلك (طسم) التي تُفتتح بها سورتا الشعراء والقصص. وقوله: (أمانة) قبل ياسين، و(محكم)
قبل الطواسين يوجّه المتلقّي إلى المعنى الذي يبتغيه من وراء هذه الحروف المقطّعة؛ إذ
تشير إلى السمة الغيبيّة التي تحملها هذه الحروف، فالله تعالى هو الذي أحكم تفصيلها،

١٧٦- العلق، د. علي جعفر: الشعر والتلقّي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الإصدار الأوّل، ١٩٩٧م، ص ١٣٣.

١٧٧- ياسوف، د. أحمد: جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم: نور الدين عتر، دار المكتبي، دمشق،
ط١، ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م، ص ٨٠.

١٧٨- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، ص ١٥٨.

١٧٩- القرآن الكريم، سورة يس، الآيات ١-٣.

واستودع علمها عنده^(١٨٠)؛ لذلك فإن استعمال هذه الحروف يدلّ على اللجوء إلى الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور والغيب، ومما يربطها بدلالاتها الغيبية السورة أو الأغنية التي أوردتها الشاعر فيها، وهي سورة الغيب التي يُرَجَّح اسمها هذه الدلالة.

ومن ظواهر التناصّ الأسلوبيّ عند الأسديّ استعمال الفعل (تبارك) الذي ورد في القرآن تسع مرّات؛ للدلالة على التعظيم، ومن ذلك قول الأسديّ:

الله! وهل شربت المسامع أحلى من نمير
((وأنا أحبك)): عطف الرّيّ على الأوام
هذه الواو - تبارك من كورها، وكنجم
مذنب صورها - جناح رؤوم، يبسط الدفاء
والأمان والحنان
الواو جمع وضمّ وعطف، ولفظها ناعم
الدغدغات، إنّها قبلة الشفاه^(١٨١)

لقد انتشى الأسديّ بحلاوة القرب والمناجاة، وشعر بلذّة الحب المتبادل بينه وبين خالقه، فأثرت فيه واو العطف التي جمعت معه، وهاله موضعها الحسن الذي يتقدّم ال(أنا) الإلهية، فتنشى بالمحبّة الإلهية المتبادلة.

ول(تبارك) معنى خاصّ عند خير الدين الأسديّ؛ فأغاني قبته كلّها من حصيلة غيبوبته الغارقة ونشوته الروحية ووجدّه العلويّ، فكانت نفحات تُؤذن بأنّ الشعر « رسالة ووحى، لا شعوذة ولا تدجيل ومعاذ الرسالة والوحى أن يهبطا إلا على طهر القلوب »^(١٨٢)؛ فقد جاءت

١٨٠- يُنظر: الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

(١٨١) الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، سورة القدر، ص٧٨.

١٨٢- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، من المقمّمة بقلمه، ص٥٠٠.

أغانيه نتيجة تسامي روحه وغيبية شعوره، وقد أهدى هذه الأغاني إلى (تبارك) التي غدت عَلَمًا على الخالق تعالى يقول: « إلى تبارك هذي التي عبّت من عين القرية وعبّت، ثمّ تشبّطت وانقضّت، حتّى استتوت على مفرق سلّم الوجود، والتفتت حولها، فإذا لوحات الطبيعة، وفيها رغيد عرائش الأنوار والظلال، والتفتت أخرى، فإذا لوحات الإنسان... نعم. إلى تبارك هذي التي وُلدت معها ولم، وأموت معها ولن: إلى هذا التنزيل وفيه سرّ: إلى هذا السرّ وفي إهابه جليل، أرفع صلواتي هذه بابتسام وخشوع»^(١٨٣). « فقد غدت (تبارك) عنده عَلَمًا على الله ويذكر في هذا الإهداء ما يُقرّب هذا التماثل بين (تبارك) و(الله) كقوله: التي وُلدت معها ولم، وأموت معها ولن، وهو يقصد بهذه العبارات: ولم تُولد، ولن تموت»^(١٨٤).

ويستعمل خير الدين الأسديّ الذي يعتمد الألفاظ الصوفية لفظة (سبحان) لا ليدلّ بها على تعظيم الله تعالى كما ترد في القرآن الكريم، بل ليدلّ بها على نفسه المتوحّدة بالله تعالى ، يقول:

يا أنا! يا أنا! ناداني أخرى. قلتُ:

لبيك، لبيك، يا أنا! سبحان

قال : امض بصفاتي إلى خلقي، إنّ هويّتي

في هويّتك، يا نوري في أرضي! وزينتي

في سمائي!^(١٨٥)

كما يستعملها بصورة مغايرة عن الاستعمال القرآنيّ في قوله:

سبحان الجمرة والشرر: رددتُ على

مصطبة خلوتي أورادي عبران أشرق

١٨٣- المصدر السابق نفسه ، من المقدمة بقلمه ، صفحة حـ.

١٨٤ - غريبة، أحمد محمد: التناصّ القرآنيّ في الشعر السوريّ الحديث بين عامي ١٩٠٠-١٩٥٠م، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد حسن عبد المحسن، ص ١٥٩.

١٨٥- الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبّة، ، ص ١٧٣.

غير محاولة الأسدي محاكاة القرآن خارجياً وداخلياً لا تعني أنه قد سعى إلى تحدي القرآن والإتيان بمثله، « ويُمكن ردّ ذلك إلى سببين:

١. تُؤكّد القيم والمعاني التي طرحها الأسدي في أغانيه أنّ منطلقاته غير قائمة على التحدي، بل هي نابعة من صميم التفكير الصوفي المنطلق من الحب، ومن هذه المعاني الاتّحاد بالله تعالى ووحدة الوجود، واندغام الأنا والحواس، وغيرها^(١٨٧). أي إنّ الشاعر يبغى بمعانيه وأغانيه التقرب إلى الله تعالى والاتّحاد به.

٢. لغة الأغاني الشعرية، فهي لغة صوفية رمزية، لا يُمكن فهمها خارج معاني التصوّف. وبهذا تبتعد قليلاً عن الأسلوب القرآني الذي يعتمد الوضوح ابتغاء الوصول إلى المتلقّي بيسر^(١٨٨).

ولعلّ الأسدي كان من أوائل الذين كتبوا الشثيرة (قصيدة النثر) على نحو غنائيّ يصدح بالموسيقا والأنغام العلوية فسمّاها بـ (أغاني القبة)^(١٨٩) ، وهذه الأغاني أنموذج حقيقيّ للشثيرة من حيث ارتباطها بالشعور وغنى التجربة والمحتوى والموسيقا الداخلية التي تفيض بها الألفاظ الفصحى الرنانة التي تسكب ألحانها في جرس خفيّ يحمل النفس إلى عوالم الجمال الأدبيّ وسحر العبارة . وقد قيل في هذه الأغاني : " إنّ (أغاني القبة) أغانيّ بديعة وقصائد منثورة تذهل المرء بتحليقها في أجواء نورانية ، فتشعره بعلوّها وسموّها . وحين

١٨٦- المصدر السابق نفسه ، ص١٥٦.

١٨٧- يُنظر: قلعه جي، عبد الفتّاح رواس: العلامة خير الدين الأسدي، حياته وآثاره، ص٨٦-١٠٠.

١٨٨- غريبة، أحمد محمد: التناصّ القرآنيّ في الشعر السوريّ الحديث بين عامي ١٩٠٠-١٩٥٠م، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد حسن عبد المحسن، ص١٥٦.

١٨٩- ينظر: المعمار، محمد صبحي: أعلام راحلون من جمعية العاديات، مجلة العاديات، عدد خاص أصدرته جمعية العاديات، حلب، خريف وشتاء ٢٠١١م، ص٢٧٠. وقد جعل عبد الفتّاح رواس قلعه جي فضل الريادة في قصيدة النثر للأسدي، غير أنّ علي الناصر قد كتب هذا الشكل قبله بأكثر من عقدين. ينظر: قلعه جي، عبد الفتّاح رواس: العلامة خير الدين الأسدي . حياته وآثاره، ص٨٤. وينظر: فنصة ، بشير : من نوادر ومناقب المعلم خير الدين الأسدي ، مقالة ضمن : مجلة العاديات ، حلب ، عدد خاص عن تراث حلب غير المادي ، الأسدي وموسوعته ، صيف ٢٠١١م ، ص٣٢ ، عمل بشير فنصة (١٩١٧ - ١٩٩٧م) في الصحافة والتجارة في آن ، وله ترجمات عن الفرنسية، تسلّم مديرية المطبوعات بحلب وهو عضو اتحاد الكتاب العرب (جمعية القصة والرواية).

تترنم بقراءة سورها وتستمتع بتلاوة أناشيدها تتلذذ بخمرة معنقة ترؤي عظامك حتى بعد أن تغادر هذه الحياة " (١٩٠) .

إن ما جاء في " أغاني القبة " شكلٌ كتابيٌّ أدبيٌّ حدائِيّ ، يتجلى فيه غرق في حب الذات الإلهية والزهد من هذه الحياة التي لا تحمل في طياتها إلا الألم والحرمان وعدم الوفاء . ويسعى الأسدي وراء الهيام في الذات العلية متخذًا سلاحًا له الصبر والرقي بالنفس إلى مصافي الكمال التي تترفع عن الشهوانية كلما ازدادت قربًا من الله ، ومهما عانى وشقَّ عليه ذلك فعليه المجاهدة للوصول حيث اللذة التي لا تعدلها لذة أخرى .

ويسلط الأسدي الضوء في أغاني القبة على المجال الاعتقادي ، وهو سلّم الوصول إلى المحبة الإلهية بذكر الشعائر المقدسة وأداء الفرائض وترك درب الشيطان ، ويركز على صحبة الأخيار والانضمام إلى جماعة صالحة ليصح مساره في درب الرجاء والإقلاع عن الذنب . هذه المحبة تقود إلى تحقيق العبودية والتوحيد بمعناه التام والتفكر بالسنن الكونية وتأثيرها على العالم إيمانًا بخلقها والتنعم بالتجليات الربانية . ثم نراه عاشقًا منيماً بالخمرة الإلهية والسكر في الهوى الكوني ويصدق بهذه النشوة ملء حنجرته ويتذوق لذة الخلوة وما تضيفه من بهاء على الروح التي تقودها إلى أعمال العقل في الملكوت الذي نطق بنظام مدبر من الخالق سبحانه . ثم يؤمن بأن الجسد ما هو إلا قفص تسجن فيه الروح ويمنعها من التحليق ، وأن الغرق في ملكوت الله يمدّ بالحكمة والهدى إلى الصواب . فراح الأسدي يبني شعره على خيوط ضياء الصبح وإغراق الدنيا بهذا الإشراق الربانيّ وشدا برقيّ النفس البشرية إلى مصافي النقاء كالشمس والتخلص من أدرانها ، ودعا إلى فتح مغاليق القلب لاستيعاب نسمات الحياة الكريمة والترفع وتجنب المآثم والسعي إلى المعرفة الإلهية . ويتحدث في طيات أغانيه عن أصداء الوجود وما يكبل به قلب الإنسان بتعلقه بالدنيا داعيًا للتفاعل في غرق بالذات الإلهية . فنجد أن هذا الترفع يدفع بالإنسان إلى الوقار والهيبة وعدم التذلل والاستسلام لأحد من البشر ، وعلى الإنسان أن يعتصر قلبه حزنًا على ما يقترف ويكون بعدم رضا على الحال حتى يسمو لأن التعلق بالله سبحانه يحضّ الإنسان على الرضا والهيام والحزن من الذنوب ، فالمحبة خالدة على مرّ الزمن وتذوق خمرة سكرها تغرق بالصدق وتكشف عن الذات والفطرة السليمة فحتى المخلوقات تتفكر في كل حركة وسكنة ،

١٩٠- ينظر : مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٢ .

ففي العبودية لله سيادة ثم يعود في أغانيه ليتحدث عن بدء الخليقة من الفناء بتجليات إلهية فصارت كونًا بكلمة من الله سبحانه (كن فيكون) محلًا في الفضاء الواسع بعد الخلاص من ضيق أفق الدنيا والنفوذ منها بعد الموت .

تنقل في أغانيه عن حضرة الذات الإلهية وأزليتها التي دان لها بالتسبيح والتقديس ويطيب نفسًا بشذاها ، ويرشد إلى مغادرة أسباب الدنيا في النشوى بلذة الخمرة ، ومن شدة طربه بها يتغنى بنفحاته الصوفية طالبًا الرضوان والرحمة والتكرم بإصلاح بواطنه وشكا الفراق ببعده عن الجنان والنزول إلى الأرض ويتمنى العودة والاجتماع والتشرف بالنظر إلى الذات العلية في الجنان ذكراً مفتاح دخولها (السلام) رافضاً أي شيء يشده إلى الأرض من طمع وغيره ، فالدنيا فانية والبقاء للأخرة .

والأسدي -عموما- معجب بأغاني القبة أيما إعجاب من مثل ما في قوله :

هو هو ! ما طرب تحت قبة الظل أروع
من أغاني القبة ، فإلى حنانك : حنان النغم
العازف في عينيك .^{١٩١}

إذا كان للفكر والشعر -عموما- جذور عميقة في حياة الإنسان ، منذ بزوغ أول شعاعات حضارية على الأرض ، فإن أغاني القبة مازال سفرا للفكر والشعر ، نابعا من جذور عميقة غارقة في القدم ولهذا قال الأسدي في مقدمة أغاني القبة :

" الشعر يا قوم ! يا ذوي العيون - رسالة ووحى ، لا شعوذة ولا تدجيل ! ومعاذ الرسالة
والوحي إلا أن يهبطا على طهر القلوب " ^{١٩٢}

أغاني القبة مجموعة رائعة من الشثر (قصائد النثر) الصوفي البديع ... وفي عبور طوفان من المفردات الخاصة جدا نتعرف أكثر فأكثر إلى شخصية العلامة الأسدي الفريدة والتي ازدادت عمقا وجدلا وسموا طيلة حياته في حلب تلك المدينة الزاخرة بالأسواق

^{١٩١} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٨٢
^{١٩٢} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة نفحات صوفية ، المقدمة بقلمه ، ص د
١٠٩

والمصطلحات التجارية والصناعية التراثية التي واكبت مسارات التجارة القديمة ، الزاخرة بالخانات والقيسيات والمحال التجارية...تجاوزا لهذا الزخم المادي الكثيف تشع (سور)^{١٩٣} أغاني القبة السابعة والعشرين ولتحملُ في ثناياها ثقافة الأسدي المترامية الأطراف ، نلحظ في أغاني القبة ذلك الظل الفلسفي الأصيل ، كما نلحظ في مقدمته من خلال قوله " هذه نفحات من الشعر الصوفي المنثور ، ارتفعت عن دنيا اليقظة ، كما ارتفع الموضوع عن دنيا الهيولا ، وأرسلتها الغيبوبة الغارقة نثرات من رفاه الحب وجواه إلى ساحة ما وراء الطبيعة " .^{١٩٤}

من قرأ الفلسفة الإسلامية فلا شك مرت به مصطلحات من مثل : (الهيولا) و (ما وراء الطبيعة) وقد أقرُّ بأنّها رسالة خاصة إلى نخبة خاصة...لقد كان الأسدي واعيا لما يصنع و واعيا بتأثير الكلمات في المتلقين فعلم أن الكلمات الصوفية غير العادية لن تعبر بسهولة أدمغة غير المثقفين ، لما قدمه من دفاعات مسبقة في مقدمة هذا الكتاب الفريد !! إنه حضور كفة الميزان ، وميزان الإبداع متعدد الكفات واحتمالات التوازن فيه كثيرة متلما احتمالات اللاتوازن التي قد تلد أيضا لحظات إبداعية .^{١٩٥}

يأخذ البعد الفلسفي في أغاني القبة جوهره من مصادر غارقة في القدم ، ليسكب صورة معينة على ما يترجح في نفس الأسدي من اتجاهات وأفكار ؛ قد تكون مأخوذة عن حضارات سابقة منذ الفلسفة اليونانية القديمة وسوف نذكر لاحقا أهم الأفكار التي وردت.

كان الأسدي في انزوائه يدخل محراب نفسه ويواجهها مواجهة مفكرة ، وهو يغوص في سراديبها المظلمة ، وكان بقدر غوصه في أعماقه، بقدر ما لامس فكر المجتمع وآمال الإنسان في خضم لا شعوره الجمعي ، وهذا هو شأن الفنان المبدع ، والفيلسوف الذي يبقى مصهوراً في تأليف ثنائي : الجانب الشخصي والجانب غير شخصي.

^{١٩٣} سورة جمع سور ومعناها (أغنية) كما أورد الأسدي في المقدمة " جعلت مقطوعات دعوت كلا منها (سورة) أي أغنية . من مقدمة أغاني

القبة

^{١٩٤} من مقدمة أغاني القبة ، ص ج

^{١٩٥} ينظر : عبدالمنعم ، د. بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، ص ٦٠ - ٥٩

٢- فلسفة الأسدي في الإنسان :

يتحدث الأسدي عن (عقل الإنسان) الذي ميزه عن الحيوان، ولكن هذا العقل حسير جبان أمام إشراق النفس عندما تغيب عن الوجود وتفنى بالنور والإله.

إن المعرفة الحدسية أقوى من المعرفة العقلية، إذ إن العقل كما يقول واصل بن عطاء: «آلة العبودية لا للإشراف على الربوبية». إن الإشراق والنور الصادرين من عالم الغيبوبة، هما أقوى من العقل لأن ذلك من وحي النفس والحدس المباشر، الذي يفوق كل حكم ومحاكمة ومنطق. وفي هذا المعنى والموقف الفكري يشبه الأسدي الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون Henri Bergeson الذي يتحدث عن المعرفة المباشرة (الحدس) والقذف في القلب. نقرأ في سورة الإشراق:

العقل ! ما العقل ..؟ ما هذا الكائن الدهي؟

العقل حسير جبان ، يتقلب في مظلم

الأحاسيس ولا يجرو أبدأً أن يقرع باب السر

العقل دلو من غربال : لا يمد عالمنا

الإشراقي ببلالة . وحسبه هواناً أن جرعة من

خمر الأرض تطوح به

عواالم العقل لا تلقى شعاعاً واحداً على

هيكل الحقيقة العظمى، دع هذا وسل قبله: هل

عرف العقل نفسه؟ (١٩٦)

هذا الوصف للعقل يشبه أيضاً وصف (كانت Kant) له الذي يرى أن العقل محبوس في إطار الزمان والمكان، وهيئات أن يتجاوزها، وكذلك ينكر الأسدي قيمة الحواس ويراهم مزللة قاصرة يقول:

"يامن تسعد روضة العمر بندي نعيمه!"

"يا من لا يفضى إليه بحاسة ... غشيت جلاتك

آفاق روعي". ١٩٧

الحواس عاجزة عن إدراك الجلالة، ولكنه يذكرها في معرفة الله بوصفها استعارة لمعنى الموقف النفسي ، لا لأنها وساطة معرفة أو وصول إلى الحقيقة، فيقول مثلاً:

"نعم لقد رأيت الله...سمعت الله...شممت الله...طعمت

الله .. لامست الله " .^{١٩٨}

والواقع أن النفس هي التي تدرك مباشرة الله عن طريق صفاء شعاعها وقوة نقاؤها ونورها ؛وهذا ما قصده بقوله :

" زعم البشر أن قد عرف ، ثم ابتدع .

نعم عرف ، وما عرف ؟ أما ابتدع ، فما

ابتدع ، هيهات أن يلج المقام

في أرض العقل بصيص من نور السماء يجلوه

الإشراق ، وينفذ إلى بعض الرفوف من خزانة

الوجود " .^{١٩٩}

انطلق الأسدي من فلسفة أفلاطون بأن العلم ذكرى فقد كانت النفس تعيش في الأمس في عالم المثل والنور ،وكانت تعرف كل ما كان على رفوف خزانة الوجود ونزلت النفس إلى الأرض ،وبقى بصيص من نور السماء في ساحة العقل ،استطاع أن يعرف ويتذكر ،ما كان على بعض الرفوف ويشرح الأسدي ذلك في قوله :

" تغربت الروح ، لُذْنُ فُصِلت عن عالمها

الأول ،وكانت الغربة طليعة البلاء

ثم سجنّت في غياهب الجسد ،وحرمت

طَوَّلَ الألوهية وكان الجن أدهى بلاء

وسُلِّطت عليها -سحابة الحياة- ضروب

الاسقام والآفات تصوّحها ، وتذوي

نضرتها

وظامة الظلم : ظلم الإنسان طبّقت الجو

^{١٩٧} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٢٠

^{١٩٨} الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٨١

^{١٩٩} المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٥ - ١٩٦

بدخان الآهات

فوا روحاه ! ووا روحاه ! ويالله لغربتاه

لغربتاه " ٢٠٠ .

وأخلاق الإنسان ...إنها وحدها تعطيه المجد والرفعة عندما تكون طاهرة ...والطهر
أساس في المعاملة الإنسانية ...يقول :

"معبد الأصنام والكعبة سيّان ، إذا لم يُرفع

في جوانب النفس معبد الرشد والطهر

سأرفع رأسي عن دنيا الوضيع في شمم

وكبرياء ، وسأكون في شممي وكبريائي مجيدا

في جنة نفسي

هدية الروح من يد الطهر تسلمتها ،

وسأردها نقية ، لا رين ، كلا ولا تأثيم .." ٢٠١

أما الحياة فيراها دنيا زائلة دنيا سراب ، والأعمار تنتهي بالزوال مهما طالت بها الأيام

.. يقول :

"قوافل الأعمار عرضة لكمين الأيام

ولئن سلمت

وهيهات

حالك في النهاية الكمين الأعظم " ٢٠٢ .

ويؤكد الأسدي الخراب الذي فيها :

"الدنيا عامرة بالخراب ، وكل ما فيها بعض

الريح ، فارفع أذيالك إما سرت " ٢٠٣ .

وكذلك تنطرح في "أغاني القبة " بكل تأكيد ورمزية وغموض (فكرة المعادة) .

يبحث الأسدي عن الرجوع ، في أسلوب يتخطى جسمه المادي ذي التكوين الطيني أو

الجبسي ، ليخلق فيمثل عليا في قيم ، في معنى فلسفي، فلعله يجد المطلق الذي يريده ويهواه

٢٠٠ المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٠

٢٠١ المصدر السابق نفسه ، ص ٣٧

٢٠٢ المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٠

٢٠٣ المصدر السابق نفسه ، ص ٥١

...إنه مطلقه الخاص ..والمعاد هو معاد الجسد المقبوع في (شبقه الإيازي) والتعبير عنه معناه تحطيم الجبس الشرائعي الذي يحتضن الحقيقة العظمى .

ليست الفلسفة في هذا الكتاب جديدة ..لأنها دارت في أكثر الرؤوس، ولكن التعبير عنها جديد في صورته صعب في رموزه . وآية واقعة وأي التزام بقضية فلسفية أو نفسية يمكن أن نستشفها بسهولة من هذه النصوص التي لم تحقق في الواقع سوى بعدها الأدبي ؟
لذا نرى أنه من المبالغة ،بل من الإسراف الذي لا مسوغ له أن نضع الأسدي في عداد الفلاسفة أو نحاول أن نستخلص من أشعاره مذهباً فلسفياً متسقاً

٣ - نظرة علم وظائف الأعضاء (physiology) في أغاني القبة:

إن البعد النفسي في هذا الكتاب عميق وبعيد وغامض ...ودراسته تدل على أن الأسدي قد طرح في (أغاني القبة) ما دار في مجالات شعوره الإنساني من تجارب نفسية ومعاناة أيام دارت في شعوره العادي وتحسّسه الجسدي والجنسي بقوة وعنف فانطبعت في نفسه ،ولكنها رفعت مستوى حياته اليومية إلى صعيد المعاناة لتسكب في قالب أدبي إبداعي ذي هالة رمزية ،تستعصي في بعض الأحيان على التفسير .

وجاءت المعاناة تعبيراً صوفياً أعطى للتصوف إنسانيته ،وانكشفت تجربة روحية هي (الحال) أو المنزلة الروحية التي يتصل فيها العبد بربه، أو يتصل المتناهي باللامتناهي ،وهي التي يحصل فيها الإشراق ويفيض فيها العلم الذوقي ؛وهي ليست في الواقع من أحوال العقل الواعي. وإنما هي من حالات الوجود الباطني المتحضر للإعلان عن نفسه في كل ضروب النشاط الروحي ؛مما يصل إلى محو الإرادة والفناء بالله .

ترى ! كيف تحصل الغيبوبة وتنمحي الإرادة ويتم الفناء بالله؟

الأسدي في عزلته " كان يأخذ نفسه بصوم قاسي فيمتنع عن الطعام والشراب أياماً يعتزل فيها الناس ...وينقطع إلى التفكير متخففاً من ثيابه ،حتى إذا بلغ الوهن الجسمي مبلغه ،وبتأثير الجوع والظلام والسكينة ،رقي إلى أعلى درجات الصفاء الروحي ويُخيل

إليه أنه يسمع موسيقى علوية تنحدر من مواطن النجوم ، وأن الغرفة تغرق في الأنوار
السماوية .. " ٢٠٤

هكذا وصفه طبيبه وصديقه (إحسان الشيط) وفي هذا الانزواء تطير نفسه محلقة فوق
الجسد والمادة تريد أن تصل ملكوت الله .. ملكوت النور لتفنى في النور ، وتمضي الروح في
زحمة الإلهام ومطاف العالم القدسي إلى نبع الشمس
وطيران الأسدى كان حراً ، لا يتقيد بواجبات اجتماعية وتناقضات هامشية ملأت
صفحة الوجود في مجتمعه المحدود ، وهو عندما يحلق بمثل هذه الحرية ، فلن يفهمه في
تحليقه إلا صفوة من الفلاسفة والمتصوفة وأصحاب العقول الكبيرة . ويصف نفسه في طيرانه
ويقول :

فأنا النقطة تحت الباء ، سلطان مملكة
النور ، أنا ربّان بحر التمجد ، أنا قيوم الزمان

والمكان

شهدت عهد أن كانت النقطة دائرة عوالم
الحروف ، ونظر الحق إليها بالهيبة فسالت

وكانت ألفا

أنا طائر بستان الله ، أنا تطريبة السماء ،
أفلتُ من شباك الدنيا على نداء الحبيب
أنا مزامير محراب الزمن ، أنا ببغاء
الحضرة ، أردد ما ينفث في منقاري أستاذ

الأزل

أنا قمرىُّ الفجر ، أهيم بتسابيحي من
مرفه إلى مرفه ، وأشعل فوانيس المرح في

ضفاف الحياة. ٢٠٥

٢٠٤ فنصة ، بشير : من نوادر ومناقب المعلم خير الدين الأسدى ، مقالة ضمن : مجلة العاديات ، حلب ، عدد خاص عن تراث حلب غير المادي ،
الأسدي وموسوعته ، صيف ٢٠١١م ، ص ٢٧
٢٠٥ الأسدى ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٣

ويقول :

هبطت هذا الملعب ، فوجدتني غريبا
وحيدا . ربّاه ! أين هواة كرة الكرامة
والإحسان ؟

طغى الطوفان ، طوفان البلوى ، وجرفت
سيوله منزلي ، إلا قصر أحلامي الحافل بهالات
الفتون.

انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من
جلدها ، ثم نظرتُ فإذا أنا هو^{٢٠٦}

ويصل الأسدى بعد الطيران والتخليق إلى الله ... ليفنى في هواه .. والفناء حالة
وجدانية يغيب فيها وجود آخر نتيجة الحب والهيمان ، والقلب الذي لا يبقى مظلماً ، ولذا
فالحب نور :

هَلَمْ ... هَلَمْ يا عابد النور يا صдах الصباح !
نتاجي ملكوت النور بألفاظ من نور
"مظلم حقاً ذلك القلب الوصيد ، لا تتقد فيه
شموع الحب ."^{٢٠٧}

وفي هذا الفناء تموت اللغة وتنمحي الكلمات ويبقى التواصل الوجداني المباشر .

"قدوس ! أتى لنا سوت البُلغى أن يجلي
لا هوت معنك الثاقب
قدوس بُرمتُ بُدُرعة أداء الصوت ،
فلتكن لقاى هدير الإشعاع إشعاع الصمت في
فلك الضلوع "^{٢٠٨}

^{٢٠٦} المصدر السابق نفسه ، ص ٥١

^{٢٠٧} المصدر السابق نفسه ، ص ٥٠

^{٢٠٨} الأسدى ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٤٦

وكأني بالأسدي يدعو :

"ارفعني يا رب ارفعني إلى مقام الفناء

الفناء في صمديتك

حتى إذا رأي خلك قالوا : رأيك

فإليّ ضمني ثم ضمني وضيق على العناق

حتى أكون أنا إياك وتكون أنت إياي

وأفنى .. أفنى ... أف... " ٢٠٩

ويعزز يقينه بمناجاته :

"يا شادي النور غناؤك الحلو البهيج

يردّد في محراب الزمن أمنّ في الوجود

تنعم بالوجود . " ٢١٠

ويفنى الأسدي ويغيب .. ومن أعماق غيبوبته ينشد :

"أنت أنا ، وأنا أنت ... ما من غريب .. هيمان

وجد المرآة " ٢١١

ويغمر النور قلبه الداجي ، بالضياء ويذيب حسه ، يقول :

"يا آية الألفاظ .. أظهر لي وجهك فألقَ

الإصباح ثم متعني بغيبوبة لأشعر معها بوجودي . " ٢١٢

بهذا المعراج الروحي يصل الأسدي إلى الله ... ويراه ... والله ... إنه إله الذي يسبح

بحمده كل مخلوق ... ولعله يردّد :

"شربتُ خمر الأزل فغبت عن العيان

وامحت من لوح قلبي كل الصور الصورة

(هو) الحمراء . " ٢١٣

٢٠٩ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٢٠٠

٢١٠ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٥٠

٢١١ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٩

٢١٢ المصدر السابق نفسه ، ص ٢٩

٢١٣ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

لأنه على يقين بأن الله يعلو على كل مخلوق وهو علام الغيوب ويحيط و يحيط بكل شيء
علماً...ها هو ذا يقول :

"عليم ! نحن الذرات الرعشة بين يديك
تصبو إليك ونعلم أنك تعلم مرامينا ، إنك أنت
علام الغيوب

فهلم ... هلم يا عابد النور يا صдах الصباح !
نتاجي ملكوت النور بألفاظ من نور...
لا تحضروا الشمع... لا تأذنوا للنور
لقد تمّ بدرّ الّتم في أمسية حلقتنا حيث
نفتّر بنور التهليل ونبكي ... وطلّ الدموع
يا صحاب فوق زهر البسمات ...
هكذا معبد حبي.. " ٢١٤

هكذا يشيد الأسدى معبد حبه الصوفى من دموع وبسمات من جمال وضياء:

"في مدرج الحب الجيد وهج الحبور
وهمس العطور وفوح الدموع
وحلم الضياء

همست أنداء الزهر في أذن الفجر
وتوّج النور بسناه مفارق الجمال . " ٢١٥

والنور نور الله هو سر الوجود ،فيه يفنى الأسدى حيث يلقى الله .وإذ يفيض
هذا النور فهو ليعلو على كل ضياء ونور سواه .

ويتجلى هذا النور في ساعات الانزواء ،في خلوة ووحدة واعتزال:

"لقد أضأت بنور وجهك خلوتي
مضت الشمس كالظلال الحائلة أمام بابى وسقفي

٢١٤ الأسدى ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٣٨
٢١٥ الأسدى ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٤٦

ورفعت رأسي أطلُّ كبهجة الصبح

على ضمير الوجود

والنور وحده يسامر النور فيا ويح قلبي

إذا ما اغترب. " ٢١٦

وفي قلب هذا النور يجد الحياة ويطلع على أسرار ولغات الصمت في الوجود:

"وناداني الصوت : بعيني أنت ...

لأسقيناك شراب الصدق ، ولأكشفن لك عن وجهي الكريم

ولأطلعنك على لغات الصمت في الطيروالزهر

في كل رفيف. " ٢١٧

إن الله نور يسبح به كل الوجود ، حتى الطير الذي يصحو على انبثاق النور ويمجده
في كل رفيف:

"لست أعرف ما سمع الوسن المظلول

من طائر الصباح ، أما أنا فسمعته

يردد : " هو .. هو.. " ٢١٨

إن الله في كل قلب .. قلب أنس وطيرو وسوسن وزهر ..

ويتوب الأسدي أمام هذا الإله الذي ملأ بوجوده كل وجود

"احترقت كالعود في نار التوبة

ولمّا أبلغ بعد شرفة الوصال

وانهل مدرار دمعي شفقي اللون ،

وما أومض برق الرجاء. " ٢١٩

ويطلب الأسدي الصفح والرضاء في أوج أساه:

"غرقت في أساي .. وغدا طلابي من الدنيا

٢١٦ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٨٠

٢١٧ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

٢١٨ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٥٠

٢١٩ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٥٠

أن تحملني أمواج دمعي إلى ضفاف

رضاك .. " ٢٢٠

والتوبة تحصل في النفس وهي في أوج شعورها بضغف ووهن ولن يخفف شيئاً من لواعجها سوى أن تستغفر وتتوب .. فتمجد القوة ؛

"إذن لأدق بيد القلب طبول تمجيد معالمه

على شرفات العرش . " ٢٢١

بيد أن طلب رضا الله ليستغفره ويتوب عن خطاياها لم يمنعه من خمرته التي هي مفتاح الأسرار العلوية ، والتي هي طريقه ووساطته 'إلى الفلك المسحور . يقول :

" سنحترق ونحن سكارى هذا الفلك المسحور

ونرفع النقاب عن وجه الله ...

ونراه .. " ٢٢٢

وخمرته تشع من زجاجة يرقص فيها الضياء .. خمرته مادية صرفة تنعشه وتنكره في نشوة سكري ؛

"أسرار هذا الكون العتيد في خزانة صدري ،

ومفتاحها كأس المدام . " ٢٢٣

ولذا جعل الخمرة هدف أمانيه ومنتهى طربه وأغانيه ؛

"أماني في الحياة عانس العنقود

وحبيب حنون ونهر دائم التطريب

أدرجوا أذن زجاجة الخمر طي أكفاني ،

فبجاهها أفيء إلى ظلة يرقص فيها الضياء ،

وبجاهها أنال شفاعتي

وصبوا على تربتي جام الشراب

٢٢٠ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

٢٢١ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

٢٢٢ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٥٠

٢٢٣ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٥٠

يروى عظامي وينفت فيها الحياة
اسمعي قهقهة الجام عندما تتجاوب قباب
الزوايا بأنين الرباب وحنين القيثار
اسمعي قهقهة الجام عندما تفيض شمعة الحب
على العالم بالصفو
ورعشات الضياء. " ٢٢٤

يلحظ هنا التشابه الكبير مع الصوفي عمر الخيام ،والذي يناجي خمرته
بالصور ذاتها .

والواقع أن الخمرة تذهب بوعيه ،ولكنه يقول :

"إن تاج العريضة لا يؤتاه إلا فكه الطباع

سني المواهب ذو الغرر و الأوضاح . " ٢٢٥

ويصل حالة السكر الشديد والغيوبة الكاملة ،حيث يخنس الوعي ويغيب اللاشعور
بنشوة روحية تتجلى أمامها أسرار الحياة ،وتتناثر النفحات تترى بنفحات صوفية منثورة ..

"ارتفعت عن دنيا اليقظة ،كما ارتفع الموضوع

عن دنيا الهوى ،وأرسلتها الغيوبة الغارقة

نثرات من رفاه الحب وحواه إلى ساحة وراء الطبيعة،

إن هذه النفحات وجدي علوي ونشوة روحية يفيض بهما

اللاشعور المستعر ويخنس الوعي . " ٢٢٦

لا شك في أن مرحلة الغيوبة ومرحلة اللاوعي في حالته النفسية هي مرحلة
(افتخار) ولكنها كانت عسيرة الطبيعة ،إذ غرقت في صوفية رمزية ؛ولم تتطرح بسهولة
وعذوبة كما انطرحت عندما انطرحت عند أستاذه (حافظ الشيرازي) أو عند غيره من
المتصوفين من مثل (ابن الفارض ورابعة العدوية) هؤلاء الذين استعملوا الرموز ولكن
بأسلوب مفهوم سلس..

٢٢٤ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٨٤

٢٢٥ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

٢٢٦ الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ٢٠٠

وهكذا فإننا نرى ثمة ضباباً كثيفاً يجر سحائبه المظلة على نبع المادة الاستبصارية التي يحاول الأسدى أن يخلق فيها، ووراء هذه السحائب المظلمة ووراء هذا الركام من الظلمات معاناة شخصية تجدر دراستها بتعمق ودقة .

استطاع الأسدى في الواقع أن يسدل على معاناته ستاراً أمام الناس وصحبهم، ولكنها كانت تظهر في صور نفسية صوفية ذات خشوع وبكاء ذات وجد وفناء . وفي الواقع بقيت معاناته مجهولة في بعض منعطفاتها عندما لعب فيها الخيال فجعلها معاناة تتسم بطبيعة غامضة منحدره من أعماق زمنية سحيقة في القدم، أو هابطة من عالم النور والظلمة ومن طبيعة علوية لا ترتبط بزمن، بل إنها من عالم الغيبوبة التي ينطرح فيها ، و الأسدى في غيبوبته ونشوته الروحية، سيصل إلى الإشراق والإبداع، وفي حالة الغيبوبة وبين الصمت واليقظة تنهمر عليه كلمات الإبداع الأدبي وتتشكل أمام عينيه الرؤى الشعرية، حتى إذا صحا ذليلاً أخذ يُجهد الوعي لتنظيم الصور والرؤى التي تراءت له في عالم الغيبوبة :يقول:

"وفي هذا الجو الناغم الحالم ،

يستحم شعري،

وترتمي عليه سجدف نظم الظلال ،

ثم يمضي مواكب مواكب من إبداع

إلى مفاوز القلوب . " ٢٢٧

ولكن... إذا كانت الصور تستعصي على التفسير، فلأنها أخذت النمط الرؤوي وأعطت الأهمية والألوية للإيحاء على التكتيك ...

وإذا كانت معاناة الأهواء البشرية تجري في إطار الشعور، فإن موضوع الرؤيا يعاني ما وراء هذا الإطار . وكأنه يقودنا إلى أشياء سرية بحكم طبيعتها، تبرز الأدب ولاسيما في الشعر .

إذن فالشعر رؤيا .. وأنه استكشاف وكشف عن المجهول .. ومن هنا يرتبط اللاشعور بالرؤيا ..

٢٢٧ الأسدى ، م. خير الدين : أغاني القبة ، ص ١٠٠

واللاشعور عالم نفسي كبير يضم ماضي الفرد وحاضره ،ويضم ما ينطوي عليه الفرد من تراث أمته وحضارتها .وفي لاشعور الفرد يوجد لا شعور المجتمع وشعوره في آن ؛ وذلك بما فيه من تقاليد وقيم ومحرمات وممنوعات ؛أي يوجد المجتمع بتراثه وحضارته ومدى انفتاحه وانغلاقه ،وما الشعر إلا التعبير عن هذا العالم الكبير ... وهكذا بدت معاناة الأسدي في بعض شطحاته الصوفية تفوق أبعاد الإحساس والفهم البشري ،وكأن مادة المعاناة قد غدت كشافاً يعجز الحدس البشري عن سبر أغواره وكشف ذواباته واستطاعت معاناته أن تمزق الحجب التي رسم عليها صورة الكون ..بأبعادها ،وتفتح أمام البصيرة أغواراً مغلقة على الفهم ؛أتراها أغواراً ماثلة في ظلام عالم الفكر ؟أم أنها ينباع النفس الإنسانية التي تعود إلى ما قبل الوجود ؟أم أغواراً تكمن في مستقبل أجناس لم تولد بعد ؟

والنتيجة إن ظاهرة الإبداع التي نراها عند الأسدي والتي تتأصل في غموض رؤية اللاوعي ، في أثناء الغيبوبة ؛ستدع أبوابها موصدة إلى أجل،أمام اقتحامات المعرفة البشرية . وهذا كله لا يمنع من أن الأسدي في "أغاني القبة" ؛قد غرق في صوفية رمزية تدل على معاناة ،حاولت أن تمزق حجب الكون حاولت أنت تعجز أطر الإمكان الإنساني ،معاناة هزت الفرد البشري هزاً عنيفاً ،ودخلت حرم الإبداع يخلده الفن الإنساني ،هنا بدت معاناة أصيلة لامست روح الإنسانية جمعاء ..

٤- وجهة نظر في الطبعة الثانية لأغاني القبة :

طبعت الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة ديوان أغاني القبة طبعة ثانية عام ٢٠٠٧م، وقد شرحه وضبطه بالشكل وقدم له جميل منصور، غير أنّ هذه الطبعة لم تقدّم فائدة لهذا الديوان بقدر ما أنقصت منه؛ ويمكن إجمال ما قدّمته هذه الطبعة للديوان فيما يأتي:

١. توفير نسخ جديدة بعد أن نفذت نسخ الطبعة الأولى.
٢. تقديم الشارح للكتاب بمقدمة بلغت إحدى وعشرين صفحة^(٢٢٨)، عرّف فيها بالأسدي وكتابه ومصادر تأثره.
٣. شرح بعض الألفاظ الصعبة وضبطها.
٤. صنع بعض الفهارس الفنيّة؛ من مثل فهرس الأعلام، والبلدان والمدن والأماكن، والقوافي، وغيرها.

غير أنّ ثمة نقصاً ليس هيناً وقعت فيه هذه الطبعة، ولم يُعطه الشارح أي أهمية، ويتجلى ذلك في غياب معرض الرسم الصوفي الذي زين به الشاعر أغانيه، وتساعد هذه الرسوم على استكشاف الجو الصوفي الذي أخذ الأسدي نفسه به، وقد غابت هذه الرسوم بدءاً من الغلاف الأول الذي اختلف عن الغلاف الأصل، فحرمت هذه الطبعة الديوان من وسيلة مهمة يمكن لها أن تنقل القارئ إلى أجواء النص التي أراد صاحبها أن توحى بها؛ لتكون نفحات صوفية كما أراد لها.^{٢٢٩}

كما غيرت هذه الطبعة طريقة كتابة النص، فلم تبق كما رسمها الأسدي أسطراً وحيدات صغيرة،^{٢٣٠} بل صارت أسطراً كبيرة، ويمكن بيان الفرق بعرض نصّ من الطبعة الأولى التي أخرجها الشاعر كما يريد:

انفلقت الأنوار، ونسمت رياح التجلي،
وغلّام الزمان هنا وبشر

فالّي مخيلتي يا نديّ المعاني! وإلى فمي يا جميل
الكلام!

٢٢٨- ينظر: الأسدي، خير الدين: ديوان أغاني القبة، شرحه وضبطه بالشكل وقدم له: جميل منصور، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٥-٢٥.

^{٢٢٩} ينظر: الملحق رقم /٩/

^{٢٣٠} ينظر الملحق رقم /١٠/

يا من أنفاسه كأنفاس عيسى! إنَّ ظلَّ
قامتك وقع على جسدي، ينضحه إشراقاً
وألوهية (٢٣١)

أمّا في الطبعة الجديدة فقد كُتب هذا النصّ على الشكل الآتي:
انغلقت الأنوار، ونسَمَت رِيح التجلّي، وغلّام الزمان هنا وبشّر.
فإلى مخيلتي يا نديّ المعاني! وإلى فمي يا جميل الكلام!
يا من أنفاسه كأنفاس عيسى! إنَّ ظلَّ قامتك وقع على جسدي، ينضحه
إشراقاً وألوهية. (٢٣٢)

ولا شكّ في أنّ لطريقة العرض أثراً كبيراً في تغيير مشاعر المتلقّي، ونلاحظ في هذا النصّ تحريف الكلمة الأولى (انفلقت) التي صارت (انغلقت) في الطبعة الجديدة، فانقلبت دلالتها كلياً فعدت دالّة على الانغلاق والضيّق على الرغم من أنّها تدلّ على الانفراج والسعة في النصّ الأصل الذي تُقدّم فيه سياقاً إيجابياً يتعرّز بالأفاظ: نسمت، والتجلّي، وهنّا، وبشّر، وغيرها.

وهكذا يمكن القول : إنّ حسنة الطبعة الجديدة لا تزيد عن توفير نسخ جديدة لا يصعب تأمينها في ظلّ تقدّم آلية التصوير والطباعة، في حين أخلّت بمضمون الديوان؛ إذ أفقدته جوّه الذي هيّاه له صاحبه، فغدا بهذه الطبعة كتاباً نثريراً عادياً لا يختلف عن سواه، ولو أنّ هذه الطبعة لم تصدر على هذه الصورة لكان أفضل لإرث الأسديّ؛ فإنّها لم تستطع أن تُوقف القارئ على طريقة الأسديّ وجوّه الصوفي الخاص.

٢٣١ - الأسديّ، م. خير الدين: أغاني القبة، مطبعة الضاد، ص ١٧١.

٢٣٢ - الأسديّ، خير الدين: ديوان أغاني القبة، شرحه وضبطه بالشكل وقدم له: جميل منصور، الهيئة العامة السورية للكتاب، ص ١٤٢. ويلاحظ أنّ اسم الشاعر قد اختلف في هذه الطبعة أيضاً، فحُذفت منه كلمة (محمد) التي أشير إليها في طبعة مطبعة الضاد بالحرف (م)، واقتصر فيها على (خير الدين).

ب- موسوعة حلب المقارنة لوحة حضارية وإبداع لا مثيل له :

تمثل مرحلة تأليف موسوعة حلب المقارنة أهم مراحل حياة الأسدي وأكثرها عطاء. و تقوم موسوعة حلب المقارنة على اللغة فقد اشتملت الموسوعة على خمسين ألفاً من مفردات اللهجة الحلبية التي أصلها من لغات عدة مثال ذلك لفظة (الدرهم) أصلها يوناني (الدرهما) جمعها الأسدي من أقوالهم : (الدراهم مراهم حطا ع الجرح ببيرا) (٢٣٣) وقد ذكرها الجواليقي في المعرّب وأمثال عليها الأسدي من موسوعته ، كما اشتملت على اثني عشر ألفاً من الأمثال الشعبية الحلبية ، عدا ألوان الكلام الأخرى . يغوص الأسدي في أعماق الكلمة الشعبية ليصل إلى أعماق الحياة في المجتمع الحلي ، ولهذا كان يقول : إنه يؤسس في هذه الموسوعة لعلم الحياة (٢٣٤) .

لا يغطي الأسدي م. خير الدين زمنه الخاص الممتد بدءاً من السنة الأولى من القرن العشرين (١٩٠٠م) وحتى أوائل السبعينات .. لكنه من خلال عمله الموسوعي النوعي (موسوعة حلب) يغطي أزمنة متراكمة وأحوالاً حركية للناس أو (الشعب كم ذكر هو في المقدمة) .. لقد تجاوز هذا العمل (جمود المعجم) و (موسوعية الموسوعة) واستطاع أن يخلق عمله الخاص القائم على تقاليد علمية واضحة ، دقق في مقدمته في توضيحها لأجل تقديم أمر يقَدِّم لأول مرة .. لقد أنشأ عمله هذا من فسيفساء المدينة الذاهبة في أبعاد كثيرة .. فدخل في البعد اللغوي المتعدد والمستضيء أحياناً بظلال بعيدة .. ولقد انغمس في البعد الحكائي وفي الأمثال ، وفي العادات الكلامية لمجتمع متنوع في حرفه وأسواقه وأحيائه وناسه .. (٢٣٥)

١- دوافع تأليف الموسوعة :

ويمكن إجمال دواعي تأليف الموسوعة فيما يأتي (٢٣٦):

٢٣٣- الأسدي، خير الدين: موسوعة حلب المقارنة ، مج ٤ ، ص ٤٦ .

٢٣٤- ينظر : مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٥ .

٢٣٥ عبد المنعم ، د. بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، وزارة الثقافة دمشق ، ٢٠٠٦م ، ص ٥٣
٢٣٦- عبد المحسن ، محمد حسن : الأدب الشعبي الحلي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي ، دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، بإشراف : د. فؤاد المرعي ، ص ٣٥-٣٧ .

١- عدم وجود كتب أو معجمات أو موسوعات على غرار مافي الآداب الأوربية، تلك الكتب التي ترصد اللهجات المحلية واللهجات العامية في المدن والأقطار المختلفة، فمعظم الآداب الأوربية تهتم بالدراسات اللغوية المقارنة منذ عقود، ويؤكد هذا الرأي قول المستشرق الألماني فيشر: « إنَّ النقص المهم في المعجمات التي صنّفها العرب يرجع إلى أن مصنّفها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة العربية، بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط، ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجماً تاريخياً. ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تدولت في اللغة، فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها»^(٢٣٧).

٢- تحوّل الأدب المعاصر من أدب قصور خاص بخدمة الملوك والأمراء إلى أدب جماهيري يقترب من الشعب، يقول الأسدي عن ذلك: « وقديماً يعرف صحبي القراء الثاقفون أن عناية التأليف كانت موجهة إلى القصور وما إليها، أما الشعب فهدر في حسابهم وتفاهة موضوع. يقيني أن ما من كتاب تتجلى فيه نبضات الشعب وأعطياته الروحية والنفسية والمادية كما حرصت أن يتوفر في موسوعتي»^(٢٣٨). فغاية الأسدي أن يعبر في موسوعته عن هموم المجتمع الحلبي ومشكلاته وأفراحه وأتراحه بصدق وأمانة.

٣- تلبية نداء مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أقرّ في قانون تأسيسه ضرورة تنظيم دراسات لغوية ومقارنة للهجات العربية الحديثة في الدول العربية كلها.

٤- حب الأسدي الكبير للمدينة التي نشأ فيها وأعجب بها أيما إعجاب، وقد كانت علاقته بها علاقة العاشق بالمعشوق، يقول في أسطر مقدمته الأولى: « كانت ساعة يمن وإقبال وإطلال مراحم ربوبية إذ قضى الناموس منذ نصف القرن أن اضطلع بمهمة "حلب" و" قصة حلب" و" انضواء حلب في سراديب الزمان والمكان" و" مدى ما فكر الإنسان في حلب" بوثنائق مفرداته، وما؟ وما؟»^(٢٣٩).

٥- ولع الأسدي الشديد بالحكايات الشعبية والأساطير والقصص الخرافية وفنون الأدب الشعبية المختلفة، وقد كان لوالدته أثر كبير في تنمية هذا الولع.

٢٣٧- الأسدي، محمد خير الدين: موسوعة حلب المقارنة، النسخة الرقمية، ص ٥ من مقدمة المؤلف.

٢٣٨- المصدر السابق، ص ١-٢ من مقدمة المؤلف.

٢٣٩- المصدر السابق، ص ١ من مقدمة المؤلف.

٦- طربه لسماع كلام العامة من الحلبيين الذي تكمن فيه مواطن الجمال اللغوي والأدبي، ذاك الكلام الذي يحرك النفس ويهز المشاعر، ومن ذلك مثلاً قولهم: « **خود الأصيل ولو عالحصير** »^(٢٤٠)، وقولهم: « **البريد يبسط نفسو يتذكر ليلة عرسو** »^(٢٤١).

٧- قناعته بأن البحوث اللغوية المقارنة هي الطريق السليمة لمعرفة شعب من الشعوب على حقيقته، والوقوف على طبيعته وتركيبه النفسي والاجتماعي.

٨- عزوفه عن الزواج وبقاؤه وحيداً بعد وفاة أمه، مما وفرّ له وقتاً كافياً لإنجاز هذا العمل الضخم.

٩- الروح النضالية التي حرص الأسدي على بثّها في نفوس طلابه قبل الاستقلال وبعده، وذلك بتسجيل المواقف الشعبية النضالية لصونها من الضياع.

والحقّ يقال : إن هذه الموسوعة ليست إلا وثائق لغوية وأدبية سيستفيد منها دارسو العصر الحديث ولا سيما بعد أن بدأت دراسات التراث الشعبي بالظهور في قطرنا العربي السوري، وهي وإن كانت الآن في بدايتها عندنا فهي نشيطة وقوية وجادة في مصر والعراق والجزائر والمغرب وغيرها من الأقطار العربية.

٣- الموسوعة والمنهج :

منهج الموسوعة متنوع وغير مألوف في المعجمات العربية القديمة وفي موسوعات المدن أو التاريخ ، يقول الأسدي في مقدمة الموسوعة : "... وفيها دراسات الشعبيات في البيت ، في السوق ، في الشارع ، في كل مدب للشعب ، لا في القصور فحسب ، ولا دراستها مبتورة عن العالم " .^{٢٤٢}

تنبؤاً هذه الموسوعة مكانها الرفيع بين الدراسات اللغوية المقارنة ، لأنها وضعت من أجل الكشف عن الأصول اللغوية التي عملت على تكوين لهجة حلب ، بل من أجل الكشف عن العلاقة المتبادلة بينها وبين تلك الأصول . ومن جهة أخرى تعد الموسوعة مصدراً ثرا من مصادر التراث الشعبي ، لاسيما في هذا العصر الذي وجد فيه نفر من الدارسين أن لا تثريب

٢٤٠- المصدر السابق، ص ٢١٤، وتتنظر: ص ١٦٣ و ٣٦٨ من المصدر نفسه.

٢٤١- المصدر السابق، ص ٣٧٠.

٢٤٢ الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، من التصدير بقلم عن كلام له .

عليهم إذا هم ولوا وجوههم شطر الشعوب يتتبعون لهجتها المحكية وأساليب التعبير فيها ، ويتحرون تقاليدها ومعتقداتها وأنماط حياتها مما يعين على فهم شخصيتها الإنسانية وما تحفل به من إمكانات إبداعية متفردة .

ولا جرم أن مدينة حلب لها خصوصيتها وهي جديرة بمثل هذا الاهتمام فهي المدينة التاريخية الغنية بسكانها وبموارد العيش فيها ، كما أنها كانت على مر العصور التاريخية محط القوافل التجارية العابرة شرق البلاد وغربها ، وخاناتها الباقية وأسواقها وآثارها آية دالة على ذلك ، فاختلط سكانها بكثير من الشعوب العربية والإسلامية والأجنبية وتم بين هؤلاء و هؤلاء التمازج وظهر التأثير سواء في لغة الحديث أو في طرز العيش ، مما يؤكد أن هذه المدينة مع حفاظها على طابعها الخاص لم تتأب على مثل هذا التأثير بل اتسمت بشخصيتها باللين والمرونة وعرفت بحسن الجوار واحترام الغريب^{٢٤٣} .

والحق يقال ، إن الموسوعة على عظمتها لا يمكن أن تمثل تمثيلاً كاملاً ذاكرة حضارية عريقة كذاكرة حلب ومع ذلك فقد اكتسبت موسوعة حلب المقارنة أهمية عظيمة، وتعد مرجعاً شاملاً وسجلاً حافلاً لمدينة حلب عبر مختلف العصور من خلال الكلمات العامية والعبارات الشعبية الحلبية، وهذه الكلمات والمأثورات تشكل التراث الأدبي الشعبي لمدينة حلب العريقة ولشعبها العربي الأصيل، فقد امتزجت فيها مختلف الجوانب الأدبية واللغوية بالمظاهر الاقتصادية والاجتماعية على أكمل وجه»^(٢٤٤).

وإن أنسى لا أنسى قول الأديب جمال الغيطاني في احتفال حلب عاصمة الثقافة الإسلامية : إنه لم يقرأ في الأدب العربي شعره ونثره ، مثل ما ورد في هذه الموسوعة .

وفي تعليقات على الموسوعة رأى الأستاذ محمد كمال أن آراء كل من تصفح موسوعة حلب المقارنة للعلامة الأسدي تناصرت على أنها جاءت نمطاً فريداً من التأليف والتصنيف ، إذ جمعت بين التحليل اللغوي والتراث الشعبي ، فرسمت صورة موسوعة عن الواقع بكل أبعاده العقلية والاجتماعية والثقافية في مدينة تعد من أعرق المدن في العالم ، وأكثرها غنى

^{٢٤٣} ينظر : الأسدي م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة، مج ١ ، المقدمة ، ص ج بقلم الشاعر والباحث والمحقق محمد كمال.

٢٤٤ - عبد المحسن ، محمد حسن : الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي ، دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، ص٤٨-٤٩ .

بالسكان ، وأكثرها تمازجا بالشعوب المجاورة إلا أن المواد اللغوية في الموسوعة قد توزعت في ثلاثة مستويات :

١- مواد أشبعها المؤلف بحثا ودراسة ، ووصل فيها إلى نتائج مقبولة لا يرقى إليها الشك .
٢- مواد ظلت لدى المؤلف ضمن إطار الاحتمالات ، لتعذر الوصول فيها إلى نتائج مقنعة .

٣- مواد يمكن أن يرد فيها تحليل المؤلف ، أو يضاف عليه ، وليس هذا من قبيل التخطئة ، وإنما من قبيل الاجتهاد .

وانطلاقا من هذا المستوى الثالث يمكن أن يظل الباب مفتوحا أمام الباحثين اللغويين لعرض آرائهم ، إما بمخالفة رأي الأسيدي ، أو بتعزيزه .
ومثل هذا التصدي كثيرا ما وقع بين علمائنا القدامى الذين سهروا على وضع معاجم لغتنا العربية الفصحى ، وتبيان أصولها وطرائق استعمالها .^{٢٤٥}

صدرت الموسوعة في سبعة أجزاء من الحجم الكبير وقد طبع الجزء الأول ونشر عام ١٩٨١م ووزعت موادها على نسقين عموديين في الصفحة الواحدة^{٢٤٦} وقد راجعها وحققها الأستاذ الشاعر محمد كمال في رحاب معهد التراث العلمي بجهد فردي تفرغ له طيلة تسعة أعوام إذ قام بضبط معظم مفرداتها ، ووثق ما ورد فيها من شعر ، وأضاف عليها تعليقات موجزة ومفيدة ، ووضع في آخر جزء من أجزائها السبعة خمسة وخمسين فهرسا لإرشاد القارئ إلى محتوياتها المتنوعة .^{٢٤٧} وقد حوّلت من قبل فريق عمل طلاب جامعيين بالتعاون مع جمعية العاديات وبإشراف الدكتور المهندس أحمد أديب شعار ، في عام ٢٠٠٩م من النسخة الورقية إلى نسخة رقمية .

لقد فتن الأسيدي بمدينة حلب وأنزلها من نفسه منزلة المحب والمكرم ، فسعى لشدة حبه غير التقليدي لها حجرا وبشرا إلى أن يخصها بهذا المؤلف الضخم الذي يحفظ تراثها اللغوي والثقافي والاجتماعي والعمراني وحشد لذلك سنوات مديدة من عمره يجمع المادة الأولية من أفواه الناس في سهراتهم ومقاهيهم وأسواقهم وخاناتهم ولم يأخذ في تأليفه إخذ من يتخير ويصطفي بل إخذ من يجمع الشتات مما جرى على السنة العامة وشاع في أحاديثهم

^{٢٤٥} كمال ، محمد : من الشابكة . لكنني أرى الإضافات التي يمكن أن تحدث تطورا للموسوعة يجب أن لا تمس محتواها .

^{٢٤٦} ينظر الملحق رقم / /

^{٢٤٧} ينظر : فهارس المجلد الأول الذي صدر عام ١٩٨١م في الملحق رقم / ١٢ /

على سبيل الجد أو على سبيل الهزل . فهو في هذه الطريقة يتلو تلو أعلامنا اللغويين ممن وضعوا المعجمات و أودعوها ما وصل إلى أسماعهم من كلام العرب مع تفرق قبائلهم واختلاف لهجاتهم ، حتى إنه ليذكر بعض الألفاظ التي انقرض استعمالها أو كاد .

واتبع العلامة الأسدي الترتيب المعجمي الهجائي في عرض المادة اللغوية ، إلا إنه لا يعتمد على الثلاثي المجرد وإنما يأتي باللفظة كما ينطقها العامة سواء أكانت اسماً أم فعلاً ، وهذا ما دفعه إلى أن يذكر اللفظة في موضعها من الترتيب الهجائي ، أما مشتقاتها فلا تذكر في الموضع نفسه كما نرى في المعجمات العربية ، بل يأتي بها في موضعها وفقاً لتسلسل حروفها ، فالفعل " أشّر " مثلاً لا تجده في مادة " الإشارة " وإنما يشرح معنى الإشارة واستعمالها العامي في مادة (أشّر) ، ثم في موضع آخر أي في مادة (أشّر) يذكر الفعل أشّر واستعمالاته الخاصة ، والمؤلف محق في ذلك لما فيه من تسهيل الرجوع إلى الكلمة المطلوبة ، ولأن مشتقات الكلمة قد يختصها العامة بمعنى يختلف عن الأصل اللغوي لها .

بل ربما يكون للفظ الواحد أكثر من معنى فتراه يستقصي هذه المعاني جميعاً ثم يجعل لكل منها موضعاً مستقلاً كما ترى في كلمة (الأدب) أو (الدشلي) أو (دق) أو (الروح) أو (الزاوية)^{٢٤٨} ونمثل لمنهج الأسدي في عرض مواد موسوعته بمادة (اسق العطاش) هذا الدعاء وهذه الموسيقى وهذه الأغنية الحلبية الخالدة نستطيع أن نقرأ " منذ ٣٠٠ عام تعرضت حلب لموجة من الجفاف وشح الأمطار ونضوب الينابيع وما يستلزم ذلك من القحط . وكان في الزاوية الهلالية القادرية في حي الجلوم منشد وناظم يدعي الشيخ (محمد الوراق) فنظم قصيدة طويلة في التضرع إلى الله / ولحنها بنغم الحجاز الذي يعبق بأرج النبوة ذلك النغم الذي يشبه إلى حد ما حدو العرب . وعرض النظم واللحن على شيخه فوافق وعلمها تلامذته ، ثم خرجوا إلى العراق يتلون راقصين باكين متواجدين " ^{٢٤٩} وأما الخاصيات الملحوظة في هذه المادة فهي أنها ليست مادة لغوية تقليدية والتي تبدأ عربياً من الجذر الثلاثي ، ثم تتوالى بعده المعاني المرتبطة به كافة . فهو لم يأت ب (سقى) ولا (عطش) بل قادنا مباشرة إلى المعنى الخصوصي في حلب أي (اسق العطاش) يروي حكايتها التاريخية المأثورة ولأنها (حكاية حلبية) فهي تشتعل بحرائقها الجمالية التي تبدأ

^{٢٤٨} الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، حر ، من المقدمة بقلم الشاعر والباحث والمحقق محمد كمال .

^{٢٤٩} الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، ص ١٣٨

بالجفاف ، لكنها تتغلق على مقام الحجاز والرقص في ظلال من الحداء العربي.. ثم يأتي المطر ، فيبدو أن الدعاء حين يكون حضاريا وجماليا إلى هذه الدرجة يغدو مستجابا.. وقد أصبح أكثر اقترابا من الله ليغدو الحب أكبر.. والسماع أرهف !^{٢٥٠}

وثمة ألفاظ قد وقع لها في لهجة حلب أكثر من طريقة واحدة في النطق لتحريف أصابها أو لاختلاف الأحياء في نطقها ، فيعمد إلى ذكر كل طريقة في موضعها من الترتيب وذلك كثير من أمثله : رَّبَج و روج والأهون والأهين ، بل ربما تعدى ذلك إلى نطقها في لهجة مدينة أخرى سعيًا منه إلى التوضيح بوساطة المقارنة .

وتأتي قيمة الموسوعة من أن المؤلف يرد هذه اللهجة إلى الأصول التي تحدرت منها والمصادر التي عملت على إثرائها ، وهنا تتجلى ثقافته وإلمامه باللغات القديمة والأوربية وقدرته على التحليل والاستنباط ؛ فالألفاظ عنده إما أن تكون عربية ويعني ذلك أن جذرها عربي وإن طرأ على هذا الاستعمال شيء من التعديل ، وإما أن تكون من العربية ويعني ذلك أنها عربية ولكن أصابها التحريف في شكلها أو في حروفها أو أنها دخيلة استعملها العرب ، وإما أن تكون ذات أصل سامي أو أوربي ، فتراه يكشف هذا الأصل بدراية فائقة وحرص على الأمانة كبير .

إلا أن بعض الكلمات قد يعجزه أصلها وذلك أمر منتظر في مثل هذا الطريق الشائك ، فلا يجازف برأي قاطع بل يعترف قائلاً : لم نجد لها أصلاً ولعلها مما يلي ، ثم يستحضر عدداً من الآراء مهما كان حظها من الصحة ناسباً كل رأي إلى صاحبه أو مصدره ، إلى أن يصل إلى رأيه الخاص الذي يرجحه ، من أمثلة ذلك " دركل " أو " هيطلية " أو... وهذه الموضوعية لا تكاد تخلو منها شعبة من شعب الكتاب ، وإن كان هذا الباب أعني باب البحث عن الأصل قد يفضي إلى كثير من المناقشات والأخذ والرد بين أرباب اللغة والباحثين في اللهجات .

أما أحكام النطق وأحكام الاشتقاق فلم يجمعها المؤلف في موضع واحد من الموسوعة وليته فعل ، وإنما جاءت مفرقة بحسب ورودها في مواضعها المعجمية وهناك بيانها وتفصيل القول فيها ، فنرى أحكام الإمالة واسم الفاعل واسم المفعول واسم الآلة مثلاً في حرف الألف وأحكام الردة في حرف الراء وهكذا .

^{٢٥٠} ينظر : عبد المنعم ، د. بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، ص ٥١
١٣٢

وقد كان المؤلف فضل الريادة في موضع رموز النطق لهذه اللهجة ، وهي لا تعد أن تكون رديفا للحركات المعروفة في الفصحى ، فبهذه الرموز يسهل على القارئ من غير حلب أن يقرأ الكلمة أو العبارة على الوجه السليم . فكم من كلمة إذا أسيء نطقها تصعب على القارئ فهم معناها بل ربما فسد المعنى بفساد النطق .^{٢٥١}

أما استعمال هذه اللهجة فيستفيض فيما حفلت به الموسوعة من الأقوال والحكم والأمثال واللوحات والأغاني والأدعية وألفاظ الزجر والسباب إلى غير ذلك من الصيغ المنتقاة على هدي الخبرة والمعاشية والممارسة ، فلا تكلف فيها ولا تعمل ولا تحس أنها غريبة على السماع بعيدة عن الواقع . والممتع المفيد حقا ما تراه من أشكال التعبير الفني في تلك اللهجة ؛ من مثل التشابيه والاستعارات والكنيات والمجازات لأن الخيال المبدع ليس مما ينفرد به الشعراء والأدباء فحسب ، وإنما قد تجده عند العامة بثوب من العفوية والواقعية شفيف^{٢٥٢} .

رتب الأسدي الموسوعة على حروف المعجم معتمداً على الألفاظ والمفردات التي تبدأ بها أو التي ترد في سياق المأثور الشعبي، وذلك تسهيلاً لتناولها من القارئ طالب المعرفة، وهذا ما أدى إلى التكرار فالكلمات هي مفتاح ماتسعى إليه الموسوعة. وغالباً لانجد مراجع ومصادر للكلمات التي يذكرها ومعظم المفردات في الموسوعة إما مولده أو دخيله أو معربة. وهذه الصيغ الشتى يعرضها المؤلف شواهد على ألفاظ المادة المعجمية ، فلا عجب إذا تردد بعضها غير مرة وفقاً للألفاظ الواردة فيها .

٣- البعد العالمي لموسوعة حلب المقارنة :

لئن كان مبدع الموسوعة رجلاً منغمراً في العراقة التراثية والأصالة الأدبية والعلمية والاجتماعية .. لكنه كان أيضاً وبالدرجة نفسها منفتحاً على مجموعة كبيرة من اللغات والثقافات والتحاورات وصلت إلى معرفته بسبب رحلاته الكثيفة والطويلة محلياً وعربياً وعالمياً وقد ظهر معظمها في ثنايا هذا العمل ، ف (كلمة) ما يبتدئ بها من موسوعة حلب فيعبر بنا من خلالها على اللغة التركية والفارسية والكردية والأردية ... وكذلك اللغات المحلية القديمة مثل السريانية والآرامية والآكادية والسومرية ... وكذلك هناك أحيانا مرور

^{٢٥١} ينظر في الملحق رقم / ٨ / المنهاج.

^{٢٥٢} ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، ص ٥ ، من المقدمة بقلم الشاعر والباحث والمحقق محمد كمال.

على اليونانية والرومانية .. ثم الإنكليزية والفرنسية والإيطالية .. والتقطت مرة مقارنة في مادة (باب الحديد) مع اللغة المغولية !! إنما تبتدئ بمدخل لغوية ، ثم تنفلت بعد ذلك لتعبر عن أشياء الحياة وتفاعلاتها وتراثها .

تلك ميزة (العالمية) التي حصدها الأسدي من حلب التاريخية التي قامت في نقطة حساسة من شرق المتوسط .. في وسط الوسط من العالم القديم كله . وإذن ، ليست عالمية الأسدي أمراً مبتذلاً أو نوعاً من (عقدة نقص شرقية تجاه الغرب) أو شيئاً متقبلاً من (فرضيات الغرب عن الشرق وإرهابيته الفكرية عليه) .. عالمية الأسدي التي تَضَوُّع من موسوعته الفريدة هي شيء من انتماء إلى (الأرض الحضارية) بلغاتها المتبادلة والمتناقلة والمعدلة هنا وهنا وهناك ..

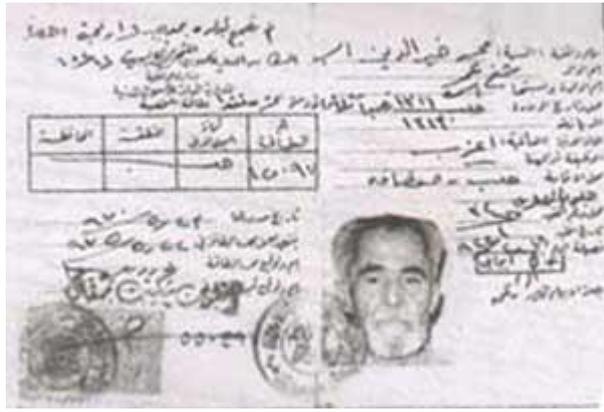
يبدو أن أصالة الرجل التي لا تُخْتَرَق هي ممّا ساعده على الابتعاد عن الابتذالات المعاصرة التي حاولت مسح العالم بحكم الواقع الفيزيائي والصناعي الجديد الذي حكم على هذا العالم بسرعات كبيرة وطاقات وإمكانات مادية لا يمكن مقارنتها بإمكانات الماضي .^{٢٥٣} والموسوعة بعد غنية بالمعلومات التاريخية والجغرافية والثقافية والاجتماعية ، وهذا ما يجعل قراءتها متعة للنفس وفائدة للعقل ، فقد بث فيها المؤلف من الأخبار العلمية والوقائع الشعبية وطرائق الطعام واللباس والأفراح والأتراح ما إنه ليتعذر على المرء الحصول عليه لا سيما ما طواه الزمن ولم يدون في كتاب .^{٢٥٤}

ومن الطريف أن أورد هنا أخيراً مقالة الباحث ديب علي حسن تحت عنوان " خير الدين الأسدي ، جواز سفر بلا مسافر " (٢٥٥). إذ جاء فيها : ليس عنوان قصيدة رمزية أو ما بعد حدثية بل ذاك مفارقات تحدث ، ولكنها لا تتكرر إلا حيث يقتل الإهمال واللامبالاة المبدع ، ويذهب به إلى مستقره الأخير ، فيكاد عمل عمر وجهد يذهب هباء منثوراً . إنّ العلامة محمد خير الدين الأسدي - الذي مات في مأوى العجزة وتناهب تجار الكتب والمخطوطات ما أنجزه - حكاية مأساة تبدأ ولا تنتهي...

^{٢٥٣} ينظر : عبدالمنعم ، د. بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، ص ٥٤ - ٥٦ .

^{٢٥٤} ينظر : الأسدي ، م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ١ ، ص هـ من المقدمة بقلم الشاعر الباحث محمد كمال .

٢٥٥- ينظر : علي ديب ، حسن : خير الدين الأسدي ، جواز سفر بلا مسافر ، شؤون ثقافية ، جريدة الثورة ، سورية ، تاريخ : ٢٢



ولي صديق اسمه (هاني الخير) قد وصف لي ما حدث معه في شرائه جواز سفر خير الدين الأسدي ، سأرويهِ لكم كما يأتي : " إن الجديد في الأمر أن زميلنا هاني الخير كان منذ سنوات قد اشترى جواز سفر وهوية خير الدين الأسدي من تاجر الكتب الذي كان له نصيب كبير في مكتبة الراحل ، وقد احتفظ (الخير) بهاتين الوثيقتين الشخصيتين ، وفي مناسبة الاحتفال بحلب عاصمة للثقافة الإسلامية ، فقد قرر هاني الخير تسليمهما الى الدكتور تامر الحجة محافظ حلب ، بالإضافة إلى كتاب (المقامات) لمؤلفه د. عبد السلام العجيلي والذي أهداه بخط يده إلى العلامة خير الدين الأسدي"^(٢٥٦) .

يشير إلى أن أحد أجزاء موسوعة الأسدي (حلب المقارنة) قد اختفى هو المستدرك الذي ذكره الأسدي في مقدمة الموسوعة^{٢٥٧} كما يشير الصديق هاني الخير إلا أنه لا أحد يعلم أين استقر ولاسيما إذا علمنا أن معظم وثائق مكتبته كانت قد بيعت إلى من نقلها خلسة إلى خارج سورية .

وفي الختام نقول : اكتنفت ثنائية اللذة والألم حياة محمد خير الدين الأسدي وحديثه عن السعادة والمسرة كان قليلاً ، وكان مصدرها في الغالب تضخم الأنا عنده ، وما أعلى من شأن اللذة والسعادة العقلية المرتبطة بالعلم والمعرفة وربطها بالألم ربما نسميه (ألم السعادة) من باب الثنائيات المتناقضة والتناغم بين القبيح والجميل ، وقد عاش الأسدي سعادته على قدرها وحيداً غريباً وقد رآها مرتبطة في قدرته على تحمل الآلام برضى تام وإصرار عجيب ؛ قال

٢٥٦- علي ديب ، حسن : خير الدين الأسدي ، جواز سفر بلا مسافر ، شؤون ثقافية ، جريدة الثورة ، دمشق ، سورية ، تاريخ : ٢٢

٢٥٧ / ٣ / ٢٠٠٦ .

^{٢٥٧} ينظر الملحق رقم / ٨ /

ألفرد دي موسيه في لياليه : لا شيء يجعلنا عظماء مثل ألم عظيم ، ومن هنا كان الألم ثمن القنوع والعبقرية .

ومع أن الألم والحزن الخفي والمعاناة اليومية لم يكن بوسعه نسيانها ؛ أو التغافل عنها مع أنها من أهم منابع إبداعه الجم ، ولم يقفوا عائقاً في مسيرة حياته .
لقد سعى الأسدي إلى التخفيف من حدة آلامه بوساطة الاندماج في الحياة الحلبية العامة ، فكان كثير المشاركة في الندوات واللقاءات الأدبية ، ولعلّ محبته الحقيقية لحلب وأهلها وسعيه لخدمتها كانت من مخففات حزنه التي ساعدته على تجاوز آلامه أحياناً كثيرة .

الفصل الرابع

الأسدي المظلوم حيا وميتا .

الأسدي وواقعه المعيش :

الأسدي م . خير الدين رجل موسوعي لم يضمن على حلب بشيء من ثقافته وأدبه ، وصل الليل بالنهار وهو يعمل فردا وكأنه مؤسسة ثقافية في رجل .

وحين تذكر حلب يذكر معها الأسدي ، ولا يذكر الأسدي إلا وحلب معه . وأجدي مدفوعا إلى الإقرار من دون مراوغة أو تسرع بأن الأسدي مظلوم حيا وميتا .

عندما يحاول رجل أن يعشق مدينته حق العشق فإنه يفنى فيها ... من دون أن ينتهي أبدا ... تتجلى إليه بكليتها وتفصيلها ... ويذوب فيها فتنتني إليه وتدرك أنه عاشقها العتيد ... ذلك العاشق الأصيل والعريق والمتميز هو (الأسدي) وتلك المدينة التي عذبت بعض العذاب هي (حلب) ... وأما حال الثقافة العشيقة فيما بينهما فهي حال معقدة ، متبادلة في العمق ... جدلية في معظم تفاصيلها ... كان هو (رجل - مدينة) وكانت هي (مدينة لرجل) ...

ليس في مدينة خصوصيات مثل مدينة حلب ، وهي لا تدرك كلها و (تحتل) إلا إذا تجاوزت مرحلة المعرفة بها إلى مرحلة العشق الكلي ... لم يتحدث الأسدي عن عشقه هذا ... وتلك درجته النبيلة العلوية ... فترك لنا أن ندركها ونحن نتابع كلماته الثرة والغزيرة ... يغرق ويغرقنا في مفردات اللهجة الحلبية ((مقابلتها مع غيرها ، قواعدها ، أمثالها ، حكمها ، تهكماتها ، تشبيهاتها ، استعاراتها ، مجازاتها ... حكاياتها .. سبابها .. نوادرها .. ههوناتها ، مناغاة أمهاتها .. سهراتها)) (٢٥٨)

إن مسحا شاملا مثل هذا هو نوع من الغنى والثراء الحضاري امتلاكه الاثنان معا : الرجل والمدينة .

لقد تعلق الأسدي بمدينته وكانت رغباته قاتلة وأحلامه عريضة وأهدافه نبيلة في جمع تراثها ، وهذه الأحلام التي قدمها أو تلك الرغبات والأهداف جعلته يعيش حالا من القلق والألم والإحساس بالضياع .

٢٥٨- موسوعة حلب ، الأسدي م . خير الدين ، من المقدمة (م) وينظر : عبد المنعم ، د . بغداد : الماء في التراث العربي والإسلامي ، ص ٥٧ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٦ م ص ٥٣ - ٥٧ .

فما كان قادرا على التخلي عن طموحاته وأحلامه ورغباته تلك ، وهذا ما زاد من آلامه ودفعه إلى مزيد من العزلة في صومعته ، وجعله يتفرغ للكتابة والتأليف وينأى بنفسه عن صغائر الأمور الحياتية .

كان الأسدي نقي القلب بسيط المطالب ، منفتح الوعي وكامله ، مرتبطا بمجتمعه معالجا قضايا الفكرية والتراثية ، مقبلا على الحياة ، مفعما بها ، مرتادا مسالك طريفة ، غير مبال بما يشغل الناس العاديين من مطالب ، بلغ مرتبة الرجل العاقل العارف المتذوق لجمال محيطه العاشق لكل ماهو حلبي المدرك سعة الحياة والسالك دروب المحبة التي أكسبته حرية الإبداع وكماله وخلقت فيه رجلا حرا لم يدخل نفق فقدان الأمل بالمستقبل .

ولعل خيبة أمل الأسدي ذي الحساسية المفرطة إزاء هذه الحياة العامة والخاصة التي عاشها هي من أهم مصادر ألمه ، فكثير من طموحاته كانت عصية عليه لم يستطع تحقيقها ، وكثير من أفكاره النبيلة لم تلق آذانا صاغية ولم يقبل الناس عليها . ومع ذلك عاش حياته من أجل خدمة مجتمعه و وطنه وأمته ساعيا وراء تحقيق سعادة الناس جميعا طامحا لخير البلاد والعباد معطيا قيمة عليا للحياة .

كانت حياة الأسدي سلسلة من الآلام والمتناقضات حتى يمكننا القول : إن كلّ لذة عاشها حملت ألما لأنها كانت لذة آنية طالما عالجهما بتفكيره فوجدتها تافهة وهذا ما كان يزيد من ألمه وحسرتة .

وتكمن قدرة الأسدي في تحويل آلامه إلى ما يشبه السرور، وتحمله للآلام والمآسي التي اعترته في حياته والتي جعلت منه إنسانا متميزا ظل مخلصا لولائه الحلبي -خصوصا - والعربي -عموما - .

كان الأسدي في شقاء سرمدي من ألم إلى ألم يعاني من جملة ضغوط اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وانتابته آلام كثيرة من أهله ومن أصدقائه نجدها واضحة في ثنايا أقواله وفي صفحات مؤلفاته ومما قاله لمستشار جمعية العاديات صبحي الصواف: "أنت إذا متّ ستحزن عليك زوجتك أم سليم ، أما أنا إذا متّ فستحزن عليّ مدينة جلب بأكملة"^{٢٥٩}

^{٢٥٩} حجار ، عبدالله : جريدة الجماهير، فضاءات ، السنة الأولى - العدد ٨/ الأثنين ٢٠١١/٦/٣ م ، ص ١١ .

ولطالما تألم لآلام الفقراء والبسطاء بمنتهى الإنسانية حين نظر إلى المجتمع من حوله وأحسّ بأوضاعه التي لم تستطع تجاوز أحاسيسه والتجاوب مع آلامه .

لكنه لم يفقد الأمل فقبل العذاب الإنساني والمعاناة والبؤس وعدّ الألم من متطلبات الحياة في هذا العالم المأزوم وراه لا محالة سينتهي في يوم من الأيام ، وقد أحسّ الأسدي إحساساً قويا بالغربة بين أبناء جلدته وبات غريباً بين الأقرباء والأصدقاء في آن .

كان الأسدي الخالد الذكر أسوأ النابغين حظاً في حياته وأكثرهم اكتواء بنار الألم .

لقد جمع في ريعان شبابه مكتبة تعدّ من أضخم المكتبات الخاصة من حيث الكم والنوع ، وقد سعى مدير الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٥م إلى شراء مكتبة الأسدي التراثية ، وعندما علم محافظ حلب وقتئذ شتيوي سيفو و عمر أبو ريشة مدير دار الكتب الوطنية بذلك اتفقا على أن يهدي الأسدي مكتبته إلى دار الكتب الوطنية في حلب لقاء راتب شهري للأسدي من دون دوام عام ١٩٤٦م لكنه سرعان ما انقطع الراتب هذا بعد أن تغير مدير دار الكتب بحجة أن الأسدي لا يداوم في المكتبة كموظف ، ويقال : إنه قد شجر خلاف بين الأسدي ورئيس البلدية آنذاك (مجد الدين الجابري) ففُصل من عمله وقطعت هبته ، وقد ذكر الكونت فليب دي طرازي أن : « مكتبة الأسدي العصامي تعدّ من أكبر الخزائن في سورية ولبنان »^{٢٦٠} ، وحين زار الأسدي سدّ الفرات في عام ١٩٧١م مع تلميذه القاضي نبيه جبل ، و قال له عندما رأى عظمة هذا السد وروعته : (أنا الآن سامحت الحكومة بأموالي التي أخذتها ما دامت تصرفها على مثل هذه المشاريع) ، لكن الأسدي سرعان ما أعاد تأسيس مكتبة جديدة كان ينوي تقديمها إلى دار الكتب الوطنية أيضاً بيد أن المنية عاجلته ، فبيعت من بعده مع آلاف الصور لمدينة حلب وغيرها على الرغم من أنه حين أحسّ بدنو أجله وجّه كتاباً إلى محافظ حلب أحمد إسماعيل ورئيس بلديتها بتاريخ ٢٩ / ٥ / ١٩٧١ م جاء فيه : « لديّ مكتبة وطرائف فنيّة أهبها لبلادي والعالم تتخذ منها داراً تسمّى دار الأسدي »^(٢٦١).

^{٢٦٠} مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٠ وينظر : المعمار ، محمد صبحي : أعلام راحلون من جمعية العاديات ، ص ٢٦٦

^{٢٦١} - مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٠ .

حصل الأسدى على تعويض مادى بعد تركه التدريس فى معهد اللايك عام ١٩٥٦م بسبب احتراقه ، فاشترى بمبلغ التعويض النقدى أسهما فى شركة الغزل والنسيج لتكون له موردا ثابتا يعيش من أرباح تلك الأسهم . وفى عام ١٩٦٠م / ١٩٦١م صدر قرار جمهورى بتأميم شركة الغزل والنسيج وبذلك خسر الأسدى كل ما يملكه من أموال دفعة واحدة ، وكان رئيس الجمهورية وقتئذ أمين حافظ من طلابه وطلب منه أن يلغى قرار التأميم ووعده خيرا بأنه سيلغيه ، لكنه سرعان ما طار من الحكم وعزل وطارت المصاري ، كما أعفى محافظ حلب أيام الوحدة رفعت زريق من منصبه ، و كان هذا من أفسى الصدمات التى تلقاها الأسدى فى حياته والتى غرست الأسى والحزن والألم فى نفسه لمدة زمنية طويلة ، وقد صور ذلك فى لوحة شعبية من لوحات موسوعة حلب المقارنة وخاطب فيها نفسه بألم شديد مفجع .

وعندما اشتدّ به المرض وساءت حالته الصحية وتفاقم مرض داء السكري والخثرة الدموية لديه نقل إلى مستشفيات عدّة (فريشو والوطني والكلمة) ، حتى استقر فى المبرّة الإسلامية (دار العجزة) بجانب حيّ الأشرافية حيث منح غرفة صغيرة مستقلة ، كنا نزوره مع كثير من محبيه وأصدقائه وتلامذته ، وعلى الرغم من مرضه الشديد وسوء حالته ، كان دؤوبا على إنهاء مخطوطة موسوعة حلب المقارنة وإعادة النظر فيها ، وكان يناضل الموت ويبعده عنه حتى ينتهي عمله هذا ، ولطالما قال : ((اكسبونى قبل أن أموت))^{٢٦٢} ومن علو همة الأسدى وتواضعه وسمو نفسه ومعرفته لقيمتها أوصى أيضا قبيل وفاته بأن يكتب على قبره فقط اسمه (خير الدين الأسدى) يا للأسف ... حتى هذه العبارة لم ينلها الأسدى ، هرم حلب وحامل لواء تراثها وحاميه ، حيث روى أن حفار القبور حفر له حفرة بين قبرين وحين وجد أن العمق أصبح كافيا مدّد الجثة فى الحفرة وراح يهيل التراب فوقها^(٢٦٣) وهذه رواية قوامها التناقض ، فكيف يراه د. الشيط ممددا وتوفى على سريره ، ولم يخبر أحدا من أصدقائه أو من المسؤولين؟!!

لقد وافاه اليقين صباح ٢٩ / ١٢ / ١٩٧١م وحيدا ما من قريب حوله ولا صديق ، وحمله بيبك أب دفن الموتى من دون تابوت فى كيس قماش أبيض إلى مقبرة الصالحين من دون

^{٢٦٢} حجار ، عبدالله : جريدة الجماهير ، فضاءات ، السنة الأولى - العدد ٨/ الأثنين ٢٠١١/٦/٣ م ، ص ١١ .
^{٢٦٣} - ينظر : مجموعة من الأدباء : أدباء من حلب ، ص ٣٥ .

مشييعين ومن دون جنازة ، ولا أهل ولا أصدقاء ممّا حيرّ التربّي (حفار القبور) فما كان منه إلا أن ثقب خشخاشة رماه فيها كما روى لي بائع السوس في المقبرة ولا أحد يعلم أنه قد غسل وصلي عليه بعد وفاته أم لا ، وحين سأل نفر من أصدقائه بعد يومين التربّي عن قبره تجاهل مكان الدفن ، وقيل لي إن التربّي : قد باع الجثة لطلاب من كلية الطب بخمسة ليرة ، ولا غرابة في ذلك لأنّ التربّي قال لنفر من أصدقاء الأسدي الذين جاؤوا بعد أيام من وفاته : تسألون عن ميتكم الذي كان خفيفا مثل الريشة ، لقد وقفت متحيرا أين أدفنه ، فهو بلا قبرٍ ولا مشييعين . وضعتّه في زاوية المقبرة في خشخاشة بين قبرين .

هكذا حُمل الأسديّ إلى مثواه الأخير وحيداً غريباً ، وفي تربة حلب ، المدينة التي عشقها وخلّدها بمؤلفات ما خلّدت مدينة مثلها من قبل ، لم يجد فيها مساحة مترين تكون له قبراً تهدياً فيها عظامه . وفي حفل تأبينه قال خليل هنداي في كلمة اتحاد الكتّاب العرب : « حقّ أكلناه ، ولحم نهشناه ، واليوم جننا لنكرمه في مثواه »^(٢٦٤) . هكذا ودّعت حلب علامتها الأسدي ! « وهكذا شاءت أقدار أن تنفذ وصية الأسدي الزاهد في بهرج الدنيا، أن يدفن من غير احتفال أو جنازة ، فضاع جثمانه تحت التراب، تراب الوطن الذي أحبّه وأفنى حياته من أجله، كجندي مجهول سقط في معركة الشرف والفداء، في معركة الحياة »^(٢٦٥) . «^(٢٦٥) . يقول الأسدي : ((كنت وهبت دار الكتب الوطنية خزانتي ، فجردت القيم منها وضممته رأساً إلى خزانتها ، وأبقيت ما دون ذلك مما لا يمثل خزانتي . وحتى يومنا لم أفتح مسؤولاً في هذا الصدد .فلتكن هذه أيضاً في عداد مصائبك يا صاحبي الصبور)) ٢٦٦ الدلالة قد تختلف لكن الصيغة نفسها ، حين رفض رئيس بلدية حلب والمحافظ إعطاء ١٥٠ ل.س راتب شهري الذي حدّده له الشاعر عمر أبو ريشة لقاء إهدائه مكتبته إلى دار الكتب الوطنية بحلب لأنها بحاجة إلى موافقة رئيس مجلس الوزراء .

٢٦٤- جرى حفل تأبين الأسدي مساء يوم الجمعة في ٢٨ نيسان ١٩٧٢ م في دار الكتب الوطنية .

٢٦٥ - فنصة، بشير: من نوادر ومناقب المعلم خير الدين الأسدي، مقالة ضمن: مجلة العاديّات، حلب، عدد خاص عن تراث حلب غير المادي، الأسديّ وموسوعته، صيف ٢٠١١م، ص ٢٩.

٢٦٦ الأسدي م. خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مج ٤ ، ص ١٣

وهناك كتاب الرفض بيع مع المكتبة الثانية المكتبة التي اشتراها أ. حكمت هلال هي المكتبة الثانية أو الثالثة للأسدي ففي ٢٠ / ١٢ / ١٩٨١ م تفاوض حكمت هلال مع أحد أقارب الأسدي على شراء ٤ آلاف كتاب بالعربية والعثمانية والسريانية والعبرية وكثير من المعاجم و١٢ ألف صورة لكافة أنحاء القطر صور للمستشرقين التقطوها عن حلب هي اليوم في مركز التراث في دمشق^(٢٦٧) .

وقد كتب هاني الخير بجريدة البعث عن شراء ما عند الأسدي تاريخ ٢٢ / ١٢ / ١٩٨١ م (مكتبة العلامة الأسدي تباع بالمزاد العلني) وكتب (نداء جديد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه) ثم في ٤ / ١١ / ١٩٨٤ م وأجرى لقاء مع حكمت هلال وكتب في جريدة البعث مقالة بعنوان : (عودة ثانية إلى شراء وبيع مكتبة الأسدي) ، عرض هذه المكتبة على مجمع اللغة العربية الذي رفض شراءها بسبب عدم وجود ميزانية ، وأخيرا اشترى (متحف دمشق) المكتبة وبعض مقتنيات الأسدي تلك .

اكتنفت ثنائية اللذة والألم حياة الأسدي ، وكان حديثه عن السعادة والمسرة قليلا وكان مصدر ذلك - في الغالب - تضخم الأنا عنده ، وهذا ما أعلى من شأن اللذة والسعادة العقلية المرتبطة بالعلم والمعرفة وربطها بالألم ، ربما نسميه (ألم السعادة) وهو من باب الثنائيات المتناقضة القبيح والجميل كما يقال في علم الجمال . عاش الأسدي سعادته على قدرها وحيدا غريبا وقد رآها مرتبطة في قدرته على تحمل الآلام برضى تام وإصرار عجيب ؛ قال ألفرد دي موسيه في لياليه : لا شيء يجعلنا عظماء مثل ألم عظيم ، ومن هنا كان ثمن القنوع بالألم .

ومع أنه لم يكن بوسعه نسيان الألم والحزن الخفي والمعاناة اليومية أو التغافل عنهما مع أنهما من أهم منابع إبداعه الجم ولم يقفوا عائقا في مسيرة حياته .

وقد سعى الأسدي إلى التخفيف من حدة آلامه بوساطة الاندماج في الحياة الحلبية العامة فكان كثير المشاركة في الندوات واللقاءات الأدبية ، ولعل محبته الحقيقة لحلب وأهلها

٢٦٧- من حوار لي مع الاستاذ حكمت هلال في محاضرة مشتركة معه في مديرية الثقافة بحلب .

وسعيه الدؤوب لخدمتها كانت من مخففات حزنه التي ساعدته على تجاوز آلامه وأحزانه في أحيين كثيرة .

والحق يقال ، كان الأسدي عربي الشمال ، حلي الصفات تتمثل فيه الجرأة والحزم والفراسة والزهد في الحياة ، ولعل الإباء والاعتداد بالنفس والذوق السليم أخص مزاياه ، وكانت له أفكاره الجريئة التي يخشى غيره طرحها ، فلطالما دعا إلى العدالة الاجتماعية وحرية الرأي والسياسة .

تلك الصفات تفسر لنا عدم تسلمه مناصب حكومية على الرغم من إمكاناته الثقافية والعلمية .

ولجرأة الأسدي في طرح آرائه وأفكاره التي لم يألفها أبناء جيله أثر في تألب كثير من الحلبيين وغير الحلبيين عليه .

ولقد جازى كثير من الحلبيين الأسدي على إحسانه بالإساءة ، وطعن نفر منهم بسلوكة وأسأؤوا إلى سمعته ، وأخذ الأسدي في أواخر أيامه يستغيث وهو في (دار العجزة) بحي الأشرافية الذي ظل فيها مقطوعا لا يزوره فيها أحد إلا نخبة من المثقفين وأصدقائه المخلصين .

دفن الأسدي في مقبرة الصالحين في خشخاشة ، لم يحمل نعشه أحد ، ولم يودعه أحد ، ولم يسر وراءه أحد من علية القوم ولا من رجال الحكم أحد ، ولم يؤبَّنه أحد .

سرى نعيه في الوطن العربي ، وجزع الصحب المخلصون وهلعت قلوب المحبين ، وسرى الحزن في الصدور ، ولقد فقدنا بموته شخصية نادرة في الإبداع والإنتاج الأدبي ، وغاب علم في حلب الشهباء كان رمزا منذ مطلع القرن العشرين .

نحن الآن ، وكنا سابقا ، في قلوب واجفة وعيون دامعة عليه .

زمن صعب مأزوم زمن هذا الرجل العلامة ما بين ولادته ووفاته كانت تلك الصعوبة ، على الرغم ممّا صنعه في حياته ، فقد مات فقيرا و وحيدا موتا تراجيديا استغرق اكتشافه أياما ! مات وحيدا ومتوحدا في المبرة الإسلامية وفي نفحاته الصوفية ذهب بعيدا إلى حيث

يُجد صدى (ياليل) وصدى موسيقا (قبته) العالية العالية ... لعله يجد مدينته المعشوقة
عاشقة به فلا تنفيه من جديد

مهما تحدثنا عن الأسدي لا يمكن أن نفيه حقه ، سيظل الأسدي في الذاكرة ، نتمنى
الرحمة للأسدي ، وأعزي نفسي وإلى آخر لحظة من حياتي بفقدان العلامة الأسدي .
سنظل نستأنس بما ألف وبما سجل في إذاعة حلب ، يكفيك ما جادت به يمينك يا أسدي .
لقد خاطب الشيخ محمد جميل العقاد حلب خطاب عاشق لمحبوبته :

ذي حلب دار الأدب يا حبذا الدار حلب

كم من أديب أنبتت فيها لقد نال الرتب ٢٦٨

رحمك الله يا شيخ العقاد ، ها هو ذا الأسدي لم ينل من تلك الرتب شيئاً !

أسئلة محرقة تنتظر الجواب

عندما يتساءل المرء هل ثمة ملائكة في ثياب بشر؟!

قد تصعب الإجابة لأن البشر مزيج من الغرائز الحيوانية ، واللواعج الإنسانية والأشواق الإلهية ومن أراد منهم التصرف كملاك ينتهي ليتصرف كحيوان لأن تجاهل طبيعته الإنسانية التي هي ليست بالملاك ولا بالحيوان كما أشار (باسكال) المتصوف إليها .

وعلى هذا يظهر الناس أحيانا طبيعة الملائكة فيعبرون فيما بيننا كالنسيم، بالكاد يتركون أثرا لخطواتهم الرقيقة ، بالكاد نسمع لهم جلبة أو ضوضاء !!

شعرت مع العلامة الأسدي أني قريب من ملاك هادئ....قلبه نور، و إن اخترق الحزن قلبه مرات ومرات ؛ كان أولها طلاق والدته ثم وفاة والده ثم والدته ، وأخيرا خسارته لأسهمه في معمل النسيج !! كما نال الألم منه حين بترت كفه اليسرى، ومع ذلك لم ترتفع منه كلمة (آه ، آه ولا آخ ، آخ) وأكثر من ذلك فقد تطاول عليه نفر من أبناء حلب بإهانتته والسخرية منه ، ومع ذلك لم ترتفع منه كلمة شكوى أو تذمر . وعلى الرغم من هذه الإحباطات الهائلة التي حاقت به فقد أكب على عمله وبحوثه حتى أراق دم قلبه وأفنى آخر أربعين سنة من عمره في الجمع والتوثيق والتدوين للتراث اللامادي الحلبي في موسوعته الكبيرة ((موسوعة حلب المقارنة))

الأسدي ، م. خير الدين من الأعلام الذين أنجبتهم حلب الشهباء والعروبة الزهراء والصوفية السمحاء في العصر الحديث، فهو علامة محقق، وباحث مدقق، ومؤرخ موثق، ومترجم منمق، وأديب محلق، ومسألة الهوية ليست بالسؤال السهل، فالأسدي هو ابن الوطن العربي الكبير وابن الإسلام الخالد العظيم ، ومن يجد في هذا الكلام مبالغة أو مغالاة فليُنظر في نفعاته الصوفية أغاني القبة وفي موسوعة حلب المقارنة

هناك رابط حب بين الأسدي الإنسان وحلب المدينة ، وكان هذا هو الدافع وراء إنتاجه الأدبي الموسوعي والمحفز على استمراره في البحث والتقصي عن التراث الحلبي مدى الحياة.

ومن باب إبداء الرأي وإغناء البحث لابد من طرح جملة تساؤلات :

كثيرون أولئك الذين ضحو بحياتهم من أجل حلب - خصوصاً - وسورية - عموماً - ومن واجب كل أنسان غيور على مدينته ووطنه وأمه ومرتبب بذلك ارتباطاً جسدياً ووجدانياً أن يجمع التراث اللامادي ويصونه وهذا مافعله الأسدى الذى أحب حلب - أيما حب - وخذها فى موسوعته التى أفنى فى كتابتها ٤٠ سنة من عمره والتى اعتنى فيها بالمكان والزمان فى أن .

فقد توفى الأسدى يوم ٢٩ كانون الأول عام ١٩٧١م وحيدا ولم يخرج معه من المبرة الإسلامية فى حى الأشرفية بحلب التى قضى فيها أواخر أيام حياته أحد ، ولم يحضر وفاته أحد ، وأزعم أنه لم يصل عليه أحد ، ولم يلقنه أحد.

- أهكذا تودع حلب أبرز أعلامها الذين احتفوا بتراثها واهتموا بصونه وجمعه وحفظه ؟! حتى فى تحديد تاريخ وفاته هناك خلاف ، هل وافاه اليقين فى ٢٩ ك١ أو فى ٢٩ ك٢ ؟ وحتى الآن لم يبيت بهذه القضية ، هل هذا معقول فى مدينة قوامها حضارة لا تشيخ ؟!

وهل يمكننا أن نصدق ماروى عن صديقه وتلميذه الدكتور إحسان الشيطان أنه حين سأل عن الأسدى فى المبرة الإسلامية وفتح الغرفة ووجده ميتاً ، هل يعقل أن لا يتصل إحسان بزملائه وأحباء الأسدى ويخبرهم بذلك ؟!

لم يسلم الأسدى - شأنه شأن المؤيدين والمعارضين للتراث الشعبى - من النقد مع أنه أباح لنفسه التجوال فى عوالم التراث اللامادى الحبى مشرعا لما ينبغى فى الكتابة ولما لا ينبغى .

يعد الأسدى م. خير الدين - بحق - أول من صنف المآثورات الشعبىة العربية ، وله فضل السبق فى ذلك ، و نجد أناسا من خاصة الحلبيين وعامتهم يرون أن كلامه غريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حين يستعين بكلام غيره ويفزع إلى ما يوشح به كلامه ؛

من قول سائر ومثل نادر وحكمة منقولة وقصة عجيبة مأثورة وأما كلامه فسطور قليلة وألفاظ يسيرة .

- هل يعقل هذا بعد أن كتب وجمع هذا العلامة قرابة التسعة آلاف صفحة عن تراث حلب اللامادي في كتاب واحد سماه (موسوعة حلب المقارنة)؟!
وقد قيل إن هناك مخطوط فوات الموسوعة في الأدب المكشوف قد سلمت للدكتور خالد الماغوط عميد معهد التراث العلمي العربي عام ١٩٨٣ م ، أين هي الآن؟!

لابد من إثارة الحوار حول أغاني القبة وإبراز المحاور الأساسية للإبداع الصوفي عند الأسدي ولابد من مقارنته مع إبداعات الصوفيين القدامى والمحدثين من عرب وغير عرب !

- هل يمكن تصنيف الأسدي بين أعلام المتصوفة الذين نهلوا تصوفهم من حقائق الإسلام ومفاهيمه ؟

- ألا يمكننا أن ندرج أغاني القبة ضمن النصوص الصوفية الغنائية النثرية ؟
- أليس غريباً أن تصدر طوابع بريدية كندية في الذكرى الخامسة والأربعين لرحيل الأسدي في كندا ونحن في سوريا نتناساه ؟!

- من يصنع التاريخ ؟! أليس كبار أعلام الأدباء والعلماء ؟!
- ومدينة حلب ألم يكن فيها أمثال هؤلاء النجباء ؟!
- ألم يرقم الأسدي بهذه المهمة ؟!
- أليس الأدباء والكتاب والعلماء ضمير الأمة ووجدانها ؟! ومن المؤسف أن لاتعرف قيمة العظماء إلا بعد أن يختفوا من الحياة.

إنه العلامة الأسدي ، صاحب طاقة إيجابية ، جعل من تراث حلب مشروع نجم ، ومع ذلك ماذا قدمت له إزاء ما قدم لها ؟!

- هل يكفي أن نسمي شارعاً باسمه في موازاة سكة الحديد بالجميلية أو مدرسة في حي الصاخور ؟!

- أليس من الواجب علينا تصوير الفراغ الذي خلفه غياب الأسدي عنا ؟!

عاش الأُسدي في غمرة من الحيرة والتساؤلات وأمضى عمره باحثاً عن حقائق كبرى مادية ومعنوية، وعانى من القلق الروحي فضلا عن اضطرابه الحسي طوال حياته ، فهل اطمأن واستكان وتصالح مع المتناقضات ؟

- وهل ارتقى إلى مرتبة العارف المؤمن بأنه حين يموت يرحل خالي الوفاض من علائق الدنيا ولم ينل مراده؟!!

الأُسدي في عالميته وخصائصه وعمله يشبه (رسول حمزاتوف) وكتابه (بلدي داغستان) ولكن بعيدا عن الاختلافات الأسلوبية في القوالب الكتابية النهائية... هناك تقاطعات مدهشة بين الشخصيتين في شدة الأصالة ، وفي شدة العمق!!

غير أن للأُسدي تلك (العروبية) العميقة ، وتلك (الإسلامية) المتجذرة في تلافيف دماغه منذ ما قبل التاريخ..!

عرف العالم (رسول حمزاتوف) سفيرا لثقافة خصوصية و محلية جدا وسط المحيط السوفياتي الشاسع (سابقا)... لقد نقلنا إلى داغستان الغالية والجميلة... مثلما نقلنا إلى قريته الصغيرة جدا (تسادا) وقد جعلنا نحفظ اسمها!!

قلنا لقد عرف العالم الشاعر (رسول حمزاتوف) ...فهل عرف العالم أيضا الأُسدي ؟

إنه تساؤل مشروع جدا ، ولعل في الإجابة عليه مسؤوليتنا في توضيح هويتنا أمام العالم بتقديم هذا الرجل بمجده الذي لا يمحي، وجمالياته الفائقة وعمله الموسوعي ذي البعد العالمي العميق، موسوعته فيها، روح جديدة نسبة إلى زمان درس فيه الأُسدي العلوم الإسلامية التقليدية في المدرسة العثمانية، ولكن ، هل كانت موسوعة الأُسدي جديدة فقط؟؟ لا ، بل لعلها روح متمردة تسربت إليها كلمة (الشعب) لتعطينا إحياء مختلفا كانت رياحه بدأت تهب بقوة على العالم، لم يتحاش الأُسدي تلك الرياح ، بل ترك لها أن تعبره وترك لسراديه بعيدة الغور والإدهاش أن تخلق كائناتها الخاصة من ارتكاز إلى أقوى ما يمكن تصوره من العمل الشمولي الصابر الدؤوب، والعاشق!! ٢٦٩

لم يقدر جهود الأسدى أحد فى حىاته ، وقد أهمل الحلبىون الأسدى ، وقد أهملوا قبله المتنبى الذى حىن فرَّ إلى العراق قتلوه هناك ، وقتلوا عماد الدين النسىمى الذى أصله من أذربىجان ، وقبره بجوار القلعة . و تشبه حكاىة السهروردى فى حلب حكاىة النسىمى .

فقدنا الأسدى العلامة وبفقدته فقدت حلب رجل التراث ، رجل الأصالة ، رجل المبادئ السامى ، رجل الثبات على حب حلب وفى اللىلة الظلماء يفقد البدر ، لم يُضع وقته هدرا وعبثا ، بل واطب لىل نهار على جمع التراث الحلبى الرسمى والشعبى ، كان محط إعجاب قلوب كل من عرفوه ، لم يتخذ العلم مصدرا لجمع المال عاش فقيرا ومات فقيرا .

- ألا يستحق الأسدى مجلس عزاء؟! شىء يفنت الكبد ويمزق القلب .
- ألم ىثبت مقدره فائقة وعجائبية على مدى ٥٠ سنة فى البتعلیم والبحث والتألیف.
- ألم نستفد كلنا من آرائه وأبحاثه ومؤلفاته؟!!

فقدت حلب الأسدى كما فقدت أمثاله... فهل ىأتى من ىسد الفراغ التراثى الذى تركه نبراس أباء حلب ، الأسدى تلك الشىخصىة الفذة التى أحبها العامة والخاصة؟! لا زالت ذكرى الأسدى تتردد على ألسنة عارفیه و غیر عارفیه ؛ فالعمل النبیل الطیب یعززه الزمان ولا ىمحوه .

- ما سر هذا الرجل العلامة؟! وما سر هذه الشىخصىة المبدعة؟! وكيف دخل قلوبنا؟! لأنه ىا ترى باحث بعید عن السىياسة والتملق والبهرجة والادعاء؟!!
- هل ىحتفظ أرشیف إذاعة حلب أو الإذاعة السورىة بما قدمه الأسدى من مداخلات وإجابات عن تساؤلات؟!!

مع كل ما حاق بالأسدى ، فقد منحه الله حب الناس ، فذكراه تتناقلها الأجىال وهل هناك من ىسمع ذكراه ألا وىترحم علیه؟!!

- ألىس من حقنا أن نمدن غىاب الأسدى من دون اعتبار لإنصافه؟!!
- ألىس من حق حلب أن تفتخر بالأسدى وأمثاله من الأعلام؟!!

إن الأمة العظيمة هي التي تقدر قيمة علمائها في حياتهم ثم تخلد ذكراهم بعد وفاتهم ، أما أن يكرمواهم بعد وفاتهم بنصب تذكارية أو أوسمة فخرية فهي مؤشرات لا تذكر بالخير وفيها وجهة نظر؟!!

نسبة الحفاظ على التراث المادي ولاسيما العمارة التراثية في حلب من أعلى النسب في العالم ،

- فلماذا لا يكون للتراث اللامادي الشفوي ذلك الاهتمام؟!!
- كيف يكتمل التراث الشعبي في حلب مع مثيله السوري العربي؟! وهذا من باب التماثل وليس من باب الاختلاف والتمايز
- كيف نتعامل مع معطيات التراث من جهه، ومع عصرنا الراهن وطموحاته من جهه أخرى؟!!

هناك أسئلة نتمنى أن نجيب عنها في هذا العصر المأزوم الذي نعيش في رحابه؟!!

توصيات ومقترحات :

التراث منظومة قيم ، وهو نقل الخبرة من جيل إلى جيل ، وليس رجوعا إلى ما كان يورث فحسب ، وإذا أهملنا التراث غدونا أمة لا تعرف الأصالة ، لذلك لابد من الإشادة بما في تراثنا من قيم إيجابية نحافظ عليها وندعو للتمسك بها أو سلبية نعالج بواعثها من دون زيادة أو نقصان .

من الواجب علينا تشجيع الأجيال الصاعدة ، نواة المثقفين في الوطن ، على اقتفاء تراث الآباء والأجداد وحثها على جمع التراث اللامادي الحلبي مدينة وريفا وتوثيقه وحفظه وصونه من الضياع والنسيان ومن ثم دراسته وإجراء المقارنات مع المحافظات السورية الأخرى ومن ثم إجراء المقارنات مع الأقطار العربية عموما فضلا عن مناظرته من التراث اللامادي العالمي لنقل المعرفة وإغنائها وفق خطط اليونسكو (٢٧٠) .

إن هدف جائزة الأسدى التشجيع على الإنتاج الأدبي والثقافي من جهة وجمع التراث اللامادي وصونه ودراسته ليرثه الأبناء عن الآباء والأجداد شكلا ومضمونا ؛ وحرصا مني للحفاظ على مصداقية مسابقة جائزة الأسدى السنوية التي يجب أن تمنح كل عام ، وبناء على طلب من أصدقائي في جمعية العاديات وحرصا مني على ألا تحجب هذا العام لعدم التقدم إليها ، قررت المشاركة في كتابي هذا الذي حاولت فيه - قدر المستطاع - كشف طرف من جوانب حياة الأسدى وإرثه الثقافي التراثي ، وكلي أمل أن أتقدم بعمل علمي أصيل حول تراث مدينة حلب اللامادي وأن تكون كل جائزة أكثر أهمية وتنوعا من سابقتها .

ويروق لي في هذا المقام - وهو واجب علي - أن أتقدم في نهاية بحثي هذا بجملة مقترحات وتوصيات إلى المؤسسات الرسمية والجمعيات الأهلية ؛

• كيف ستكون الخطوة الأولى والخطوات التالية لجمع هذا التراث اللامادي و صونه؟!!

٢٧٠- ينظر الملحق رقم /٧/ اتفاقية اليونسكو لحفظ التراث اللامادي ، التي حضرت لها في المغرب ثم الجزائر ، وقد وقعت عليها أكثر من ١٢٠ دولة من أصل ١٣٠ تتطلع إلى التوقيع عليها، وكانت سورية متواجدة فغي أول عامين من بداية هذه الاتفاقية التي صدرت عام ٢٠٠٣م والمرتبقة لمدة زمنية طويلة، منذ عام ١٩٧٢م ، وكانت سورية من أوائل الموقعين عليها وهدفها تعزيز السلام العالمي ، وهذا جزء من مهمة اليونسكو الأساسية.

- لا بد من إنشاء أقسام وثائقية في المكتبات الوطنية لحفظ مواد التراث الشعبي و مآثوراته ومختلف المعلومات والتسجيلات بطرائق علمية وفنية .
- لا بد من إعداد سجلات وقوائم حصر وأرشفيات وأطالس لحصر هذا التراث اللامادي ، وعمل دليل للمفردات والتعابير الشعبية ليسهل على الباحثين العودة إليها ودراستها وتحليلها، وتوثيقها هو الطريقة الفضلى بعد إعداد القوائم.
- لا بد من ربط التراث المادي الحلي بالتراث اللامادي واستمرار الارتباط بينهما ، فبعض معالم التراث اللامادي تتواصل مع المادي من التراث، ولا يمكن الحديث عن التراث المادي بمعزل عن اللامادي، فندر أن نشأ تراث لامادي بعيداً عن المادي، وكثيرة هي المآثورات الشعبية من حكم وأمثال التي نشأت بفعل ما هو مادي، فالترابط حاصل بين التراث المادي واللامادي.
- لا بد من التصنيف الوطني العام للتراث اللامادي بمختلف أجناسه وإعادة خلقه، وتفاعله مع الجيران وتكامله مع التراث اللامادي المحلي والسعي لتفعيله واستدامته في ظروف الحياة الحديثة.
- لا بد من ضبط معايير ومصطلحات التراث اللامادي وتوحيدها وتوضيح المطلوب، وتعزيز مصداقيته وتطويره. والمهم أن يكون هناك رؤية شاملة حول التراث اللامادي.
- لا بد من توصية أصحاب القرار للحفاظ على التراث اللامادي وجعله حياً لأنه أهم معايير جمعه أن يكون حياً ليحفظ ويدرس ويحقق وظيفته الاجتماعية، لذلك علينا أن نذكر هل هذا العنصر مهدد بالاندثار أم لا؟!!
- لا بد من إعداد فهارس للغات التي قارن الأسدي مفردات اللهجة الحلبية بها ، وإعادتها إلى لجان ، لجنة سريانية ، لجنة آرامية ، لجنة سنسكريتية .
- لا بد من احترام التراث لأنه من احترام الإنسان البسيط الذي يحمله ولا سيما كبار السن الذين يجب مراجعتهم وسؤالهم ، هل هذه العناصر التراثية صحيحة؟! وستكون الأجيال القادمة فرحة ومسورة بما جمعه الأجداد عن تراثهم ، ولا بد من تحديد مجالات التراث اللامادي الذي يولد معنا وتبيان عناصره المهددة بالزوال حتى نصونها.

- - عموماً - لا بد من إنشاء لجنة لتحقيق الموسوعة ودعم موادها ، وتأسيس هيئة أهلية لها شخصية اعتبارية تؤمن مصادر ومعاجم اللغات المختلفة لتوثيق مواد الموسوعة ، ثم تأمين فريق عمل من المختصين لتوثيق الكلام في الموسوعة .
- ضروري جداً التركيز على التدريب الكافي للأفراد والمؤسسات وتوفير الظروف التي تسمح لهم بجمع التراث وتدوينه وصونه ونقله لأنه وبالأسف غير متوافر وذلك بتغطيه مالية وتقنية للمشتغلين في مجال التراث اللامادي، فضلا عن حماية الأشخاص الذين يحملونه.
- المجتمع المعني بحماية التراث هو الذي يحتاج إلى التحقق من قابلية هذا التراث اللامادي للحياة، ويسعى لنقله للأجيال القادمة لأنه أمر يهمهم، والمهم هو التركيز على العناصر الثقافية والأخلاقية التي أكثر جاذبية وإيجابية من غيرها ، ودعمها والسعي إلى دوام إستمراريتها.
- لا بد من عرض توثيقات من التراث اللامادي في المتاحف والمعارض وصالات مديريات الثقافة والجامعات ، ولا بد من أن تطور أنفسنا أكثر فأكثر في هذا المجال.
- ما دام الهدف من جائزة الأسدى هو البحث العلمي ونشر الثقافة الشعبية وإحياء تراث حلب اللامادي الذي يعاني من مشكلات خطيرة نخشى عليه من التشويه والعبث والضياع ، فلا بد من تشجيع الباحثين على القيام بجمع ما يستطيعون جمعه من التراث اللامادي الحلبي بدءاً من الوظائف المنزلية لطلاب المرحلة الثانوية إلى حلقات البحث في كليات الجامعة إلى شعب التراث في المراكز الثقافية الخ.
- من المفيد لجائزة الأسدى في جمعية العاديات بكندا التواصل مع جمعية العاديات في سورية ، والاتصال بمراكز البحوث وبمعهد التراث العلمي وبالمهتمين بالتراث الشعبي والمشتغلين عليه من العرب والمستشرقين الأجانب في الجامعات السورية الحكومية والخاصة ومديريات الإعلام والصحافة .
- أمر حضاري وإنساني رائع أن يكون هناك صفحة للأسدي م. خير الدين علامة حلب / على شبكات التواصل الاجتماعي على الفيسبوك مغلقة عمرها عشر سنوات ومدراؤها /١١/ عضوا ، وهي مبادرة طيبة من المغتربين السوريين في كندا ،

المنتمين إلى تراث أمتهم^(٢٧١). وجميل جدا وأمر لافت النظر أن يكون في كندا منذ عام ٢٠٠٥ م برنامج إذاعي سوري ((ليالي يا مال الشام في مونتريال)) وموقع ((يا شام)) على الإنترنت www.yacham.com وموقع جمعية العاديات في بحلب www.aladyat.com وكلنا أمل أن يكون في بلاد الاغتراب كلها هكذا جمعيات وأنشطة تربط المغتربين بحلب .

- لا بد من تعزيز أواصر الصداقة والمودة بين أعضاء جمعيات العاديات المحلية ضمن القطر العربي السوري وبين جمعية العاديات في كندا أو غيرها من الفعاليات الانتمائية ، فضلا عن تبادل الآراء والاقتراحات فيما بينهم حول أفضل السبل والآليات لتطوير مسابقة جائزة الأسدى وتوسيع آفاقها .
- ومن الواجب علينا أن نشارك في إنجاز جائزة الأسدى لوثيق التراث ، هذه المبادرة الثقافية الراقية ، وهذا العمل التطوعي بامتياز ، المشجع لأبناء حلب على توثيق تراث الوطن والتي تدل على تعلق الحلبيين في بلاد الاغتراب بمدنيتهم وإجلالهم لأعلامها ، فقلوبهم وأفكارهم مع حلب وأهلها .
- اقتراح إشراك الجامعات الرسمية والخاصة في جمع التراث و تشمل المناهج الدراسية الجامعية وما قبلها معلومات تراثية ترمي إلى تذوقه والإحساس بجمالياته من أجل ربط الماضي بالحاضر.
- تشجيع التأليف في التراث الشعبي ونشر الدراسات حوله وتجاوز معوقات جمعه.
- اقتراح إنشاء مكتبة تراثية في كل محافظة.
- الاستفادة من آفاق نظم المعلومات والاتصالات وقواعد البيانات والأقراص المدمجة الحديثة وشبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني والتصوير الرقمي في الدراسات التراثية
- لا بد من رفع الوعي التراثي من خلال وسائل الإعلام ، من إذاعة وتلفاز بإلقاء الضوء على التراث اللامادي ونقله ببساطة إلى الآخرين فضلاً عن الصحف والمجلات، لأنه من الواجب علينا أن نحمي التراث، ولا بد من غرس توجهات تراثية.

٢٧١- هناك ٧ إلى ٨ ملايين مهاجر عربي في أمريكا الشمالية ومثلهم في أمريكا الجنوبية من حقهم أن يمارسو لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم وأعرافهم التراثية.

- الاستفادة من مناهج العمل الميداني العلمية لجمع التراث وتوثيقه وتصنيفه وحفظه ودراسته وتحليله وإعادة إحياء عناصره عن طريق سمعي أو كتابي.
- لا بد من أن تطور أنفسنا أكثر فأكثر عن طريق الاتصال بأكبر عدد ممكن من الجامعيين الهواة للتراث والتنسيق معهم والاستفادة مما بين أيديهم .
- إقامة المهرجانات والندوات السنوية والمؤتمرات المحلية والعربية والدولية وورشات العمل حول التراث اللامادي الحلبي في المؤسسات الرسمية أو الخاصة للدعوة إلى الحفاظ على وجدان الشعوب من خلال فنونها الشعبية باعتبار ذلك واجبا وطنيا وقوميا .
- السعي إلى حصر الثقافة التراثية الشفوية في حلب - خصوصا - وفي سورية - عموماً - وتحديد العناصر التي تحتاج إلى صون سريع ، وإبراز آلياتها عن طريقة مشاركة الأطراف المعنية ، من وزارات (تربيته ، تعليم عالي ، ثقافة ، إعلام ، جمعيات أهلية وجماعات منتجة للتراث الشعبي اللامادي).
- السعي لجعل مساق التراث الشعبي ضمن مناهج التربية باعتماد مادة (الأدب الشعبي) كمقرر دراسي .
- علينا أن نكون واقعيين ، نحن نعيش في عالم منفتح فيه عولمة ، وسلبياته كثيرة، فالأطفال والبالغون يجذبهم التلفاز ويتأثرون بما فيه من مسلسلات معلومة خطيرة ، في حين كانوا قبل ذلك على تواصل مع أجدادهم حماة التراث وحامليه، ومن المؤسف أن العزلة عن التراث قد ازدادت راهناً بعد ظهور تقنيات الشبكة إلى حد مؤلم ومؤسف.
- تحسين ظروف باحثي التراث الشعبي عن طريق الاتصال بهم وتبيين دورهم وتأمين مستلزمات أعمالهم وموادهم الأولية من البيئة المحلية والسعي لتأمين المستقبل لهم .
- إقامة مؤسسات بحثية لتوثيق المآثورات الشعبية والتأريخ لنشأتها وتطوراتها وأدواتها ومراحل الإنتاج واستخدام التقنيات الحديثة في جمعها وتصنيفها كتابة وتصويرا ورسما لزخارفهم وتسجيلا لمآثورات العامة وعباراتهم ورموزهم ومصطلحاتهم المتداولة وأخلاقياتهم وأعرافهم وتصنيفها بوساطة بيانات وجداول إحصائية وتحليلها وتقويمها لاستخراج معايير الجمال فيها وتدوقها واستلها عناصر الجودة وتقويمها والإبداع فيها .

- تدعيم مشاركة المرأة في صون التراث اللامادي وتوثيقه سواء أكانت داخل المنزل أم خارجه وتلبية احتياجاتها تعليميا وتدريبيا وإعدادا وتشجيعيا .
- إن ما أعطته حلب للأسدي قليل جدا ولا يليق بحلب أم الحضارات ، وأقترح الآن أن يقام له نصب تذكاري أو مقام أو أن يكرم في مناسبات ثقافية وتراثية سنوية، وأن تشجع الجهات المختصة إجراء دراسات عن إبداعاته، وأن تشجع الجهات المختصة إجراء دراسات على إبداعاته، فالأمم التي تعرف مقام عظمائها وأعلامها تكرمهم.

الخاتمة

وفي الختام أفضل الصلاة وأتم التسليم على رسول الله أما بعد :

فقد أنهيت بعون الله تعالى بحثي هذا الذي خصصته للحديث عن العلامة الجليل الأسدي م. خير الدين وجهوده العلمية والأدبية في سبيل الحفاظ على التراث اللامادي الحلبي. وأما عن سبب اختياري لهذا الموضوع فإنما يعود لما رأيت من الظلم والقسوة التي تعرض لها في أثناء حياته وهو الذي قدّم ما قدّم وأغنى المكتبة العربية عامة والحلبية خاصة بأنفس الكتب وأجمل الموضوعات، بأسلوبه الراقي والمميز الذي دفع القراء للقراءة والاستزادة شيئاً فشيئاً ومن آثاره المنشورة هنا وهناك التي في انتظار من يعطيها حقها ويعرف قدرها لعلّي أرد له شيئاً من حقه الضائع ، راجياً من الله تعالى أن أكون قد وفقت في اختيار خطواتي وطريقة تنسيقها وعرضها .

كرس الأسدي حياته لجمع التراث اللامادي الحلبي وتوثيقه وصونه ودراسته ومقارنة كثير من مفرداته وتعابيره مع مثيلاتها في اللغات القديمة والأجنبية أحيانا ، وقد سبق في عمله الأدبي والتراثي (موسوعة حلب المقارنة) منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في مجال التراث اللامادي بعدة قرون من الزمن ، وهذا أمر له خصوصيته ، ويحسب لهذا العلامة المبدع .

إن غياب الأسدي عن الأماكن التراثية في حلب يفرغها من أية قيمة ويصعب علينا أن نتصور مكانا لا يملؤه .

كثيرة هي الأماكن التي كان الأسدي يملؤها حضورا عادت قفرا يبابا بعد رحيله ، فحلب القديمة الواسعة المفعمة بالحب غدت اليوم ضيقة خانقة ، وكثيرة هي الأماكن التي تشتكي للأسدي من وجعها ، والتي كان يشغلها ويرتادها .

ومع ذلك لايزال حضوره في كثير من الحارات والأسواق والحدائق والمقاهي حتى ولو غاب عنها .

أشار نفر من الذواقَة الأدباء والنقاد إلى أن أغاني القبة إنما هي أغاني قبة السماء أو قبة التصوف أو قبة الشيرازي . والحق يقال: إنها حلب قبة الأَسدي التي تستحق هذا العشق .

إن الأمة التي لا تصون تراثها لا تحفظ مستقبلها ، فقد بدأ الصراع بين التراث والمعاصرة منذ منتصف القرن التاسع عشر .

ويبقى التراث العربي المتناغم مع الحضارة الإسلامية بأشكاله المادية واللامادية خير ممثل للتراث الإنساني - عموماً - . ولتبقى حلب الشهباء حصناً منيعاً لتراثنا المادي واللامادي أبد الدهر .

قد تكون لي تجربة خاصة في جمع التراث اللامادي الحلبي وتدوينه، وقد يكون لي أسلوبِي الشخصي في البحث والدراسة لكن ما غاب الأَسدي عني ولا غبت عنه ، طيلة وجودي في حلب كنت ألتقيه مع زملائي نبدي له محبتنا وإعجابنا بهمته في تتبع كل ما حول حلب من تراث مادي وغير مادي .

رحم الله ثراه نزار قباني حين قال :

((يبقى الأديب العربي صامتا بانتظار حفلة تأبينه ، فحفلات التأبين هي المناسبة الذهبية التي يجلس فيها النقاد على قبر الشاعر كي يلعبوا الورق ... وأنا طبعا لن أسمح لأحد أن يلعب الورق على قبوري ، لأنني أريد أن أشارك في اللعبة ...))^{٢٧٢}

والحق يقال : إن فقدان أمثال هذا العلامة المبدع المحب لحلب والذي أفنى عمره في السعي للحفاظ على تراثها اللامادي أمر صعب وشاق وعزيز في هذا الزمان المأزوم ، على أية حال يبقى الأَسدي في ذاكرة حلب رمزا من رموزها الأجلاء .

لم تدرس جوانب التراث الشعبي اللامادي كلها بعد ، ولم تدرس الدرس الواجب الجاد لهذا التراث المستمر شكلا و موضوعا ، والمنصهر فينا وجوديا والذي يحيينا ويعزز تكويننا ويكسبنا نسبا له .

^{٢٧٢} قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ج٧ ، ص١٩٧

وقد تكون دراستي للأدب الشعبي دراسة متحيزة ، ولا أخجل من ذلك ، لأنني لا أستطيع فهم عوالم حلب من دون ذلك ، فضلا عن سعيي لتأصيل ما فيه من قيم تخدم حاضرنا وتضيء مستقبلنا

قال الفيلسوف الألماني نيتشه : ((الذي يحدد عن التراث يكون عرضة للاستثناء ، والذي يلتزم به يصير عبدا له ، والمرء في كلتا الحالتين يمضي إلى هلاكه))^{٢٧٣}

وقال فونتنيل : "بمواصلتنا أعمال العظماء بجدارة نمد في حياتهم " ، ومن الأقوال الفرنسية المأثورة : "العظماء هم وحدهم الذين يحق لهم أن يخطئوا" ، وقول نابليون الأول (١٧٦٩-١٨٢١)م : "العظماء نيازك مقدر لها أن تحترق لتتير الأرض"^{٢٧٤}

ولهذا امتزجتُ بالتراث الشعبي وامتزج بي ، وكلي لا يمضي هذا التراث ، وأنا معه ، إلى الهلاك اشتغلت عليه جمعا وتوثيقا ودراسة .

قال الجاحظ في ختام (قصة ما كان من أبي مازن إلى جبل القمر) في كتابه البخلاء ((وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنا ، أو كلاما غير معرب ، ولفظا معدولا عن جهته ، فاعلموا أننا إنما تركنا ذلك ، لأن الإعراب ينغص هذا الباب ، ويخرجه من حد . إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء ، وأشحاء العلماء ، كسهل بن هارون وأشباهه))^{٢٧٥}

-عموما- إن ((الدعوة للأدب الشعبي خير من الدعوة لإفساد اللغة الفصحى بالعامي والمبتذل))^{٢٧٦} ومن الضروري في هذا العصر أن نقف عند العامي المتخير وحده بعيدا عن المبتذل منه .

لقد أكرم الله حلب المحروسة بأدباء وعلماء وأعلام فعالين وهبوا حياتهم ونذروا شبابهم لصون تراثها ولتعميق أصالتها ، من أمثال الأسدي الذي ما ارتوت نفسه من طوفان المعارف ، لقد كان الأسدي باحثا سيارا في حلب بوصفها معلما من معالم التراث المادي وفي مجتمعها المبدع للتراث اللامادي ، وأنا على ما يشبه اليقين أن من أهم دوافع إبداعات

^{٢٧٣} نيتشه ، فريديريك : إنسان مفرط في إنسانيته ، تر : محمد الناجي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢٤
^{٢٧٤} شيخاني ، سمير : قاموس الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، دار عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ٣١٠ .
^{٢٧٥} الجاحظ : البخلاء ، ج ١ ، ص ٧٨
^{٢٧٦} الأمين ، عز الدين : نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر ، دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٧١م ، ص ٥٧

الأسدي في مؤلفاته كان وراءه رابط الحب الذي جمع بين الأسدي الإنسان وحلب مدينة الحضارة عبر الزمن .

والتراث في كل شعوب الدنيا يكتسب الأصالة والاستمرار ، فلا يشترط فيه أن يكون خالقه من ذلك العشب بذاته. فالعلوم والحضارات كلها موروثة ، وكذلك العادات والأخلاق . فناقل عن ناقل ، ومقلد عن مقلد ، من مشرق الدنيا إلى مغربها^{٢٧٧}

وكلي أمل أن يسامحني القارئ الكريم على تكرار بعض الآراء والأفكار والأقوال مما شكل عبئا على البحث انطلاقا من قناعاتي بأن النص ملك القارئ وإن كان الكاتب حيا .

لعلي في هذه الخاتمة قد توصلت إلى نقاط تخفف من وطأة التكرار الذي في بعض صفحات الكتاب، وقد أكثرت من الاقتباسات والإحالات والحواشي والملاحق حرصا مني على العلمية الحقة، ولكي يرقى البحث وحتى لا يختلط مالي وما لغيري من آراء ووجهات نظر لذا سعيت إلى التوثيق الدقيق من المراجع والمصادر ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

هنا نختم حديثنا عن العلامة المرحوم الأستاذ محمد خير الدين الأسدي بالانحناء لعلمه ونبوغه ولعبقريته ومحصلة جهده ، بعدما كشفت موسوعته الجانب الذي لو عرفناه وهو حي إذن لكان شأننا معه غير الذي وصفناه، ولغدونا جميعا مريدين له ومساعدين ، بل جنودا مخلصين في معركته التي انتزع من رحابها تاجا من تيجان الرعيل الأول من الباحثين والمؤلفين العرب ، الذين أقاموا نهضة عالمية بما قدموه لشعوب الأرض من تراث وعلوم وفنون وصناعات .

والله نسأل أن يغمر علامتنا بعفوه ورضوانه ، وأن يجعله في خير مكان من رياض الجنة كما هو الآن في خير مكان من جنات الآداب والعلوم والفنون والتراث اللامادي المحلي العالمي .

^{٢٧٧} الكواكبي ، سعد زغول : ذكريات من ماضي حلب ، منشورات نادي السيارات والسياحة السوري ، حلب ٢٠٠٩م ، ص ٢٤١

ملخص باللغة الإنكليزية

Abstract

A synopsis of my book: *In Memory of Khair al-Din Al-Asadi*,

This book had been conducted on the life and works of Khair al-Din Al-Asadi—his biography, and valuable works, especially his *Aghani al-Qumma* (top songs) and *Nafahaat Sufiyah* (sophistic fragrances) (١٩٥٠) and *Aleppo Comparative Encyclopedia* which was published in ١٩٨٨. This last book was published in ١٩٨١, it embodies Al-Asadi's advanced thoughts and visons of Aleppo materialistic and non-materialistic heritage, alongside his implications of the Syrian folklore.

In this book I tried my efforts to give this great innovative his due, especially that we know that he struggled to give his city of Aleppo what befits its status despite the mundane situations he was passing through, almost throughout his life. In the introduction I gave full account of the author's life and biography, especially that I have personally known him. In the second chapter of the book I talked about the most important social and psychological circumstances that contributed to the formation of his character, especially his travels inside and outside of Syria. In the third chapter, I studied his mental and cultural production as presented in his publications. In chapter four, I talked about Al-Asadi's adversities and misfortunes, whereby I tried to answer a plethora of unanswered questions. I concluded the book with suggestions and recommendations, a list of references for further reading, as well as appendices pertaining this great author.

Professor Mohammad Hasan Abdul-Mohsen

Arabic Department

Faculty of Arts, Aleppo University, Syria.

ثبت المصادر والمراجع والدوريات

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

١. الأسدي ، محمد خير الدين : قواعد الكتابة العربية ، المطبعة العلمية بحلب ، ١٩٥٢م.
٢. الأسدي ، محمد خير الدين : البيان والبديع، وضع وتوصيف ، مطبعة العصر الجديد بحلب ، ١٩٣٦م.
٣. الأسدي ، م. خير الدين : أغاني القبة (نفحات صوفية) ، مطبعة الضاد ، حلب ، ١٩٥٠ م .
٤. الأسدي، خير الدين: ديوان أغاني القبة، شرحه وضبطه بالشكل وقدم له: جميل منصور، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٧م.
٥. الأسدي ، محمد خير الدين : حلب الجانب اللغوي من الكلمة، مطبعة الضاد بحلب ١٩٥٩م.
٦. الأسدي ، محمد خير الدين : حلب مقالة لغوية ، مطبعة النهضة ، بلا ، ١٩٤٠م.
٧. الأسدي ، محمد خير الدين : يا ليل، دراسة ، مطبعة الضاد بحلب ١٩٥٧م.
٨. الأسدي ، محمد خير الدين : أحياء حلب وأسواقها ، حققه وزاد عليه : عبد الفتاح قلعة جي، وزارة الثقافة، دمشق، ط ٢ ، ٢٠٠٦م.
٩. الأسدي محمد خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، مطبعة جامعة حلب ، ٧ مجلدات ، ١٩٨١م – ١٩٨٨م.
١٠. الجاحظ ، أبو عمرو بن بحر :
- البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩م
- البخلاء ، تح : عبدالسلام هارون ، ٧ مجلدات ، بلا ، القاهرة ، ١٩٤٥م.

١١. الزوزني ، أبو عبد الله الحسن : شرح المعلقات السبع ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ بلا .
١٢. ابن فارس ، أحمد : - معجم مقاييس اللغة ، بيروت ، بلا ، د تا .
- مجمل اللغة : تح : زهير عبد الحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م.
١٣. ابن الفارض:
- ديوان ابن الفارض، تحقيق: د. عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.
- ديوان ابن الفارض، المهرجان الوطني لفنّ المديح والسماع بفاس، مطبعة البلابل بفاس، د.ت.
١٤. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : معجم العين ، ج ٨ ،
١٥. ابن منظور : لسان العرب ، ١٥ ج ، دار صادر بيروت ١٤١٤ هـ.

ثانيًا : المراجع

- ١- إسحاقيان ، أويديك : عروج أبي العلاء ، قصيدة شعر ، تر: محمد خير الدين الأسدي وبارسيخ تشاتويان، مطبعة الضاد بحلب ، ١٩٤٠م.
- ٢- الأمين ، عز الدين : نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٩٧١م .
- ٣- بغداد ، د. عبد المنعم : الماء في التراث العربي والإسلامي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٦م .
- ٤- الحسنويّ، محمّد: الفاصلة في القرآن، دار عمّار، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ٥- الحفني، د. عبد المنعم: الموسوعة الصوفيّة أعلام التّصوّف والمنكرين عليه والطرق الصوفيّة، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٦- حلمي، د. محمّد مصطفى: ابن الفارض والحبّ الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٧- خورشيد ، فاروق : أضواء على السيرة الشعبية ، بيروت ، بلا د. تا .

٨- الخوري ، لطفي :

- علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة ببغداد ، ١٩٧٧م.

- مدخل إلى البحث الميداني في الفلكلور ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .
١٩٨٦م.

٩- دوغان ، أحمد : معجم أدباء حلب ، دار الثريا ، سورية ، حلب ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

١٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

١٢- سرحان ، نمر : إحياء التراث الشعبي ، دار ميلاد ، الأردن ، بلا د. تا .

١٣- شيخاني ، سمير : قاموس الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، دار عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧م.

١٤- عبد المحسن ، محمد حسن :

- مآثورات الأدب الشعبي في حلب ، توثيق وتدوني ، رسالة دبلوم دراسات أدبية ، بإشراف د. بكري شيخ أمين و د. وهيب طنوس، كلية اداب جامعة حلب ، ١٩٧٧م.

- الأدب الشعبي الحلبي في موسوعة حلب المقارنة للأسدي ، دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير ، بإشراف د. عمر الدقاق و د. فؤاد المرعي ، كلية اداب جامعة حلب ، ١٩٨٢م.

- الأدب الشعبي في حلب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٤ م .

- إرهابات شعر التفعيلة وقضاياها الفنية ، دار شراع حلب ، ط ٢ ، ٢٠١٧م .

١٥- العجم، د. رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.

١٦- العقاد ، محمد راتب : محمد جميل العقاد سيرة ومواقف ، مطبعة السريان ، حلب ، ٢٠٠٨م .

١٧- العقاد ، محمد جميل : ديوانه ، تح محمد عدنان كاتبي ، مراجعة د. عصام قصبجي ، فصلت للنشر ، حلب ، ٢٠٠٣م .

- ١٨- العلاق، د. علي جعفر: الشعر والتلقّي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، الإصدار الأوّل، ١٩٩٧م.
- ١٩- العنتيل، فوزي: الفلكلور ماهو؟، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٢٠- عياش، عبد القادر: معجم المؤلفين السوريين، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٢١- الغادري، فيض الله، حلب لؤلؤة التاريخ ودرة بلاد الشام، اصدار خاص، بلا، ١٩٩٣م.
- ٢٢- غربية، أحمد محمد: التناصّ القرآنيّ في الشعر السوريّ الحديث بين عامي ١٩٠٠-١٩٥٠م، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد حسن عبد المحسن، جامعة حلب، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- ٢٣- قباني، نزار.
- ١٣- الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، د.تا.
- ١٤- ماهو الشعر، منشورات نزار قباني، بيروت، بلا د.تا.
- ٢٤- قلعه جي، عبد الفتاح رواس: العلامة خير الدين الأسدي، حياته وآثاره، مطابع الإدارة السياسيّة في الجيش، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٢٥- مجموعة من الأدباء: أدباء من حلب، دار الثريا، سورية، حلب، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٢٦- نزار، حسين: الشعر الشعبي العربي، بلا، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٢٧- نيتشه، فريديريك: إنسان مفرط في أنانيته، تر: محمد الناجي، أفريقيّا الشوق، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨م.
- ٢٨- وتار، درياض: توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
- ٢٩- ياسوف، د. أحمد: جماليّات المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم: نور الدين عتر، دار المكتبي، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

ثالثاً : الدوريات

١. حجار ، عبدالله : جريدة الجماهير ، فضاءات ، السنة الأولى – العدد /٨/ الأثنين
٢٠١١/٦/٣ م
٢. حسن ، علي ديب : خير الدين الأسدي ، جواز سفر بلا مسافر ، شؤون ثقافية ،
جريدة الثورة ، سورية ، ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٦ .
٣. خير الدين الأسدي ، (٢٨) عامًا في البحث عن (ليس) ، شؤون ثقافية ، جريدة
الثورة ، سورية ، ٢٨ / ١ / ٢٠٠٧ .
٤. المعمار ، محمد صبحي: أعلام راحلون من جمعية العاديّات، مجلة العاديّات، عدد
خاص أصدرته جمعية العاديّات، حلب، خريف وشتاء ٢٠١١م.
٥. فنصة، بشير: من نوادر ومناقب المعلم خير الدين الأسدي، مقالة ضمن: مجلة
العاديّات، حلب، عدد خاص عن تراث حلب غير المادي، الأسديّ وموسوعته،
صيف ٢٠١١م.
٦. كتاب ندوة التراث اللامادي ، بحث اللهجات في موسوعة حلب المقارنة .
٧. مجلة الموقف الأدبي : ملف خاص عن خير الدين الأسدي .
٨. مجلة الآداب العالمية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٤٩٤ ، السنة ٣٧ ، ٢٠١٢م
٩. مجلة بحوث جامعة حلب ، العدد لعام

الملاحق

استندت في هذه الملاحق على مرجعين أساسيين قوامهما التراث اللامادي الشعبي

الخطبي :

الأول : موسوعة حلب المقارنة ، للعلامة الأسدي م.خير الدين الأسدي

الثاني : صور تذكارية وأوراق وثائقية .

الملحق رقم ١١/



برعاية الرفيق محرمو المري محافظ حلب

مربية المركز الثقافي
بجلب

أعمار الكتاب العرب
بجلب

يتشرفان بدعوتكم لحضور « ندوة العلامة »

خير الدين الأسدي

الساعة السابعة من مساء يومي الاثنين والثلاثاء
١٤ و ١٥ أيار ١٩٨٤ بصالة دار الكتب الوطنية بـجلب



المؤرخ العلامة
الأستاذ خير الدين الأسدي
١٩٧١ - ١٩٠٠

الحائز على وسام الاستحقاق
من السيد رئيس الجمهورية حافظ الأسد

ندوة التمهات ١٥ أيار

- كتاب « الله » منهج وفكر
الأستاذ عبد الفتاح روااس قلمجي
- المنهج والمحتوى في موسوعة الأسدي
الأستاذ محمد حسن عبد الحمسن
- ومضات في سيرة الأسدي
الأستاذ عبد الرحمن أبوقوس
- مفهوم الشعر عند الأسدي
الأستاذ محمد جمال بلروت
- من مفاجيات الاسدي
الأستاذ يوسف طافش
- في رحاب الكون الأسدي (تسجيل صوتي)

ندوة الاسبوع ١٤ أيار

- كلمة اتحاد الكتاب العرب
الدكتور عمر الدقاق
- الأسدي النموذج التراثي المتجدد
الأستاذ محمود فخور
- ملامح المجتمع الحلبي في موسوعة حلب
الأستاذ محمد كمال
- ذلك الانسان المنفرد (شعر)
الأستاذ علي الزريق
- الأسدي في ضوء التحليل النفسي
الأستاذة رياض الجابري
- من اسداء « أغاني القبة »
الأستاذ عصام ترشحاني

تقديم : الأستاذ هجر القادر عنبراني

الملحق رقم ١٢/

إلى اللجنة الثقافية لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٦

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد :

فإنه يسرني أن أشارك في ندوة :

(النتاج العلمي والفكري لمدينة حلب في العصور الإسلامية)

التي ستقام على مدرج معهد التراث العربي بجامعة حلب ، في الفترة

من ٢٤ - ٢٦ نيسان ٢٠٠٦ م ، ببحث عنوانه :

(محنة العلامة الأسيدي في حلب ، حيّاً وميتاً)

يقع البحث في ثلاث عشرين صفحة من قياس A4 ، سأرسله فيما بعد - إن شاء الله

- مع القرص المرن .

ولكم جزيل الشكر .

أ.د. محمد حسن عبد المحسن

أستاذ الأدب العربي الحديث والدراسات

الأدبية العليا في كلية آداب جامعة حلب .

عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

عضو جمعية العاديات بحلب .

عضو الهيئة التأسيسية لاتحاد الفلكلوريين العرب في مصر .

مُقرّر لجنة التراث الشعبي في المجلس الأعلى لرعاية الفنون

والآداب والعلوم الاجتماعية في وزارة التعليم العالي السورية .

الملحق رقم ١٣/



المدرسة الرضائية - جامع العثمانية -

الجمهورية العربية السورية
معهد التراث العلمي العربي
جامعة حلب
= . =

١١٩٤ / ٤

السيد الأستاذ الدكتور فايز الديرة
- كلية الآداب -

تحية طيبة وبعد .

يسعى معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب القيام بنشر "موسوعة حلب" للعلامة المرحوم خير الدين الأسدي ، وقد وضع المعهد مشروع خطة عمل أولية للمباشرة بإعداد الموسوعة ، نرجو التفضل بالاطلاع على المشروع المرفق وإعداد ملاحظاتكم حولها لمناقشتها مع باقي أعضاء اللجنة في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد ١٤ / تشرين الأول ١٩٧٤ ، وذلك في مبنى معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب .
شاكرين تعاونكم معنا .

مع أطيب تمنياتي لكم .

حلب في سا ٨ ١٩٧٩

جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي



الدكتور أحمد يوسف الحسن



الاستاذ الدكتور احمد يوسف الحسن رئيس معهد التراث العلمي العربي
تحية وبعد
اجتمع كلا من الدكتور فايز الدايه و الاستاذ محمد كمال بتكليف من
الاستاذ الدكتور احمد يوسف الحسن مدير معهد التراث العلمي العربي .
وذلك للتداول في شأن اخراج موسوعة حلب المقارنة للاسدي .
وقد توصلت اللجنة الى تصور اولي للعمل في الموسوعة يقوم على
مايلي :

- ١- تقدم الموسوعة بمادتها العلمية كما تركها مؤلفها ، فليس لنا التدخل في
تعديل او تحوير المتن او الحاشية الا في حالة الضرورة القصوى وبشأن
الى ذلك برموز واضحة .
- ٢- هنالك رموز لرسم الكلمات الحلبية في استعمالها العامي اقتراحها المؤلف
لضبط النطق بها . وهي تتيح الى تدبر حل تقني يستشار فيه اصحاب
الاختصاص في الطباعة :

رسم الامالة في بعض الكلمات . . . (مثل)

وان لم يتوفر الحل التقني (رسم الكلمة مع رموزها الجديدة) نلجأ الى الهامش
الموضح .

- ٣- تنظم الصفحات المطبوعة من الموسوعة على عمودين :
- تكتب المادة الاصلية (الكلمة) بحرف اسود /١٦/ ويكتب الشرح بالحرف
/١٦/ العادي ، وتكتب الرموز التصنيفية بحروف مميزة (تهكاتهم
سبابهم . . . تشبهاتهم) سوداً
- ٤- اما الهامش فيكتب بحرف صغير (هامش المؤلف نفسه ، وما قد يضاف عند
الضرورة من قبل المحققين) /١٢/

٥- تطبع الالف الاولى من الموسوعة كجزء اول وهي تستوعب حرف الالف .

٦- تتابع اللجنة التنفيذية المحقق الطباعة اولا بأول مصححة تجارب الطبع الى ان

Institute For the History of Arabic Science
Aleppo University
ALEPPO-SYRIA



مركز التراث العلمي العربي
جامعة حلب
حلب - سورية

ينتهي الكتاب .

٧- تستشير التحقيق اصحاب الخبرات عند اللزوم لضبط ما قد يحترض من إشكالات .

الاستاذ

الدكتور

محمد كمال

فايز الدايمية

٩٨٩٩

والدوام عليه ، والالتزام حراً
والعربية تقول : هو اية عسى لجا ، صده لجت قرابته : دنت ، أي ابره عبي اللاد في

لزم : منه العربية : لزم الشيء لزوماً ولزماً وكلمه ، انت ودوام ، بينه : لم
يفادته ، وكلمه المال : رجب عليه ، الفريتم : تملك بهم ودوام منه ، اللزم
: رجب عليه . وهم يتولوه : يلزمني حوية معارعي يريدونه : يتقضي

وجوا سطر التزم للمطاردعه وكذا التزم

يتولوه : المة لزم ، ام بالولزم ، زيادة عند اللتزم
ويتولوه : اشتد به لآزبه

وفي صيغة الأسبالة : - - - - - ما لزمه أرفع بحلب ا - - - - - البلاغ المذكور أعلاه
واستمدت الذكوة : لزمه ولزمني ولزومك ولزومني لي
مدعته اة أملا مولا : قال الشيخ إبراهيم اليازجي ويقول لزمه : يلزم عليه أن
يفعه كذا أي : يجب عليه ، ولديهم في هذا العمل به عمان ، والصراف :
يلزمه أنه يفعه

مه كلامهم : يلزمني الآخر إذا سويت هاشقة ، أو يلزم من الطلاقة أو

مه كذا ياتهم ، الألتهم وزلعموم لوزم يقوم

أخذوا من مخطوطة الموسومة
الحجم المتوسط

تحقيق العائلات

تلمحة

سنة

سنة ١٩٠٤ عربة الملكة والسنة ما قبل اسم الملك بعد الدير العباد واللا دهر يتولده: سالان في العربية نزلت سائلا الأعرور بمجلة العربية الأ... واستند الأمانة ملكة نظريه التركيه نقالان MYALÉ QET

مؤرخين يملكون على الخيف العجيب أخذ اسم التمدد الإجمالي وفي القاموس المخصص الرجل المزدول ونصوبه لمرأة المهذولة في السراج وضربا الحان ، الداه ، الدوى ، الرزالي

محمود: يقولون: فلوله محمود في القدر أو قد اسكر أو في جبال العلاء وخرجه لونه لجموده مد ليربع المرحله اسم أصابعه المنة ما يوجد به الإسته مدلية محمود: دكتورا وتو جرم محمود

محمد وحج - اسطوخ تمثاله على ضرب من العلف الشافى الذهب بدل مع الفرة الذهبية وامله سنة المصروح باسم: أحمد بشوان الأزدان في... ولانها لم يفرجه مد حله به ١٩٠٤ سنة بوبه تقوم بخاسه ما كتوا أو أنه اللغات انه نرى ٥ خراسه والاعمال في خراسه

ولد في الصغرى بنى بالصفحة / ٧٦

تكون عربة الدولة الى الجمع الى ان... عربة اسم القبول مد مع... اسئلة العول موع

سميح يتولده تين سمع خرط سمع بلا... عربة المرحلة اسم الفاعل الموات مد مرفعه راداه ، اعطى به في مرفعه ، وردت في الحديث كاي كرماني والمذكر مرفعه مد اعطاهم رحمة المرفعات محمود عربة المرد اسم المبوله مد بعد رحمة مدته ، يستعمله الاخوانه

عربة المرفعة اسم الفاعل الموات مد مرفعه راداه ، اعطى به في مرفعه ، وردت في الحديث كاي كرماني والمذكر مرفعه مد اعطاهم رحمة المرفعات

تقولون يتولده الماصونه نزلت من التولية الأ... بوحاسه البنة العربية الاحاسه

ديونه يوم... عربة كعانه الملع دسه ممانه الخول حل

عربة المشى كعانه المشى موصع المرد على الخول والمركبات مكله شهد على مشى ابوه وجته

مد معى مداه سغلية: شه خريد؟ ويكون انه يحوط صبر الطالب فيقولونه

تلمحة من العربية المرفعة واعمال المرفعة

عربة المشى كعانه المشى موصع المرد على الخول والمركبات مكله شهد على مشى ابوه وجته

أهوذج من الموسوعة الجسم الكبير

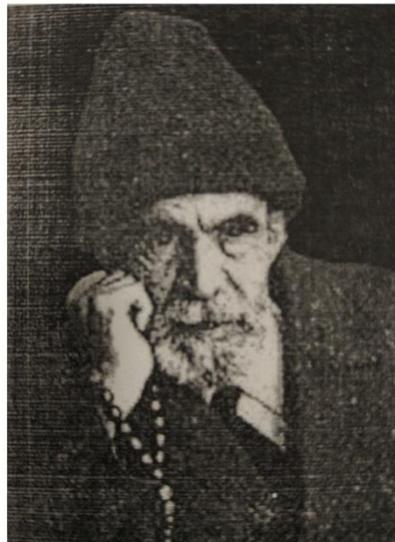
الملحق رقم ١٦/



الأسدي الكهل



الأسدي الشاب



العلامة خير الدين الأسدي
من ارشيف د. ناهد كوستا

الملحق رقم ١٧/



اتفاقية
بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي

باريس، ١٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣

(MISC/2003/CLT/CH/14 REV.)

اتفاقية بشأن صون التراث الثقافي غير المادي

إن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، المشار إليها فيما يلي باسم "اليونسكو"، المنعقد في باريس من ٢٩ سبتمبر/أيلول إلى ١٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣، في دورته الثانية والثلاثين،

إذ يشير إلى الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، لا سيما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦،

وبالنظر إلى أهمية التراث الثقافي غير المادي بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملاً يضمن التنمية المستدامة، وفقاً لما أكدته توصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والفولكلور لعام ١٩٨٩، وإعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي لعام ٢٠٠١، وإعلان اسطنبول لعام ٢٠٠٢، المعتمد في اجتماع المائدة المستديرة الثالث لوزراء الثقافة،

وبالنظر إلى الترابط الحميم بين التراث الثقافي غير المادي والتراث المادي الثقافي والطبيعي،

وإن يلاحظ أن عمليتي العولمة والتحول الاجتماعي، إلى جانب ما توفرانه من ظروف مساعدة على إقامة حوار متجدد فيما بين الجماعات، فإنهما، شأنهما شأن ظواهر التعصب، تعرضان التراث الثقافي غير المادي لأخطار التدهور والزوال والتدمير، ولا سيما بسبب الافتقار إلى الموارد اللازمة لصون هذا التراث،

وإدراكاً منه للرغبة العالمية النطاق والشاغل المشترك فيما يتعلق بصون التراث الثقافي غير المادي للبشرية،

وإن يعترف بأن الجماعات، وخاصة جماعات السكان الأصليين، والمجموعات، وأحياناً الأفراد، يضطلعون بدور هام في إنتاج التراث الثقافي غير المادي والمحافظة عليه وصيانته وإبداعه من جديد، ومن ثم يسهمون في إثراء التنوع الثقافي والإبداع البشري،

ويلاحظ الجهود الواسعة النطاق التي بذلتها اليونسكو لإعداد وثائق تقنية من أجل حماية التراث الثقافي، لا سيما اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام ١٩٧٢،

ويلاحظ أيضاً أنه لا يوجد إلى الآن أي صك متعدد الأطراف ذي طابع ملزم يستهدف صون التراث الثقافي غير المادي،

ونظراً لأن الاتفاقات والتوصيات والقرارات الدولية القائمة بشأن التراث الثقافي والطبيعي ينبغي إثراؤها واستكمالها على نحو فعال بأحكام جديدة تتعلق بالتراث الثقافي غير المادي،

ونظراً لضرورة تعزيز الوعي، وخاصة بين الأجيال الناشئة، بأهمية التراث الثقافي غير المادي وبأهمية حمايته،

وإن يرى أنه ينبغي للمجتمع الدولي أن يسهم مع الدول الأطراف في هذه الاتفاقية في صون هذا التراث بروح من التعاون والمساعدة المتبادلة،

ويذكر ببرامج اليونسكو الخاصة بالتراث الثقافي غير المادي، لا سيما إعلان روائع التراث الشفهي وغير المادي للبشرية،

ونظراً للدور القيم للغاية الذي يؤديه التراث غير المادي في التقارب والتبادل والتفاهم بين البشر،

يعتمد هذه الاتفاقية في هذا اليوم السابع عشر من شهر أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠٣.

موسوعة حليب المقارنة

جمع مفرداتها وتعبيراتها وفن القول فيها مضموراً مع أواصر الحياة فيها التي تبلغ لاهثة سويداء العصر الحجري .

جمعها ودرسها وصانها من أن تعبت بها يد الضياع في حقبة من عايشهم من صدر القرن العشرين وممن بعجوا سقف القرن ١٩ واستطالت أعمارهم ومن آباءهم : هذه الحقبة التي يعدها العلم أخطر حقب التاريخ : إذ تستوي حلقات العصر الذي قبلها بكل ما قبلها كأنها صببت في قالب واحد ، أما هنا في حقبتنا هذه فدهم العالم من حادثات واختراعات أخذة برقاب بعضها غيرت كل أواصر الحياة ، ومنها دراسات الشعبيات في البيت في السوق في الشارع في كل مدب للشعب لاني القصور فحسب كما كانت عدسة التاريخ تصور فحسب ، ولا دراستها مبتورة عن العالم .

إذن فأمامنا الآن ميدان صدق وسداد حافل بكل ما يبهج صدر الثاقف البصير ، فإلى هذا الميدان أديروا روس الخيل يافرسان العلم ، وهلا وهلا وأنا معكم .

الأستاذ م. خير الدين

المقدمة

- ١ -

كانت ساعة يمن وإقبال وإطلال مراحم ربوية إذ قضى الناموس منذ نصف القرن أن اضطلع بمهمة "حلب" و "قصة حلب" و "انضواء حلب في سراديب الزمان والمكان" و "مدى ما فكر الإنسان في حلب" بوثنائق مفرداته، وما؟ وما؟.

وكأني بالناموس إذ قضى أدرك بطول ربويته ان قضاءه هذا نصب وضحى وبلوى فتداركي بجلباب الصبر الصوفي الباسم: يرى في البلوى والحن وقار السنة الطبيعية وبراءتها.

وإلا فمن يصبر على تلاوة مصادر كتابي: هذي المصادر التي أرجأت نشرها للذيل ومنها يبقى الضوء على عجيب التوسع والبسط، ثم إن طائفة من المعاجم قرئت بل درست، إلى دأب لا يعرف الوئى سحابة نصف القرن.

ها أنذا ألتقط من أفواه من حولي مفردات لهجة حلب التقاطات الأصمعي ومن جاراته مفردات اللغة العربية قبل نحو عشرة قرون، ثم ها أنذا أعرضها في أمسياتي على خزانتي الزاخرة باللغويات أو اقلب أنا فيها النظر وقد أخطئ وقد أصيب، ثم تبييض الموسوعة أربع مرات كان كفيلاً بتجديد النظر، وليطل الزمان وليطل، ولولا أن الشمس آذنت بالغروب لأطلت أيضاً وأطلت.

ولم يكن التقاطي مقصوداً على المفردات فحسب، بل ضروب القول كلها مسرحها ومجالها أمامي أحيائها أو كان أمامي وتداركتها وانتزعتها من يداً بيد الدثور.

وكنت حريصاً أن أستمد - جهد الإمكان - من أبناء القرن التاسع عشر هذا الركب الذي سافر فاتصلت وأثرت ما لو لم يكن لموسوعي هذه أن تؤلف لكان نصيب العلم والتاريخ حرمان الشيء الكثير.

وقديماً يعرف صحيي القراء الثاقفون أن عناية التأليف كانت موجهة إلى القصور وما إليها، أما الشعب فهدر في حساهم وتفاهة موضوع.

بقيني أن ما من كتاب تتجلى فيه نبضات الشعب وأعطياته الروحية والنفسية والمادية كما حرصت أن يتوفر في موسوعي.

وجاء بعد الالتقاط والعرض على خزانتي أو تقليبي النظر: جاء دور التأليف الشامل والدراسة العامة على ضوء علم اليوم، ويالجلد النفوس من متطلبات علم اليوم! هذا يا صاحبي القارئ! وأهمس لك أي وحدي وحدي ثم إني مضطر - وأنا ابن السبعين - أن أعمل في أضنى عمل لأربح قوت يومي ولأربح ثمن أدويتي، ثم إني اصطلحت على جسمي الواهي ضروب الأسقام لم تسمع هذه الأسقام مني آهة قط، حتى لما بتر المنشار العظم دوم مرمد، بل تشاهد بسمة الرجاء من رب حنون. ولا تنس - إن شئت - أني أدركتني حرفة الفن والأدب، وهذه التماثيل في صومعتي وهذه الكتب حتماً هي وثائق ليالي الصوم في صومعتي*، ولكن مه يا حافظ! تشكرو؟ أتشكرو وأنت قلت: "لقد سقيتُ السكينة في رحاب الجناب، وختم على شفتي، فشربت دم قلبي في صمت وسكون".

تابع ما أنت فيه وحدث صحبك القراء عن موسعتك: وأيسر عناء معرفة جذر الكلمة الخلية كالعربية والسريانية والعربية والتركية والفارسية حتى الكردية والهندية والسومرية، وثمة الإيطالية أمدت لهجة حلب كثيراً لا سيما مصطلحات التجارة. وطفى حديثاً سيل من الكلمات والتعابير الغربية. وتشابكت اللغات وتصلبت فيفرض علي البحث أن أشير. وتسن لهجة حلب فأحاول أن أهتدي إليها وأبسرها. وفرق عندي بين أن أقول: الكلمة عربية أو من العربية، أريد بالأول: دون تحريف ما حتى إذا كان التحريف واسعاً قلت: تحريف.

* أجمعت بجامع "صانكي يديم" في استنبول أن بانيه آلى تلبية لعقيدته أن يبني جامعاً وآلى معه أن يحرم نفسه ملاذ الطعام لقاء تحقيق أمنيته، فكان يقتصد في مطعمه قائلاً: "صانكي يديم" أي: هبني أكلت، وشأنه شأني هو يرضي ربه ببناء جامع وأنا أرضيه بمتحف صومعتي الصغير وخزانتها. وبعد كل هذا أرى الزمان قد فسد وأن كثيرين يترصدون صدور موسوعي، حتى إذا هفوت أو نددت عن كلمات رفعا عقيرهم بكلام يليق بهم، ليت شعري أين كتاب سيبويه الأول من أثر لأبي حيان الأندلسي، وأين كتاب العين للخليل من "لسان العرب"، ولكن ما من عالم إلا ومثل القداسة في الخليل وسيبويه، وذلك لأن عين العالم غير عين الجاهل المغرض.

وتقدم لهجة حلب أفانين من ضروب البيان فأعرضها: تشبيهاً، مجازاً، استعارتها،
كناياتها، تورياتها، جناسها ..

وتتجلى هذه الأفانين البيانية في ضروب القول فيها: في أدائها الطبيعي، ونداء باعتهها،
وأمثالها، وحكمها، وحكاياتها، و..

كما تتجلى في سبابها وتهكماتها وتمجكاتها وقتلتائها وكلام أهل اليول فيها ومصطلح أهل
القجم والسلتة جية والكلاليب فيها.

وقل مثل هذا في حيل الجنابضة والمعرفين وأهل سوق العبي وأهل سوق الصابون ونحوهم.
أما مراسم الأفراح والأتراح مثل نشيدة ختم القرآن ونشيدة الاختتان والأعراس ونقل الجهاز
والشدييات والمهنونات ومناغاة الأمهات فحدث ولا حرج.
ومثل هذا عاداتها وألعابها ومعتقداتها وخرافاتها وألغازها و..
وللا أنس طعامها وشرابها وكيف يعالجان، وملابسها وفرش بيوتها.
والحق بما تقدم مصطلحات صناعتها وزراعتها وتجارتها، حتى مصطلح الحماماتية فيها.

ثم للا أنس حاراتها وأسواقها وخاناتها وقيصرياتها وقساطلها وسبلاتها وقراها مع تعليل سبب
أسمائها - ما أمكن -، زد عليها القبائل الضاربة في أرباضها.
أما أعلام أناسها فلاقتصد في التعريف بهم لأنني لا أؤثر المدح أو الذم، ومرجعها "إعلام
النبلاء" و "نهر الذهب" ونحو "الأعلام" للزركلي، وما أورد القارئ إليه من كتب ومجلات.
حتى هفوات مجانين حلب سجلتها.

لكن مبادها وسفه القول فيها نحيته عنها وأدرجته - كما تريد الأمانة - في "ذيل فوات
موسوعة حلب"* حرصاً مني أن يقرأ الطلاب والنساء موسوعي دون أن يُجرح ذوقهم الخلقى الوقور
المحتشم المترفع عن بذيء القول.
نعم عمدت إلى ذلك مع ذكر ما فاتني في الموسوعة، فعلى المراجع في مادة أن يقرأها في
الأصل ثم في الذيل. أما ثبتُ مصادر الموسوعة فيجيء آخر فوات الذيل آخر الذيل.

* من المؤلف أنا لم نعر مع المخطوطة على فوات الموسوعة وذيل الفوات ولا على ثبت المصادر ز.م. ك.

وبدهي أنني بدراسة لهجة حلب المتصلة بالمدن الأخرى بل بالعالم كله أدرس اللهجات الأخرى، فقد أستعرض لهجة حماة ودير الزور والرقّة ودمشق ولبنان والعراق ومصر وحضرموت وتونس والمغرب ومالطة و...

وكان حظي حسناً أن زرت معظم هذه البلاد وغيرها* ولن تنتظر صوفيّ بعد أن أنجزت جزءاً ولا شكوراً، أما كنت قلت؟
"لا تشك دهرك، لقد طبعت على غير سنته، وحسبك عنده منار العلم وعطر النبل جريرة وذبناً

النور وحده يسامر النور، فيا ويح قلبي إذا ما اغترب"

ولن ينتظر قارئ موسوعي أن أمتدح بلدي وأسند إليها ما لا يقره الواقع، فأنا جهاز التصوير أصور القصر والكوخ كما هما عليه، وسيطلع عليك في حرف الخاء "خنافس حلب" كنت فيه صادقاً صدقي في امتداحي مواطن مآثرها.

وأعلن من منبر موسوعي أنني أحترم كل مبدأ سواء أكان علمياً أم دينياً أو سياسياً، ولو كان خاطئاً، أما هؤلاء الذين يدعون إلى إحلال العامية محل الفصحى أو إبدال حروفنا العربية بالحروف اللاتينية، أما هؤلاء فلا أحترمهم، لأنهم عملاء الفوضى والجحود والهدم، ومعاذ العلم أن نتصور ذلك، ومعاذ المروءة والفن أن نقصي الفصحى التي درسناها وزرعنا جيهاً عمراً مديداً، وألفنا فيها آثارنا لا سيما "أغاني القبة" فحضنته، وأي لغة تقوى على حملها، أقول: ومعاذ المروءة والفن أن ننكر فضلها وأنها حملت مشعل الحضارة بخطها المخارب في يومنا أيضاً، وهو - دون تعصب - أروع خط في الخطوط، ولم؟ لأنه يستغني عن لغو الرسم استغناءً البليغ عن لغو الكلام، وهؤلاء يجارون شيوخنا وملاذنا.

وقد ألفت في العامية سيداً علماء العرب في القرن العشرين المكللان حقاً بتاجي العلم والنبل، أعني بهما أحمد تيمور باشا وأحمد أمين، اللذين سعد شبابي بزيارتكما وتنسمت منهما عقب النبوة إلى جلال العلم.

* فليس لناقد أن يقول مثلاً: أغنية: "طلعت ياما احلى نورا الشمس الشموسة" ليست حلبية بل هي مصرية ولحنها "سيد درويش"، وجوابنا: غنتها حلب ودخلت في ترانها دخول "الورد" الفارسية في معجم العربية.
وغيرها وغيره، فحلب في نظرنا جزء من العالم كله ضم وشايح الحياة كلها على ما فرضه الزمان والمكان وتيار التاريخ

ثم إن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة طبعت كتاب لهجة بدو مريوط ولهجة شمال المغرب وغيرهما، وكل ما تقدم من مصادر موسوعي.

وقال الدكتور مطر: نحاول نحن أبناء العرب أن ندرس لهجاتنا الحديثة في كلياتنا وبجامعنا اللغوية لعلنا نحقق الأهداف التي حققتها الجامعات العظيمة في العالم.

وقال: عندما أنشئ مجمع اللغة العربية نص في قانونه أن من أغراض المجمع تنظيم دراسات علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها.

وقال الدكتور السامرائي في "فقه اللغة" ص ١٢٩: وتسجيل شوارد العامية الإقليمية يعود على العربية وفقها بأجزل النفع.

وقال "فيشر" في مقدمة معجمه: إن النقص المهم في المعجمات التي صنفها العرب يرجع إلى أن مصنفها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة العربية، بل كانوا يجمعون الفصيخ منها فقط، ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجماً تاريخياً. ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تدولت في اللغة، فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها...

نقول: وبهذه الروح نتقدم إلى القارئ موسوعتنا على نطاق عالمي، فلا يرد أن ما أذكره متوفر في بغداد مثلاً، فالمقارنة تفرض أن أسجل ما قام في أهباء حلب ولو أنه عالمي.

هذا وآزربي في موسوعي نخب من الأصدقاء وذكرت أسماءهم لا أنهم أخوا أن أهمل نشرها فلهم شكري العظيم.

١٤ - ٢ - ١٩٧٠

الأسدي م. خير الدين

محتويات الموسوعة

مفردات لهجة حلب : مقابلتها مع غيرها ، قواعدها ، أمثالها ، حكمها ،
تهكماتها ، تشبيهاتها ، استعاراتها ، مجازاتها ، تشبيهاتها ، كنياتها ، تورياتها ، جناسها ،
معتقداتها ، خرافاتها ، كتاب اللباد ، حكاياتها ، سبابها ، تمجكاتها ، شعرها ، مواويلها ،
أغنياتها ، ألغازها ، تصحيفاتها ، معاذلاتها ، دعواتها لفلان وعلى فلان ، مزاحها ،
نوادرها ، ههوناتها ، مناغاة أمهاتها ، شدياتها ، عاداتها ، كلام أهل الیول فيها ،
نهفات مجانينها ، ملابسها ، مطابخها ، أهازيجها ، قراها ، بواديهها ، حاراتها ، ألعاب
سهراتها ، تملقاتها ، إحصاء عام ، ثقافة عالمية تشترك فيها ، من لوحات أناسها ، من
عثرات أقلامها ، من اصطلاحاتهم ، من أهازيجها ، من نداء باعتها ، من آدابها ،
من تعبيراتهم الحديثة ، من عكاكيز كلامها ، من تندراتها ، من تملقاتها ، من ألعابها ،
من عنجهياتها ، من لحماتها .

المنهاج

ترتيب حروف الهجاء

ر	ذ	د	خ	ح	ج	ج	ث	ت	ب	س
ف	ف	غ	ع	ظ	ط	ض	ص	ش	س	ر
			ي	و	هـ	ن	م	ل	ك	ق

فهو ترتيب حروف العربية بزيادة ما كانت اصطلاحاً عليه التركية والفارسية والأوردية

وتعويها من الحروف التالية

پ = نحو پاپا

چ = نحو چادر

ژ = نحو ژامبون

ف = نحو فيم

گ = نحو گول

أما الصائتات ونصف الصائتات فهي كما يلي

الصائتات

ا = نحو أه

و = نحو توب

آي هـ نحو تياب، بيت، حزمة

نصف الصائتات

ا) نحو لم انظر الألف

و) نحو برغل انظر الواو بين بين

ي) نحو عمل انظر الألف بين بين

د) نحو بكتب، وهي حركة لا وجود لها في العربية، وأسميناها الردة.

- انظر: الردة - وإذا قلنا: وهم ردوا: أي: والحليون استعملوا الردة مكان الضمة أو

الكسرة

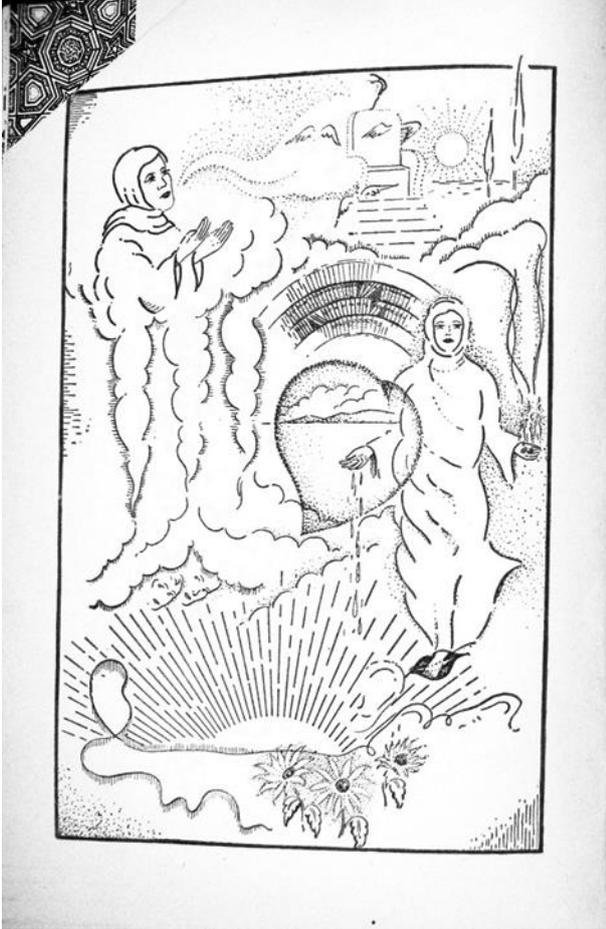
الملحق رقم /٩/

الأسدي م . خير الدين

إِغْنَانِي الْفِتْنَةُ

نحات صوفية





امرضت سرور' الله عن البيت ، ونادت :
مال والكعبة ؛ أنا لينة ، والكعبة حجر : أريد
رب الكعبة ، أريد مسبحات وجه ربي

تكوكب ثمر رابعة ، ومضت في ابتها لها :
كأن لم يكن من حديث : غفرائك - ربي ! -
من استغفاري الأثيم

إلهي ! فوّرت النجوم ، وغفت العيون ،
وأوسدت الملوك أبوابها ، إلا بابك : مشع
الرجاء والحنان

إلهي ! خلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا
مصلاتي بين يديك بناجيك : أحبك ، أحبك .
فالمى يا د نتمم ! ، بين أحفان الحبيب العريس

ليس لي عنك ما حيت براح
أنت مني ممكث في السواد



الحبة

ومثلها : حباي وحباية .

انظرها والحب .

ويكثر في الحجاز إطلاق الحبة على الواحد

من مجموعة : حبة فنجان ، حبة كرسي ...

ويقولون : كانوا يبنون الحيطان حبتين ،

أي من قطعتين أو سافين .

[ويقول الباعة] : تكرم وحبّة مسك .

والحبة في اصطلاح الصياغ مقدار وزن

شعيرتين غير مقشورتين يوزن بها الذهب ونحوه ،

وكذا يزن بها العطار المسك .

[ويقولون] : فلان طيب وكلمتو على

حبّتا ، يريدون : لا غش فيه ، فهو كالخبز

حبة حفظته لا يخالطها حب آخر ، ومثلها : عم

بحكي على حبّتو .

[من أمثالهم] : فلان مالحبّة بعمرّ قبّة .

لا بدّ ماتجّي الحبة بّم الطاحونة .

الحبّة : والحباي والحباية : أطلقوها على

واحدة البثور ، يصغّرونها على : الححبوبة .

انظرها والحب .

[من اعتقادهم] : إذا طلع لك حبة

عراس لسائك (أو حباي أو حباية) بكونوا

نسفوا لك عشاك .

حبّة بركة : أو الحبة المباركة : عريبتها :

الشونيز والحبة السودا .

وتسمى باللغة التجريدية : AWASSÉDA .

حب نبات عشبي سنوي قد يبلغ ساقه نصف

الذراع ، خشن أسود ، عطر حريف الطعم ،

يذرونه على صفحات الأرغفة والكعك المعروك

والكعك المحفف الذي يسمونه في حلب « كعك

السخانة » ، وعلى الجبن لاسيما المشلشل والمسنر ،

وعلى كعك العيد الأصفر ، وعلى سطح الحلاوة

الطحينية ، للتزيين ولأنه هاضم ومهدىء للأعصاب .

ويتخذ علاجاً لوجع المعدة بغليه مع اليانسون .

وورد ذكرها في آثار الفراعنة .

[من كلامهم] : تكرم وحبّة بركة .

[من تهكماتهم] : فلان كلامو مثل حبة

البركة : كل عشرة على رغيف .

(ظاهره المدح ومفاده التهكم والابتدال) .

حبّة حلب : انظر : حبة سنة .

حبّة سنة : أو حباية سنة ، أو حبة حلب ،

أو داغة حلب - انظرها - : برة تظهر في

جسم الساكن في حلب مرة في العمر . والتاء في

كلها تاء الواحدة ، سميت بحبة سنة لأنها تظل

ملتهبة مدة سنة أو أقل لأكثر تاركة مكانها أثراً

متأكلاً من البشرة .

وتسمى أيضاً حبة حلب لاستفحائها فيها

وإن كانت تظهر في الموصل وبغداد وكسروان

وجزيرة كريد وغيرها .

ويعتقد الحلبيون أنها تحدث بتأثير ذبابة

تفرز سمها محل الحبة ، دليلهم في هذا أنها تحدث

في البشرة المكشوفة ولا تحدث في المستورة .

وكان يرى الأتراك أنها بتأثير شرب ماءها ،

لذا كان موظفهم يشربون من ماء عين البيض .

انظرها .

وأحد قناصل فرنسا كان اكتشف لها دواء

يشبه حبر الكوبيا ، وسموا دواءه « دوا القنصل » .

وقد تظهر على الوجه فتحسنه .

وإذا ظهرت على الأنف كان وجعها شديداً

وتترك فيه خرمًا يسميه الحلبيون الشرمة .

ولا نعلم شعراً فيه وصف أثر حسنها ،

فهي على غمّازات الحسان مهمل وصفها .

وإذا سألتني : وهل كان أصيب بها

الأقدمون في حلب ؟ أجبتك : وكيف لا ، فقد

اتسم أقدم ملوكها : حاموراني حلب ،

وياريم ليم ، حتى من فتحها كتحوتمس الثالث

وجيشه والإسكندر وجيشه وأبي عبيدة وجيشه ،

حتى من هاجر إليها كسيف الدولة والمني

والفاراني و ... ومثلهم البنادقة وسائر من أقام

[من أمثالهم] : الشبي ما هو بهرّ الورق ،

القلب من جواً احترق .

انظر شرحه في « هر » وفي « ورق » .

احترق : بنوا من الحركة على وزن

افتعل للمطاوعة ، والعربية بنت للمطاوعة : تحرك

فقط .

احترم : من العربية : احترمه : جعل له

حرمة .

واستمدت التركية : احترام ومحترم .

انظر : مجلة المجمع العلمي العربي س ١٣ ص ١٤٠

وس ١٩ ص ٤١ : تحقيق في كلمة احترم .

احترم : [يقولون] : احترمنا أكل تين

حلب السنة ، سببا كنا مسافرين ، بنوا على افتعل

من حرمة الشيء : منعه إياه ، وليس في العربية

هذا .

[من تملقاهم] : ان شا الله ما منحترم

شوفة وچك الحاو ، تحترم الجنة إن كنت عم

تكذب ؟ حابسني وحارمني شميم الهوا .

احتشد : من العربية : احتشد القوم :

اجتمعوا لأمر واحد . يستعملها الثاقفون .

احتشم : من العربية : احتشم منه وعنه :

انقبض عنه واستحيا .

[من عثرات أقلامهم] قولهم : احتشمه ،

خطأ ، ضوابه : احتشم منه أو عنه .

واستمدت التركية : احتشام .

احتضر : [يقولون] : المرضان عم

بحتضر ، من العربية : احتضر يحضر (بالبناء

للمجهول ، أصله : احتضرته ملائكة الموت) .

واستمدت التركية والفارسية والأوردية :

احتضار .

احترز : من العربية : احترز منه :

توقاه ، جعل نفسه في حرز منه . انظر : تحوز .

واستمدت التركية والأوردية : احتراز .

احترس : من العربية : احترس : تحرز

وتوقى وتحفظ . انظر : تحرس .

واستمدت التركية : احتراس .

احترش : [يقولون] : لا تحترش حدا

ما حدا بحرشك . يريدون : لاتمس أحداً بأذى :

أصلها العربي احترش الصائد الضب وتحرشه :

حرك يده على باب جحره ليظنه حية أو نحوها

فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه بذنبه .

احترف : من العربية : احترف : اتخذ حرفة .

واستمدت التركية : احتراف .

احترق : من العربية : احترق الحطب :

مطاوع حرقه : جعله وقوداً .

واستمدت التركية : احتراق .

وفي لعبة الرامي والكونكان احترق فلان

بمعنى : خسر ، إلا أن يستأنف الدخول في اللعب

على أكبر رقم وبمبلغ مضاعف .

[من كلامهم] احترق دمّي على هالتحفة

اللي ضيعتا .

[من تهكماتهم] : واحد دقنو عم بتحترق

والتاني بدو يشعل سيكارتو منّا .

[من أمثالهم] : يا قطان احترق قطنك .

[من أمثال أكراد حلب] : البحترق لسانو

مالحليب الحار بنفخ عالرايب .

[من اعتقادهم] : إذا واحد في الليل مشي

بجبانة وصاح يا قطان احترق قطنك بطلعوا الأموات

وكل واحد بركب شاهدتو وبلحقوه .

الفهارس

- | | |
|--|-------------------------------------|
| ٢٩ - من سبابهم | ١ - من أحياء حلب |
| ٣٠ - من شديباتهم | ٢ - من آدابهم |
| ٣١ - من عاداتهم | ٣ - من استعاراتهم |
| ٣٢ - من عثرات أعلامهم | ٤ - من أشعارهم |
| ٣٣ - من عكاكيز كلامهم | ٥ - من اصطلاحاتهم |
| ٣٤ - من عنجياتهم | ٦ - من اصطلاح السلته ولغة القجم |
| ٣٥ - من قلتناهم | ٧ - من اعتقادهم (وخرافاتهم) |
| ٣٦ - من كتاب اللباد | ٨ - من أغانيهم (وأناشيدهم) |
| ٣٧ - من كلام أهل اليول | ٩ - من ألعابهم |
| ٣٨ - من كلامهم (وتعابيرهم وحوارهم) | ١٠ - من ألغازهم (ومعانيهم) |
| ٣٩ - من كنياتهم | ١١ - من ألفاظ التعبد |
| ٤٠ - من لحماهم | ١٢ - من ألفاظ التعزية |
| ٤١ - من لوحاتهم | ١٣ - من ألفاظ الردع والزجر والتهديد |
| ٤٢ - من ماكلهم | ١٤ - من أمثالهم |
| ٤٣ - من مجازاتهم | ١٥ - من أهازيجهم |
| ٤٤ - من مجاملاتهم | ١٦ - من أيمانهم |
| ٤٥ - من مزاحهم | ١٧ - من تحياتهم |
| ٤٦ - من معاضلاتهم | ١٨ - من تشبيحاتهم |
| ٤٧ - من مناغاة أمهاتهم | ١٩ - من تعبيراتهم الحديثة |
| ٤٨ - من مواويلهم | ٢٠ - من تمجكاتهم |
| ٤٩ - من نداء باعتهم | ٢١ - من تملقاتهم |
| ٥٠ - من نشيد أذكارهم | ٢٢ - من تهكماتهم |
| ٥١ - من نهفاتهم | ٢٣ - من تورياتهم |
| ٥٢ - من نوادرهم (وتندرهم) | ٢٤ - من جناسهم |
| ٥٣ - من ههوناتهم | ٢٥ - من حكاياتهم |
| ٥٤ - ما ذكر عن النصارى وأقوالهم وعاداتهم | ٢٦ - من حكمهم (ووصاياهم) |
| ٥٥ - ما ذكر عن اليهود وأقوالهم وعاداتهم | ٢٧ - من خرافاتهم |
| | ٢٨ - من دعائهم |

الفهارس

- | | |
|---|-------------------------------------|
| ٢٩ - من سبابهم | ١ - من أحياء حلب (من حاراتهم) |
| ٣٠ - من شدياتهم | ٢ - من آدابهم |
| ٣١ - من عاداتهم | ٣ - من استعاراتهم |
| ٣٢ - من عثرات أعلامهم | ٤ - من أشعارهم |
| ٣٣ - من عكاكيز كلامهم | ٥ - من اصطلاحاتهم |
| ٣٤ - من عنجياتهم | ٦ - من اصطلاح السلتهجية ولغة القجم |
| ٣٥ - من قنتاتهم | ٧ - من اعتقاداتهم |
| ٣٦ - من كتاب اللباد | ٨ - من أغانيهم (وأناشيدهم) |
| ٣٧ - من كلام أهل البيول | ٩ - من ألعابهم |
| ٣٨ - من كلامهم (وتعابيرهم وحوارهم) | ١٠ - من ألغازهم (ومعانيهم) |
| ٣٩ - من كناياتهم | ١١ - من ألفاظ التعبد |
| ٤٠ - من لحناتهم | ١٢ - من ألفاظ التعزية |
| ٤١ - من لوحاتهم | ١٣ - من ألفاظ الردع والزجر والتهديد |
| ٤٢ - من ماكاهم (طعامهم وشرابهم) | ١٤ - من أمثالهم |
| ٤٣ - من مجازاتهم | ١٥ - من أهازيجهم |
| ٤٤ - من مجاملاتهم | ١٦ - من أيمانهم |
| ٤٥ - من مزاجهم | ١٧ - من تحياتهم |
| ٤٦ - من معاذلاتهم | ١٨ - من تشبيحاتهم |
| ٤٧ - من مناغاة أمهاتهم | ١٩ - من تعبيراتهم الحديثة |
| ٤٨ - من مواويلهم | ٢٠ - من تمجكاتهم |
| ٤٩ - من نداء باعنتهم | ٢١ - من تملقاتهم |
| ٥٠ - من نشيد أذكارهم | ٢٢ - من تهكماتهم |
| ٥١ - من نهقاتهم | ٢٣ - من تورياتهم |
| ٥٢ - من نوادرهم (وتندرهم) | ٢٤ - من جناسهم |
| ٥٣ - من هنهوناتهم | ٢٥ - من حكاياتهم (وأساطيرهم) |
| ٥٤ - ماذكر عن النصارى وأقوالهم وعاداتهم | ٢٦ - من حكمهم (ووصاياهم) |
| ٥٥ - ماذكر عن اليهود وأقوالهم وعاداتهم | ٢٧ - من خرافاتهم |
| | ٢٨ - من دعائهم |

الفهرس التفصلي

- إهداء.
- بطاقة شكر
- تصدير
- مقّمة.
- استهلال.
- عتبات مصطلحية :

● الفصل الأوّل: العلامة م. خير الدين الأسدي تحت المهجر :

١. التعريف به.
٢. علاقتي معه .

● الفصل الثّاني: سلوكيات الأسدي وأنشطته الاجتماعية والثقافية.

١. تصرفات الأسدي السلوكية .
٢. أزماته النفسية .
٣. روحانية الأسدي .
٤. الأسدي الإنسان الحائر .
٥. المواقف الاجتماعية في حياة الأسدي .

● الفصل الثّالث: آثار الأسدي واتجاهاته الأدبية.

١. آثاره .

٢. كتبه المطبوعة في أثناء حياته ومقالاته المنشورة.
٣. أغاني القبة شطحات صوفية غناها الأسدي .
٤. موسوعة حلب المقارنة لوحة حضارية وإبداع لا مثيل له.

● الفصل الرابع : محنة الأسدي المظلوم حيا وميتا .

١. الأسدي المظلوم حيا وميتا .
٢. الأسدي وواقعه المعيش .
٣. أسئلة محرجة تنتظر الجواب .

- توصيات ومقترحات
- خاتمة.
- ملخص باللغة الإنكليزية.
- ثبت المصادر والمراجع والدوريات.
- الملاحق .
- الفهرس التفصيلي.

إصدارات المؤلف

المطبوعات:

١. الأدب الشعبي في حلب، دراسة/وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤م.
٢. الشعر الاجتماعي في سورية بين الحربين. دراسة/منشورات جامعة حلب، ١٩٩٨م.
٣. مواقف شعراء سورية وتياراتهم، دراسة/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠١م.
٤. جماليات الشعر في سورية ١٩٠٠-١٩٥٠م، دراسة/دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.
٥. أبرز الشعراء السوريين بين الحربين، تراجم/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٣م.
٦. إرهاصات شعر التفعيلة وقضاياها الفنية، دراسة/دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٤م.
٧. آليات شعر التفعيلة وتجلياتها عند نزار قباني، دراسة/دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٥م.
٨. الحراك الثقافي في الصالونات الأدبية النسوية – صالون مي زيادة إنموذجاً – دراسة/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٥م.
٩. المثاقفة وأثرها في هجانة الشعر، دراسة/دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٦م.
١٠. أوهاج الأمس، شعر/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٦م.
١١. ريادة أدب الأطفال في حلب، دراسة/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.
١٢. الشعر ما ليس بشعر ولا نثر، دراسة/ دار سعد الدين للنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.
١٣. معالم الحياة العامة قراءة في الشعر السوري في النصف الأول من القرن العشرين، دراسة/ دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م.

قيد الطبع:

١. الشعر السياسي في سورية من يوم ميسلون إلى عيد الجلاء، دراسة.
٢. البنية السردية في رواية حرمتان ومحرم لـ (صبحي فحماوي)، دراسة.
٣. تجليات الشعر السوري وقيمه الفنية بين الاستقلالين، دراسة.
٤. شعر الأطفال في سورية في النصف الأول من القرن العشرين، دراسة.
٥. متنطّعو العالم في مواجهة النور الإلهي، دراسة/دار شراع للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٤م.
٦. ديوان الشاعر الشعبي الشيخ بشير الكيالي، تحقيق.
٧. القباني نزار بين النكسة والانتصار، دراسة.
٨. لله الأمر أمة اقرأ لا تقرأ اللّغة العربية – الترجمة – الكتاب، دراسة.
٩. إبداعات تحت المجهر، دراسة.

قيد البحث:

١. أصداء البيت الحلبي في المأثورات الشعبية، دراسة.
٢. أدب القبور، دراسة ميدانية.
٣. حلو الحياة ومرّها، سيرة ذاتية.
٤. ملامح الاقتصاد في المأثورات الشعبية الحلبية، دراسة.
٥. آفاق التسامح والعيش المشترك في التراث اللامادي الحلبي، دراسة.
٦. زوجان مبدعان سامي الدروبي ووداد السكاكيني، دراسة.
٧. الأدب الشعبي عراقة الحداثة وحداثة الأصالة، دراسة.
٨. هموم جامعية، قسم ساللغة العربية في جامعة حلب إنموذجاً، دراسة.
٩. العلامة الأسدي المظلوم حياً وميتاً، دراسة.